العيارون والشطار البغاودة

في التاريخ العباسي

دكتور
محمد أحمد عبد المولى

الطبعة الثانية
مزيدة ومنقحة

الناشر
مؤسسة شباب الجامعة
للطباعة والنشر والتوزيع
ت: ٤٨٣٩٤٧٢ اسكندرية

العيارون والشطار البغادوة
في التاريخ العباسي

دكتور
محمد احمد عبد المولى

الناشر
مؤسسة شباب الجامعة
٤٠ ش الدكتور مصطفى مشرفة
ت ٤٨٣٩٤٧٢ - اسكندرية

اهـــــــــداء

الى ابنتـــى « أريـــج » ..

توهج ريح الطيب وفوحانها وتضوعها .

بســــــم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمـــــــة الطبعـــة الأولى

ظاهرة العيارة والشطارة أو بالأحرى اللصوصية الشريفة ظاهرة عالمية فى التاريخ والادب . فحيثما توجد المظالم الاجتماعية يوجد الخروج على الشرع والقانون اذ هو المقابل الوحيد للطبقات الشعبية الفقيرة للحياة على حساب الطبقات الغنية المترفة ، أو هو العلاج الأكيد لتحقيق العدل الاجتماعى . ومن هنا كان العداء المتولد من الخوف والشك هو الذى يحكم العلاقة بين ذوى الجاه والسلطة والثراء وبين أراذل العامة من الفقراء المعدمين المستقرين فى قاع المجتمع .

والكتاب يؤرخ لشريحة عريضة من طبقة العامة فى بغداد يعرف أفرادها بالعيارين والشطار ، وهم فئة مطحونة اجتماعيا وسياسيا جمعت بين الصعلكة والدروشة ظهرت فيما بين أواخر القرن الثانى الهجرى (ق ٩م) وأواسط القرن السابع الهجرى (ق ١٣م) . وهو يشتمل على ثلاثة فصول وخاتمة .

فى الفصل الأول ، وعنوانه : « الفتوة والتصوف والعيارة والشطارة » ، عرضت للابعاد الاجتماعية لبيئة العراق فى القرن الثانى الهجرى (ق ٨م) التى افرزت فى النهاية حركة التصوف . ثم تكلمت عن تبنى التصوف لمبدأ الفتوة ، وبينت أن الصوفية بدافع من الفتوة لزموا سكنى الرباط للدفاع عن الاسلام بينما جنحت جماعات منهم فى بعض المدن وبالاخص بغداد الى الثورة على الأوضاع الاجتماعية والسياسية الجائرة . وكثيرا ما سرقوا ونهبوا وقتلوا . وكان ضحاياهم دائما من مياسير القوم .

وفى الفصل الثانى ، وعنوانه : «التنظيم العسكرى لفرقة العيارين»، عرفت بالعيارين وأجناسهم وأوضحت كيف أن حركتهم جمعت الطبقات

الشعبية على اختلاف فئاتها واجناسها وبالذات من الموالى · ثم تكلمت عن وحدات العيارين العشرية وعن لباسهم وشاراتهم ونفيرهم وراياتهم وسلاحهم ومساكنهم ومواردهم المالية وتشكيل قتالهم وماورد عن عسكريتهم فى الشعر · ويلاحظ أن لباس العيارين كان يشبه لباس الصوفية من حيث الاتشاح بالخرقة والمئزر · ويكاد يستر العورة · ومن ثم عرفوا بالعراة · كما كان سلاحهم بدائيا ولا يصلح الا للدفاع عن النفس ·

وفى الفصل الثالث تحدثت بافاضة عن « العيارين والدولة » فى التاريخ العباسى على امتداده ·

وخلصت فى الخاتمة الى أن العيارين فى تمردهم على الدولة كان ينقصهم التنظيم والتدبير والقيادة الواعية ، وانه لم يخطر ببالهم قلب نظام الحكم ، وان كل ما كانوا يبغونه هو لفت انظار المسئولين الى سوء أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية علهم يعدلوا فى حكمهم · بيد ان الدولة اعتبرتهم خارجين على القانون وعاملتهم معاملة المجرمين أصحاب الجنايات لا الثائرين أصحاب الرسالات مع أن انتفاضاتهم كانت فى أحايين كثيرة صرخة مظلوم مستضعف فى وجه ظالم مستبد ·

وقد عملت وسعى على تغطية مادة الكتاب من المصادر والمراجع المتاحة فى منهج علمى صارم · وآمل أن يسد فراغا أو يجلى غامضا فى مكتبتنا العربية ·

وفوق كل ذى علم عليم ؛

رشدى ـ الاسكندرية فى مساء الاربعاء

٦ من المحرم ١٤٠٧هـ

١٠ فبراير ١٩٨٦م

د · محمد احمد عبد المولى

بســــــم الله الرحمن الرحيم

مقـدمـــة الطبعــة الثانية

هذه هى الطبعة الثانية من كتاب «العيارين والشطار البغاددة فى التاريخ العباسى » بعد أن نفدت طبعته الأولى فى مدة وجيزة . وهى طبعة مزيدة ومنقحة تضيف الى الطبعة الاولى ولاتنقص منها ، وملحق بها أربع قوائم باشهر العيارين والشطار البغاددة فى العصر العباسى .

والله أسأل أن أكون عند حسن ظن القارىء العربى المهتم بتاريخ الآداب الشعبية العربية أو المتشوق للمعرفة علىاختلاف منابعها ومصادرها

رشدى ـ الاسكندرية فى مساء الثلاثاء ١٢ جمادى الآخرة ١٤١٠هـ

٩ يناير ١٩٩٠م

د. محمد أحمد عبد المولى

الفصــل الأول

الفتــوة والتصوف والعيارة والشطارة

١ ـ الأبعاد الاجتماعية لبيئة العراق فى القرن الثانى الهجرى (ق٨م)٠

٢ ـ التصوف والفتــوة ٠

٣ ـ صلة العيارة والشطارة بالفتوة الصوفية ٠

٤ ـ نشاة العيارين والشطار ٠

الفصل الأول

[illegible]

الفصل الأول

الفتوة والتصوف والعيارة والشطارة

١ - الأبعاد الاجتماعية لبيئة العراق فى القرن الثانى الهجرى (ق٨م):

فى العصر العباسى الأول (١٣٢ - ٢٣٢هـ / ٧٤٩ - ٨٤٧م) تراجع العنصر العربى عن مكان الصدارة وحل محله العنصر الفارسى ذو الميول الشيعية بثقافته الدينية المجوسية Magianism الثنوية Dualism القديمة التى ترتكز على التناسخ Métempsychosis والحلول Incarnation والاتحاد Unition وتقول بمبداى النور (الخير) والظلمة (الشر) أو بمبدأ العقل والمادة (١) . وقد عبرت طائفة الثنوية عن نفسها عبر تيارات ثلاثة فى مشرق الدولة ومركزها بالعراق أحدها ثورى وتمثل فى ثورات الخرمية (ومنهم الراوندية والخرمدينية المحمرة الذين تفرع عنهم البابكية والمازيارية والرزامية (ومنهم المقنعية المبيضة والأبومسلمية المسمون بالبركوكية فى مدينتى مرو وهراة باقليم خراسان) ، والثانى اباحى وتمثل فى حركة الزندقة ، والثالث فكرى وتمثل فى حركة الشعوبية (٢) . وتجردت الدولة يساندها علماء المعتزلة - أهل التوحيد والعدل - لكبح جماح فرقة الثنوية واستئصالها واخترام افكارها . وابلت فى ذلك بلاء حسنا . غير أن المعتزلة اغتروا بنجاحهم حين أضحت الرئاسة فيهم ، فلم يربطوا - فى سبيل نشر

---

(١) راجع الدكتور أبا العلا عفيفى : التصوف الثورة الروحية فى الاسلام ، ط١ ، دار المعارف ، مطبعة معهد دون بوسكو ، الاسكندرية ١٩٦٣م ، ص ١٥١

(٢) عن فرقة الثنوية انظر الدكتور محمد أحمد عبد المولى : القوى السنية فى المغرب من قيام الدولة الفاطمية الى قيام الدولة الزيرية (٢٩٦ - ٣٦١هـ / ٩٠٩ - ٩٧٢م) ، ط١ ، ج١ ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٨٥ م ، هامش ٣ ص ١٧٧ - ١٧٩ .

فكرهم ـ بين الوسيلة والغاية فى علاقتهم بالسلفية وهم اصحاب الحديث وأهل السنة والجماعة • واستخدموا معهم اساليب قمعية أبعد ما تكون عن منهجهم العقلى لتثبيت رايهم القائل بخلق القرآن فى فصل الصفات من باب التوحيد ، فأخطأوا حظهم ، وما أصابوا رشدهم ، وانمحوا من خريطة الفكر الاسلامى (٣) •

وفى خلال ذلك نمت الثروات بالعراق فانتشر الرقيق ، ورق الشعور ، ورهف الاحساس ، وطلب الترف ، وخطب التنعم ، فأدبرت خشونة البداوة ، واقبلت ليونة الحضارة • وتكالب مياسير القوم تحت وطأة ملذاتهم وشهواتهم على مواربة الاماء ، وشرب النبيذ (نبيذ التمر أو الزبيب) ، والاستمتاع بالقيان ، والاستهتار بالغلمان ، والتغزل فى الذكران ، ومصاحبة الجوارى الغلاميات اللائى نهضن كطبقة فاسدة لارضاء ذوى النزعات المنحرفة • ودافع عن هذه الحياة اللاهية العابثة شعراء الموالى من الفرس يقدمهم الشاعر الماجن ابو على الحسن بن هانىء بن عبد الأول بن الصباح الدمشقى المعروف بأبى نواس (١٩٩هـ / ٨١٤م) بينما هاجمها نفر منهم اشهرهم الشاعر الزاهد أبو العتاهية اسماعيل بن القاسم الكوفى (٢١١هـ / ٨٢٦م) (٤)•

كذلك فى ظل دولة بنى العباس فى عصرها الاول تفاقم الجور ، فاهدرت الحقوق ، وصودرت الاموال ، واستهان الخلفاء بالاشعار والأبشار والدماء ، ودفع العلماء وارباب العقول ـ كما هو الحال فى كل زمان ومكان ـ ضريبة اعتراضهم على الظلم ، لأنهم أكثر الناس احساسا به ، أضعافا مضاعفة • فقتل العباسيون الكاتبين النابغتين عبد

---

(٣) راجع احمد امين : ضحى الاسلام ، ج٣ ، ط٧ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٤ م ، ص ١٩٧ ـ ١٩٨ ، ٢٠٧ •

(٤) راجع فى كل ذلك : ضحى الاسلا م، ج١ ص ٤٩ ـ ٢٢٨ •

الحميد بن يحى بن سعد العامرى (بالولاء) الأنبارى (١٣٢هـ/٧٥٠م) وابا عمرو عبد الله بن المقفع المعروف بروزبة (١٤٢هـ / ٧٥٩م) أبشع قتلة (٥) . وامتهنوا بالجلد والحبس امام أهل الكوفة ابا حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى الخزاز (١٥٠هـ / ٧٦٧م) (٦) ، وامام دار الهجرة (المدينة) أبا عبد الله مالك بن انس بن أبى عامر الأصبحى (١٧٩هـ / ٧٩٥م) (٧) ، وعابد أهل المغرب أبا عمرو البهلول بن راشد مولى ذى الحجر من رعين (٨) ، وامام أهل بغداد

---

(٥) راجع الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شلبى ، ط١ ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ١٣٥٧م / ١٩٣٨م عن مصرع عبد الحميد الكاتب (ص ٧٩) ، وابن المقفع (ص ١٠٥ - ١٠٧) .

(٦) الكردرى : مناقب الامام الأعظم رضى الله عنه ، ط١ ، ج٢ ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، الهند ، حيدر أباد الدكن ١٣٢١هـ ، ص ١٩ . ضرب أبو حنيفة قبيل وفاته فى سنة ١٥٠هـ (٧٦٧م) .

(٧) عياض : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الامام مالك ، م١/ج١ ، تحقيق أحمد بكير محمود ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ، ص ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ . ضرب مالك فى ربيع الاول سنة ١٤٦هـ (مايو ٧٦٣م) .

(٨) راجع عن محنة البهلول : أبا العرب : طبقات علماء افريقية ، ج٢ ، نشر محمد بن أبى شنب ، الجزائر ١٣٣٢هـ / ١٨١٤م ، ص ٥٨ - ٦٠ ، المالكى : رياض النفوس فى طبقات علماء أفريقية ، ج١ ، ط١ ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، مطبعة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥١م ، ص ١٤١ - ١٤٣ ، الدباغ : معالم الايمان فى معرفة أهل القيروان م١/ج١ ، المطبعة الرسمية ، تونس ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م ، ص ٢٠٦ - ٢٠٨ ، ابن عذارى : البيان المغرب فى أخبار المغرب ، ج١ ، مطبعة المناهل، بيروت ١٩٤٧ - ١٩٥٠م ، ص ١١ .

ابا عبد الله احمد بن محمد بن حنبل الشيبانى (٢٤١هـ / ٨٥٥م) ([9]) . وشردوا الامام ابا عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى الكوفى (١٦١هـ / ٧٧٨م) ([10]) . وارهبوا الامام ابا عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان الهاشمى الشافعى (٢٠٤هـ / ٨٢٠م) . وقتل الخليفة الواثق ابو جعفر هارون(٢٢٧ - ٢٣٢ هـ / ٨٤٢ - ٨٤٧م) بنفسه الفقيه المالكى احمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعى (٢٣١هـ / ٨٤٦م) ([11]) . وكل ذلك مشهور . ومعظم مرتكبى هذه الجنايات ولاة ليسوا فوق مستوى الشبهات وتصدق على اكثرهم هذه

---

(٩) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، م٦ ، دار صادر - دار بيروت ، بيروت ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م ، ص ٤٤٥ حوادث سنة ٢١٩هـ (٨٣٤م) من خلافة ابى اسحاق محمد المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧هـ / ٨٣٣ - ٨٤٢م) . راجع السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ، ج١ ، نشر مولاى احمد عبد الكريم القادرى الحسنى المغربى الفاسى ، المطبعة الحسينية ، القاهرة ١٣٢٤هـ ، ص ٢١١ - ٢١٤ حيث ضرب ابن حنبل سنة ٢٢٠هـ (٨٣٥م) فى المحنة بخلق القرآن .

(١٠) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، م٦ ، دار صادر ، بيروت ، ص ٣٧٢ - ٣٧٣ . وانظر عن تشريد العباسيين للثورى أيام الخليفة أبى جعفر عبد الله المنصور (١٣٦ - ١٥٨هـ / ٧٥٤ - ٧٧٥م) وابنه أبى عبد الله محمد المهدى (١٥٨ - ١٦٩هـ / ٧٧٥ - ٧٨٥م) باستفاضة عند أبى نعيم : حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، ط١ ، م٦ ، مكتبة الخانجى ومطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م ، ص ٣٦٤ ، ٣٧١ ، ٣٧٤ ، ط١ ، م٧ ، القاهرة ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م ، ص ٤ ، ١٣ ، ٢١ - ٢٢ ، ٤٠ - ٤١ ، ٤١ - ٤٢ ، ٤٣- ٤٤ ، ٤٥ - ٥٣ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٦ .

(١١) الطبرى : **تاريخ الرسل والملوك** ، ج٩ ، ط٢ ، تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٥ م ، ص ١٣٥ - ١٣٩ حوادث ٢٩ شعبان سنة ٢٣١هـ (يونية ٨٤٦م) .

الرواية . مر ابو عثمان بن عبيد بن باب السندى (الأصل ، التميمى (الولاء) البصرى (الدار) العابد شيخ المعتزلة (١٤٤هـ / ٧٦١م) بجماعة وقوف يشاهدون السلطان وهو يقطع يد سارق اعمالا لحد السرقة « فقال : لا اله الا الله ، سارق العلانية يقطع سارق السر » ([١٢]) . والسلطان الموصوم بالسرقة جهارا هو - لا ريب - أمير البصرة الغشوم الجهول سفيان بن معاوية بن سفيان بن معاوية المهلبى (١٣٢ - ١٣٣ ، ١٣٩ - ١٤٥هـ / ٧٤٩ - ٧٥٠ ، ٧٥٧ - ٧٦٢م) . وهو جازر ابن المقفع ومحرقه .

وهذا عالم أهل المغرب أبو خالد عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الشعبانى (١٦١هـ / ٨٧٧م) يفد على الخليفة أبى جعفر عبد الله المنصور (١٣٦ - ١٥٨هـ / ٧٥٤ - ٧٧٥م) بهاشمية الكوفة فى أوائل سنة ١٣٨هـ (٧٥٥م) فيسأله : « كيف رأيت ما وراء بابنا ؟ » . فيجيبه فى شجاعة : « رأيت ظلما فاشيا وأمرا قبيحا » . ويلاينه المنصور قائلا : « لعله فيما بعد من بابى » . فيرد عليه ابن انعم فى جراة ما بعدها جراة : «بل كلما قربت من بابك استفحل الامر وغلظ » ([١٣]) .

ودولة هذا شأنها ، تحكم مجتمعا فسق فيه مترفوه ، دفعت المتدينين الى الابتعاد عن طريقها تورعا وزهدا ، والعمل فى معظم الأحيان بالتجارة . وانضاف اليهم اليائسون من الغنى والمصدومون فى حب او منصب او جاه أو مال . ولحق بهؤلاء وأولئك المكتئبون من ارباب الهموم والغموم والمسرفون على انفسهم من اصحاب الخطايا

---

(١٢) الأبشيهى : المستطرف فى كل فن مستظرف ، ج١ ، المطبعة المحمودية ، القاهرة ، ص ٢٨٣ .

(١٣) أبو العرب : طبقات علماء افريقية ، ج١ ، نشر محمد بن أبى شنب ، الجزائر ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م ، ص ٣٠ .

والذنوب ، فكان ذلك ايذانا بنشوء التصوف ·وفى نشأة التصوف يقول ابن خلدون : « فلما فشا الاقبال على الدنيا فى القرن الثانى (الهجرى) وما بعده وجنح الناس الى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة » ([١٤]) · وهذا اللقب الذى حمله هؤلاء العباد جاء نتيجة تعمقهم فى دراسة الأسرار النفسية ، وكانوا يسمون من قبل زهادا ونساكا ([١٥]) ·

٢ ـ التصوف والفتوة :

اقترن ببزوغ التصوف شيوع الفتوة بين المتصوفة · والفتوة أو الفتاء (بالفتح والمد) اسم يطلق على الصبى والحديث السن والشاب والصاحب والخادم · ويطلق أيضا اسم الفتوة على الذكر والانثى ، فيقال للرجل فتى وللمرأة فتاة · وتطلق الفتوة فى العرف على مجموعة من الفضائل تميز المتصف بها عن غيره من الناس · وأخص هذه الفضائل الكرم والمروءة والشجاعة والصدق والوفاء والامانة والرحمة ([١٦]) · وبهذا المعنى العرفى الخلقى وجدت الفتوة قبل

---

(١٤) ابن خلدون : المقدمة (وهى الجزء الأول من كتاب العبر) ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ص ٤٦٧ ·

(١٥) الدكتور زكى مبارك : التصوف الاسلامى فى الادب والاخلاق ، ج٢ ، ط١ ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٧م ، ص ٢٦ ·

(١٦) ابن عمار : الفتوة ، تحقيق الدكتور فؤاد حسنين ، الكتاب السابع من مجموعة كتب ثقافية (الكتاب الثالث من كتب التراث القديم) ، القاهرة ١٩٥٩م ، ص ٢٣ ـ ٢٤ · وراجع الدكتور أبا العلا عفيفى : الملامتية والصوفية وأهل الفتوة ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م ، ص ٢٤ ·

الاسلام وفى الصدر الأول منه فى بلاد العرب وفارس . وبها اختص أبو الحسن وأبو تراب على بن أبى طالب الملقب بحيدرة خاتم الخلفاء الراشدين (٣٥ - ٤٠هـ / ٦٥٦ - ٦٦١م) وأهل بيته حتى قيل فى الأثر: « لافتى الا على » . ولكنها كانت الى ذلك العهد أمرا فرديا لا وجود له فى جماعة منظمة . ولا يعرف نظام اجتماعى لأهل الفتوة الا فى عصر متأخر . وعندما نشأ التصوف فى القرن الثانى الهجرى (ق٨م) اتصلت الفتوة به وانصبغت بصبغته وعلى الأخص فى البلاد الاسلامية ذات الحضارات القديمة لاسيما فارس ([١٧]) . ويبدو أن أول اتصال بين الفتوة المنظمة داخل هيئات اجتماعية وبين الصوفية كان فى العراق المتصل اتصالا وثيقا ببلاد فارس . وكان ذلك فى دائرة أحد كبار التابعين وهو الفقيه النظار العابد الناسك أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن يسار البصرى (١١٠هـ / ٧٢٨م) الذى أطلق على تابعه الفقيه أبى بكر أيوب بن أبى تميمة كيسان السختيانى (١٣١هـ / ٧٤٨م) لقب « سيد الفتيان » . ولما ظهر التصوف ظهرت فيه مع فضيلة التقوى مجموعة من الفضائل الأخرى المستمدة من الفتوة . فلما كمل نموه فى القرنين الثالث والرابع الهجريين (ق٩ ، ١٠م) قويت فيه الفكرة الأساسية التى امتازت بها الفتوة العربية القديمة ، وهى فكرة الايثار واعتبرها الصوفية من أوائل مبادئهم واضافوا اليها صفات أخرى متصلة بها مثل كف الأذى وبذل الندى وترك الشكوى واسقاط الجاه ومحاربة النفس والعفو عن زلات الغير وغير ذلك من معانى التصوف ([١٨]) حتى صارت الفتوة عندهم درجة من درجات الصديقين

---

(١٧) المرجع السابق ، ص ٢٤ .

(١٨) المرجع نفسه ، ص ٢٥ - ٢٦ . ولاحظ أن مؤلفه يجعل لقب (سيد الفتيان) للحسن البصرى . راجع ابن سعد : الطبقات الكبرى ، م٧ ، دار صادر ، بيروت ، ص ٢٤٧ ترجمة أيوب بن أبى تميمة السختيانى .

(المؤمنين) (١٩) . ولذا وجدنا الثورى ينصح مريديه قائلا : « اياكم وصحبة القراء (الفقهاء) ، وعليكم بصحبة الفتيان » (٢٠) . والفينا تلميذه ابا محمد سفيان بن عيينة بن أبى عمران ميمون الهلالى الكوفى الأعور (١٩٨هـ / ٨١٤م) يثنى على الشافعى ويقول : « هذا أفضل فتيان أهل زمانه » (٢١) .

وفى ظل حكم الفرس فى اقليم خراسان من الطاهرية (٢٠٥ - ٢٥٩هـ / ٨٢٠ - ٨٧٢م) والصفارية (٢٥٤ - ٢٨٩هـ / ٨٦٨ - ٩٠٢م) والسامانية (٢٦١ - ٣٨٩هـ / ٨٧٤ - ٩٩٩م) وفى اقليم العراق من البويهية (٣٣٤ - ٤٤٧ هـ/ ٩٤٥ - ١٠٥٥م) تهذبت حركة الفتوة وتطاولت . وكان لمدرستى التصوف فى نيسابور وبغداد قاعدتى الاقليمين قصب السبق فى ذلك . وكانت الريادة فى مدرسة بغداد لأبى عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى (٢٤٣هـ / ٨٥٧م) ، وفى مدرسة نيسابور لأبى حفص عمرو بن سلمة (وقيل سالم وقيل مسلم) الحداد الملامتى (٢٧٠هـ / ٨٨٣م) وقيل لأبى صالح حمدون بن احمد بن

---

(١٩) احمد محمد حجاب : العظة والاعتبار ، آراء فى حياة السيد البدوى الدنيوية وحياته البرزخية ، مطبعة سعيد ، طنطا ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م ، ص ١٥٢ .

(٢٠) حلية الاولياء ، م٧ ص ٥٢ رواية حجاج بن محمد الأعور الفقيه (٢٠٦هـ / ٨٢١م) .

(٢١) ابن فرحون : الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب ، وبهامشه كتاب نيل الابتهاج لبابا التنبكتى ، ط١ ، مطبعة المعاهد بالجمالية ، القاهرة ١٣٥١هـ / ١٩٣٣م ، ص ٢٢٨ ترجمة الشافعى.

عمارة القصار الملامتى (٢٧١هـ / ٨٨٤م) أولهما معا (٢٢) • وتقوم طريقة المحاسبى التى من أجلها سمى بها على طريقة اخضاع الأعمال والأفكار للنقد والاختيار لمعرفة مدى صحتها ومراعاتها لحقوق الله •• وهذا هو معنى الرعاية الذى الف فيه المحاسبى كتابا خاصا (٢٣) • أما الملامتى - أبو حفص الحداد أو حمدون القصار - فعرف بذلك نسبة الى طريقته القائمة على الملامة التى هى بخع النفس وتأنيبها • وقد اختص بمذهبه أهل خراسان فسموا بالملامية أو الملامتية على غير قياس • وهو اسم يقابل اسم الصوفية الذى كان يسمى به أهل العراق أولا (٢٤) • وهؤلاء الملامتية يتعمدون الظهور بين الناس بما يشعر انه مناف لظاهر الشرع استجلابا للذم والملامة ، وذلك لأنهم يعتبرون الدين معاملة بينهم وبين الله ، وسرا لا يطلع عليه أحد سواه ، بل لا تطلع عليه نفوسهم لأن رؤية الأفعال فى مذهبهم مبطلة للأفعال • فهم لايظهرون للخلق خيرا ولا يدعون لأنفسهم طاعة • ولذلك خالف الملامتية الصوفية فى كثير من تعاليمهم وطقوسهم ، فلم يلبسوا خرقة الصوفية ، ولم يحضروا مجالس السماع ، ولم يبيحوا لمريديهم التواجد والظهور بمظهر الجذب أو أى مظهر يشعر بالدعوى أو يجلب الشهرة وذلك سترا لحالهم (٢٥) • واذا كانت الملامة هى الركن الأول للتصوف

---

(٢٢) انظر عن مدرسة بغداد : التصوف الثورة الروحية فى الاسلام ، ص ٩٤ - ٩٥ ، وعن مدرسة نيسابور : المرجع السابق ، ص ٩٦ - ٩٨ ، الملامتية والصوفية وأهل الفتوة ، ص ٣٤ - ٤٧ • قد يذكر أبو عثمان سعيد بن اسماعيل بن منصور الحيرى النيسابورى المعروف بالواعظ (٢٩٨هـ / ٩١٠م) كمؤسس ثالث للملامتية بعد أبى حفص الحداد وحمدون القصار •

(٢٣) التصوف الثورة الروحية فى الاسلام ، ص ٩٥ •

(٢٤) الملامتية والصوفية وأهل الفتوة ، ص ١٣ - ١٤ •

(٢٥) التصوف الثورة الروحية فى الاسلام ، ص ١٢٧ •

الملامتى فان الفتوة هى ركنه الثانى • وفى رأى الدكتور أبى العلا عفيفى أن نظرية الملامتية فى الملامة فرع من نظريتهم فى الفتوة ([٢٦]) ، وأن معظم تعاليم الملامتية مستمد من تقاليد الفتيان وتعاليمهم ، وأن الملامتية هم فتيان زهاد المسلمين الحقيقيون الذين تظهر فيهم الفتوة بآثارها الظاهرة والباطنة أكثر من ظهورها فى غيرهم من فرق التصوف الأخرى ([٢٧]) • يؤيد ذلك أن شيخ الصوفية بخراسان أبا عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى السلمى النيسابورى (٤١٢ هـ / ١٠٢١م) عندما أراد أن يفسر صفات الملامتية فى رسالته عنهم ذكر من بينها أخص صفات الفتوة ، وأن مؤسسى الملامتية الأوائل فهموا «الملامة» على أنها نوع من الفتوة أو الرجولة وأطلقوا على أنفسهم اسم الفتيان والرجال ([٢٨]) • فالملامتى المستحق اسم الفتوة لديهم - حسب رد أحدهم - هو « من كان فيه اعتذار آدم ، وصلاح نوح ، ووفاء ابراهيم، وصدق اسماعيل ، واخلاص موسى ، وصبر أيوب ، وبكاء داود ، وسخاء محمد ﷺ ، ورأفة أبى بكر ، وحمية عمر ، وحياء عثمان ، وعلم على ، ثم مع هذا كله يزدرى نفسه ، ويحتقر ما هو فيه ، ولايقع بقلبه خاطر مما هو فيه أنه شىء ، ولا أنه حال مرضى ، يرى عيوب نفسه ونقصان أفعاله وفضل اخوانه عليه فى جميع الأحوال » ([٢٩]) •

ولما كانت من صفات الصوفية عامة كثرة الدعاوى ، وهى مسألة

---

(٢٦) المرجع السابق ، ص ٩٦ •

(٢٧) الملامتية والصوفية وأهل الفتوة ، ص ٢٩ •

(٢٨) المرجع السابق ، ص ٢٧ - ٢٨ •

(٢٩) السلمى : رسالة الملامتية ، ذيل على كتاب الملامتية والصوفية وأهل الفتوة للدكتور أبى العلا عفيفى (من ص ٨٦ الى ص ١٢٠) ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م ، ص ٩٢ - ٩٣ •

يختلفون فيها تماما عن الملامتية ، سهل على بعضهم اعتبار الدعاوى من مقومات الصوفية . فالفتى الصوفى فى نظر هؤلاء من كانت له دعوى يدافع عنها ويضحى بنفسه فى سبيلها كأبى المغيث الحسين بن منصور بن محمى المعروف بالحلاج (٣٠٩ هـ/ ٩٢٢م) (٣٠) .

وقد انخرط فى سلك الفتوة الكثير من الموالى وشاركوا فى تكوين وحدات الحدود التى رابطت فى الثغور الاسلامية الآسيوية لرد اعتداءات وثنيى الأتراك والمغول من ناحية والروم من ناحية أخرى . ورابط هؤلاء الفتيان فى رباطات أشهرها فى بلاد التركستان لمحاربة المغول سكان أواسط آسيا ، وعلى الحدود الفاصلة بين العراق والشام وآسيا الصغرى المسماه بالثغور الجزرية والشامية لرد عادية الروم ، وعلى طول سواحل الشام ومصر والمغرب لصد غارات الروم والافرنج، وفى شمال الأندلس لمقاومة الممالك النصرانية . لذلك أطلق على هؤلاء الفتيان اسم المرابطين والغزاة . ولم يكن الرباط مركزا حربيا فحسب ،

---

(٣٠) الملامتية والصوفية وأهل الفتوة ، ص ٢٧ . أتهم الحلاج بمذهب الحلولية ، وأفتى فقهاء بغداد باباحة دمه ، فأمر الخليفة العباسى المقتدر بالله أبو الفضل جعفر (٢٩٥ - ٣٢٠هـ / ٩٠٨ - ٩٣٢م) بتنفيذ حد الحرابة (راجع : القرآن ، سورة المائدة ، آية ٣٣) فيه ، فضرب ألف سوط ، وقطعت أوصاله ، وصلب عند جسر بغداد فى يوم الثلاثاء لست بقين من ذى القعدة سنة ٣٠٩هـ(٢٥مارس ٩٢٢م) ، ثم انزل من جذعه الذى صلب عليه بعد ثلاثة أيام ، وأحرق ، وطرح رماده فى نهر دجلة . البغدادى : الفرق بين الفرق تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة مدنى بالعباسية، القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م ، ص ٢٦٣ ، الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، م٨ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٤٩هـ / ١٩٣١م ، ص ١١٢ - ١٤٢ ترجمة ٤٢٣٢ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، م٨ ، دار صادر - دار بيروت ، بيروت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م ص ١٢٦ - ١٢٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج٣ ، ط ١، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٥١ / ١٩٣٢م ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

بل كان دينيا أيضا خصوصا بعد أن امتزجت الفتوة بالتصوف ، فأصبح الرباط على الحدود الاسلامية مركزا للصوفية ([٣١]) .

وقد امتدت آثار حركة الفتوة الصوفية الى مصر فى العصر الفاطمى الثانى (٤٥٧ - ٥٦٧هـ / ١٠٦٤ - ١١٧١م) وفى العصرين الأيوبى (٥٦٧هـ - ٦٤٨هـ / ١١٧١ - ١٢٥٠م) والمملوكى (٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م) . وكان لها دورها البطولى فى صد الهجمة الصليبية عليها حتى أن أحد أقطاب الصوفية بها وهو ولى طنطا الكبير أبو العباس أحمد بن على بن ابراهيم العلوى الحسينى المعروف بالسيد البدوى (٦٧٥هـ / ١٢٧٦م) لقب بأبى الفتيان كناية عن قوته البدنية والروحية هو واتباعه فى جهاد الصليبيين ([٣٢]) . وفى العصر الحديث أرادت حكومة مصر الثورة (١٣٧١ - ١٤٠١هـ / ١٩٥٢ - ١٩٨١م) بعث تلك الحركة تحت مسميات مختلفة (كالفتوة والحرس الوطنى والتنظيم الطليعى) وخاصة بين الأوساط العمالية والطلابية والهيمنة عليها ، بيد أنها فشلت فشلا ذريعا اذ فاتها أن الفكر وتطبيقه وشعبيته لا ينشأ بالأمر أو الجبر أو القهر .

ويمكن بحق احتساب « جماعة الاخوان المسلمين » المعاصرة التى أسسها الشيخ حسن عبد الرحمن أحمد الساعاتى البحيرى المحمودى الملقب بالبنا (١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م) فى ذى القعدة سنة ١٣٤٧هـ (مارس ١٩٢٨م) من بين جماعات الفتوة الصوفية الاسلامية ذات الطبيعة

---

(٣١) مقدمة الدكتور فؤاد حسنين على كتاب الفتوة لابن عمار ، ص ٩ . وأنظر عن الرباط : القوى السنية ، ج١ ، هامش ٣ ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .

(٣٢) راجع : العظة والاعتبار ، ص ١٥٢ .

الشعبية • ولذا بقيت حتى الآن • وقد لعبت تلك الجماعة بتشكيلاتها العسكرية المعروفة بالجوالة دورا فذا فى الاصلاح الدينى والاجتماعى وفى الكفاح المسلح ضد الاستعمارين الانجليزى والصهيونى • ومما يؤسف له أن الحكومات المستبدة فى مصر رات فى تلك الجماعة منافسا سياسيا خطيرا لها فجهدت فى تصفيتها وتصفية زعمائها فى سنوات ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م) و١٣٧٣هـ (١٩٥٤م) و ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) (٣٣) •

وما من شك أن الفتوة الاسلامية هى الصورة الشرقية لحركة الفروسية المسيحية المرتبطة بالنظام الاقطاعى Feudalism فى الغرب الأوربى ، بل هى صورة شرقية أصيلة لحركة الرهبان الفرسان من الاسبتارية The Knights Hospitallers والداوية The Knights Templars الناهضة زمن الحروب الصليبية The Crusades (٤٨٩ – ٧٩٨هـ / ١٠٩٦ – ١٣٩٦م) (٣٤) •

وفى هذا المعنى يقول الدكتور فؤاد حسنين : « لاشك أن الاتصال

---

(٣٣) راجع : هذا هو الطريق (حول جماعة الارهاب) ، نشر ادارة الشئون العامة للقوات المسلحة ، مطبعة التحرير بعابدين ، القاهرة ١٩٦٥م ، ص ٣٩ – ٧٣ • وأنظر : جريدة الوفد ، العدد ١٦ ، الخميس ٢٨ رمضان ١٤٠٤هـ / ٢٨ يونيه ١٩٨٤م ، ص ٧ مقال بعنوان : عالم من زماننا • ولاحظ أن الجوال من معانى كلمة العيار كما سيرد •

(٣٤) راجع نقد فرانز تايشنر Fr. Taeschner لمقال جيرارت سالينجر Gerard Salinger هل كانت الفتوة شكلا شرقيا لحركة الفروسية ؟ Was the Futuwwa an oriental form of chivalry ? فى مجلة Oriens 5, 1952, pp. 332 - 336 وأنظر عن الفتوة الاسلامية وصلتها بالفروسية المسيحية

Her Thorning, Beitrage Zur Kenntnis Islamischen Vereinswesens (Turkisch Bibliothek, 16), Berlin 1913.

بين العرب والافرنج وبخاصة فى العصور الوسطى ترك أبعد الاثر فى خلق نظام الفروسية المعروف فى العصور الوسطى الأوربية ، وقد تم هذا الاتصال فى الجهات التى التقى فيها المسلمون بالمسيحيين ، فمثلا فى الأناضول (آسيا الصغرى) حيث طال الالتحام بين المسلمين والبيزنطيين (الروم) نجد أنه قامت منطقة حدود فاصلة بين المسلمين والبيزنطيين ، ولاشك أننا فى الجانب الاسلامى كنا نجد المسلمين المرابطين يحيون حياة الفتوة الاسلامية قياما بواجب الجهاد ، وهو فرض كفاية . ولذلك كان يلقب المجاهد المسلم بلقب (غازى) .

وفى الناحية البيزنطية نجد الطائفة المعروفة باسم (أكريتاى) واغلبهم من الأرمن وان كنا لسنا على يقين من أن (الأكريت) هؤلاء اقتبسوا نظام الفتوة الاسلامية كاملا الا انهم بالرغم من ذلك كانوا يكونون طائفة من الفرسان . وفى غير الأناضول تم الاتصال بين المسلمين والافرنج ، وبخاصة مع الشعوب الجرمانية الرومانية فى ثلاثة مواضع بأسبانيا (الأندلس) ، وصلقية ، وفى فلسطين حيث دارت وحى الحروب الصليبية . أما اسبانيا فقد كانت أهم هذه المواضع وأصلحها، لأن المسلمين نجحوا هناك فى غزو البلاد سياسيا وثقافيا ودينيا ، واضطروا الافرنج الى ان يكونوا دائما على اهبة الاستعداد فاقبل شباب الافرنج على الفنون الحربية الاسلامية يتعلمونها ، واضطر المسيحيون الى انشاء جيش من الفرسان أسوة بفرقة الفرسان العربية التى كانت تعتبر اقوى فرقة فى الجيش الاسلامى . وهكذا نجد اسبانيا هى البلد الذى يجمع بين الفروسية والفكرة الدينية الاسلامية كما هو الحال فى الفتوة الاسلامية . لذلك نشأ فى أوربا النظام المعروف باسم فروسية الاخوان .

وما يقال عن أسبانيا يقال ايضا عن صقلية ، فاننا نجد مسلمين قد نزحوا اليها من شمال افريقية يحيون مع النورمنديين ورجال

الهوهنشتوفن حيث كانت الأرض صالحة لقيام نظام فرسان على النمط الاسلامى الموجود فى الفتوة .

اما فى فلسطين ، فقد اخذ الصليبيون عن المسلمين لا أقول نظام الفتوة فحسب ، بل أخذوا كذلك طرق الحياة والمعيشة . وهكذا لم تكن الحروب الصليبية شرا كلها ، بل نقلت الى الغرب من بين ما نقلت فتوة تسمو بفتيانها الى المثل العليا التى تنهض بالمجتمع الانسانى وتدفعه الى الامام » (٣٥) .

٣ - صلة العيارة والشطارة بالفتوة الصوفية :

بينما نجد مرابطين يقومون بواجب الجهاد على الحدود الاسلامية ، اذا بنا نجد فى بعض المدن جماعات أخرى للفتيان حانقة ثائرة على الأوضاع الاجتماعية فى ذلك الحين ، فلا عدالة اجتماعية ، ولا عناية بالطبقات الفقيرة ، ولا حكومة رشيدة مستقرة ، لذلك استباحت هذه الجماعات لنفسها عصيان الحاكم ومخالفة القوانين والخروج على العرف المالوف ، فهاجموا رجال الدولة ونكلوا بهم ، كما سلبوا الأثرياء أموالهم وأملاكهم حتى لقبوا بالعيارين (جمع عيار) أو الشطار (جمع شاطر) (٣٦) . وتحدثنا المصادر التاريخية والأدبية أن العيارين كانوا ينزعون الى حماية الفقراء واسعادهم بالاستيلاء على أموال الأغنياء وأملاكهم وتوزيعها بين الفقراء (٣٧) . وهذا يعنى أن

---

(٣٥) مقدمة كتاب الفتوة لابن عمار ، ص ١٨ - ١٩ .

(٣٦) المرجع السابق ، ص ٩ - ١٠ .

(٣٧) المرجع نفسه ، ص ١٠

العيارين اخذوا على عاتقهم مهمة اصلاح الخلل الاجتماعى والاقتصادى بالقوة فخافتهم الطبقة المترفة الثرية وعادتهم ([38]) ٠

والعيار (كشداد) فى اللغة هو الرجل الكثير المجىء والذهاب فى الأرض ، وقيل : هو الذكى الكثير التطواف والحركة ٠ والعرب تمدح بالعيار وتذم به ، يقال : غلام عيار نشيط فى المعاصى ، وغلام عيار نشيط فى طاعة الله ٠ وربما سمى الأسد بالعيار لتردده ومجيئه وذهابه فى طلب الصيد ٠ قال ابو شريح أوس بن حجر التميمى (٦١٠م) :

ليث عليه من البردى هبرية * كالمزبرانى عيار بأوصال**

أى يذهب بأوصال الرجال الى أجمته ([39]) ٠ ونقل اللغوى ابو

---

(٣٨) Cf. The Encyclopaedia of Islam, new ed., vol. I, fasc 13, E.J. Brill, Leiden 1955, art. «Ayyar» Fr. Taeschner, p. 794.

(٣٩) الزبيدى : تاج العروس من جواهر القاموس ، المطبعة الخيرية بالجمالية ، القاهرة ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م ، ج٣ ص ٤٣٤ مادة عير٠ وأوس بن حجر من فحول شعراء الجاهلية ٠ وهو يعد فى الطبقة الثانية منهم ٠ وكان شاعر تميم فى الجاهلية ٠ وله ديوان طبع فى فينا مع ترجمة المانية سنة ١٨٩٢م بعناية المستشرق الالمانى رودلف جاير Rudolf Gayer وعليه تعليقات ٠ راجع جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، م١ / ج١ ، مطبعة الهلال بالفجالة ، القاهرة ١٩١١م ، ص ٧٧ ، ١٥٩ ، أ٠ هافنر A. Haffner مادة أوس بن حجر فى دائرة المعارف الاسلامية (المترجمة) ، م٣ ، ، القاهرة ، ص ١٥٢ ٠ والبردى (بالضم) ثوب مخطط ، وخص بعضهم به الوشى ٠ الزبيدى ، ج٢ ص ٢٩٧ مادة برد ٠ والهبرية ويقال الابرية (كشرذمة) ما طار من زغب القطن الرقيق ٠المرجع السابق ،ج٣ ص ٦٠٩ مادة هبر ٠والمراد =

نصر اسماعيل بن نصر بن حماد التركى الفارابى المعروف بالجوهرى صاحب قاموس الصحاح (توفى حوالى سنة ٤٠٠هـ / ١٠٠٩ - ١٠١٠م) فى هذا الصدد :

لما رأيت أبا عمرو رزمت له ** منى كما رزم العيار فى الغرف (٤٠)

ولعل ذلك مأخوذ من قولهم رجل عيار اذا كان كثير التطواف والحركة ذكيا . أنشد مضرس بن أنس المحاربى :

ولقد شهدت الخيل يوم يمامة ** يهدى المقانب فارس عيار (٤١)

والعيار صيغة مبالغة للعائر ، وهو المتردد الجوال . ومنه المثل : « كلب عائر خير من أسد رابض » . ومن أمثال العرب المرتبطة بكلمة العيار قولهم : « جرادة العيار » (٤٢) ، نسبة الى العيار وهو رجل أثرم أخذ جرادة ليأكلها فأفلتت من موضع الثرم فى مقدم اسنانه بعد

= هنا اللبدة التى تحيط برقبة الأسد . والمزبرانى تهويل فى أزبر بمعنى عظيم الكاهل . المرجع نفسه ، ج٣ ص ٢٣١ مادة زبر .

(٤٠) نفسه ، ج٣ ص ٤٤ مادة عير . ورزم (بالفتح) ثبت فى مكانه . والرزم (كصرد) الثابت القائم على الأرض ، وأيضا الأسد لأنه يرزم على فريسته . نفسه ، ج٨ ص ٣١٠ مادة رزم . والغرف جمع غريف وهو الغابة . نفسه ، ج٣ ص ٤٣٤ مادة عير .

(٤١) نفسه ، ج٣ ص ٤٣٤ مادة عير . والمقانب جمع مقنب (كمكتب) . وهو الجماعة من الخيل والفرسان ما بين ثلاثين الى الأربعين أو دون المائة أو زهاء ثلاثمائة تجتمع للغارة . نفسه ، ج١ ص ٤٤٠ مادة قنب .

(٤٢) نفسه ، ج٣ ص ٤٣٥ مادة عير .

مكابدة العناء فصار مثلا ([٤٣]) . واليه اشار الشاعر مسروح بن ادهم النعامى الكلبى فى قوله :

ولقد رأيت فوارسا من رهطنـا ** غنظوك غنظ جرادة العيار (٤٤)

وفعل العيار عار ، وتصريفه عار يعير عيارا وعيارة (بالكسر) ([٤٥]) وعيرانا (بالفتح) ([٤٦]) . ومن معانيه ان يقال عار الرجل فى القوم اذا عاث وعاب ذكرهم ، او اذا ذهب وجاء يضربهم بالسيف ([٤٧]) .

نستنتج من ذلك ان لفظ العيار نعت للرجل الفتى السن النشيط فى المعاصى او فى طاعة الله الذى يضارع الأسد شجاعة وجراة وجسارة

---

(٤٣) نفسه،ج٢ ص ٢١٨ مادة جرد ، ج٥ ص٢٥٦ مادة غنظ . والثرم (بالفتح) انكسار السن من اصلها او انكسار سن من الاسنان المقدمة مثل الثنايا والرباعيات او خاص بالثنية . يقال ثرم الرجل فهو اثرم وهى ثرماء . نفسه ، ج٨ ص ٢١٧ مادة ثرم . والعامة فى مصر تخفف الثاء فى ثرم الى تاء فتقول ترم .

(٤٤) نفسه ، ج٢ ص ٣١٨ مادة جرد ، ج٣ ص ٤٣٥ مادة عير ، ج٥ ص ٢٥٦ مادة غنظ . فى مادة عير نجد كلمة «قومنا» فى صدر البيت مكان كلمة «رهطنا» . والغنظ «بالفتح» الكرب الشديد . يقال غنظه الأمر اذا جهده وشق عليه . ويقال غنظه الهم اى لزمه . وفى راى اللغوى ابى عبيدة معمر بن المثنى التميمى البصرى (٢١١هـ / ٨٢٦م) ان الغنظ هو ان يشرف الانسان على الموت من الكرب ثم يفلت منه ، ودليله قول الشاعر ابن ادهم النعامى . نفسه ، ج ٥ ص ٢٥٦ مادة غنظ .

(٤٥) نفسه ، ج٣ ص ٤٣٣ مادة عير .

(٤٦) نفسه ، ج٣ ص ٤٣٥ مادة عير .

(٤٧) نفسه ، ج٣ ص ٤٣٥ مادة عير .

واقداما . وهو بهـذا المعنى الاصطلاحـى دخل التاريـخ السـياسى والاجتماعى والدينى فى الاسلام . وفى حوادث سنة ٧٠٠هـ (١٣٠١م) حيث الاشارة الى حملة غازان محمود بن أرغون حفيد هولاكو سابع ايلخانات المغول فى فارس (٦٩٤ - ٧٠٣هـ / ١٢٩٥ - ١٣٠٤م) على حلب نجد لفظ العيارة (جمع عيار) يطلق على قادة سرايا الاستطلاع المغولية كدليل على فدائيتهم وفتوتهم ([٤٨]) وهو معنى لصيق بالمقصود .

أما الشاطر فهو الذى شطر على أهلـه وانفصـل عنهم وتركهـم مراغما أو مخالفا وأعياهم خبثا ومكرا . وقول الناس « فلان شاطر » معناه انه أخذ فى نحو غير الاستواء . ولذلك قيل له شاطر لأنه تباعـد عن الاستواء .. وهو مأخوذ من شطر عنهم شطوراً وشطورة (بالضم) وشطارة (بالفتح) . وفى «الجواهر الخمس» وهو كتاب فى الحروف والأسماء على اصطلاح المتصوفة لأبى المؤيد محمد بن خطير الدين بـن بايزيد العطار المتصوف الهندى الملقب بالغوث (٩٧٠هـ / ١٥٦٢م) ما نصه : « الجوهر الرابع : مشرب الشطار ، جمع شاطر ، أى السباق المسرعين الى حضرة الله تعالى وقربه . والشاطر هو السابق كالبريـد الذى يأخذ المسافة البعيدة فى المدة القريبة . وقـال الشيخ فى مشرب الشطار : يعنى أنه لايتولى هذه الجهة الا من كـان منعوتا بالشاطر الذى أعيى أهله ونزح عنهم ، ولو كان معهم اذ يدعونه الى الشهوات والمألوفات » ([٤٩]) . وتأكيدا لذلك لدينا شهادة تقريرية معاصرة مـن

---

(٤٨) راجع الذهبى : دول الاسلام ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم ، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٤م ، ج٢ ص ٢٠٥ . والظاهر أن المغـول أخـذوا ذلك عن الخوارزمية (٤٩٠ - ٦٢٨هـ/١٠٩٧ - ١٢٣١م) . أنظر النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، تحقيق حافظ أحمد حمدى، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٥٣م ، ص ٢٠٢ حوادث سنة ٦٢٢هـ (١٢٢٥م) .

(٤٩) نفسه ، ج٣ ص ٢٢٩ مادة شطر نقـلا عن السيد محمد حميـد الدين (؟) الغوث . أنظـر الزركلى : الأعـلام ، ج٦ ، ط٣ ، بيروت ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م ، ص ٣٤٧ ترجمة ابن خطير الدين =

القرن الثانى الهجرى (ق٨م) لسفيان الثورى احد رواد الصوفية الأوائل ادلى بها الى حواريه ابى يعقوب يوسف بن اسباط الكوفى (١٩٥هـ / ٨١٠م) تقول : « لقد ادركنا اقواما شطارا هم ابقى لمروءاتهم من قراء (فقهاء) هذا الزمان » (٥٠) ٠

نخلص من ذلك ان لفظ الشاطر يطلق على الرجل الواسع الحيلة والدهاء الذى بعد او ابعد عن اهله واقترب من الله بالطاعة او ابتعد عنه بالمعصية ٠ وهو بهذا المعنى الاصطلاحى دخل ايضا التاريخ السياسى والاجتماعى والدينى فى الاسلام وارتبط ولفظ العيار أشد الارتباط بحركة الفتوة الاسلامية فالصوفية ٠

ويجب أن نتذكر دائما أن معاصى العيارين والشطار التى المعت اليها المعاجم اللغوية واثبتتها المصادر التاريخية والأدبية تنحصر فى التفتى والسرقة وقطع الطريق ، اى فى التلصص القائم على الفتوة كاسلوب عنيف لمقاومة القهر الاجتماعى والسياسى بالقوة ٠ وبقيت لهم مع ذلك اخلاق الفتيان والفرسان من المروءة ، والشهامة ، والشجاعة ، والنجدة ، والجود ، وحفظ الجوار ، واتقاء الحرم ، وقضاء الذمام ، والوفاء بالعهد ، والصبر على الأذى مهما بلغت شدته ٠

= وكتاب الجواهر الخمس مطبوع فى جزئين صغيرين ٠المرجع السابق، ج٦ ص ٣٤٧ ٠ وقد الفه ابن خطير الدين بكجرات Kujrat بالساحل الغربى للهند فى سنة ٩٥٦هـ (١٥٤٨م) ورتبه على جواهر : الأول فى العبادة ، والثانى فى الزهد ، والثالث فى الدعوة، والرابع فى الأذكار ،والخامس فى عمل المحققين من أهل الطريقة٠ حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، م١ ، مطبعة وكالة دار المعارف ، استنبول ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م ، ص ٦١٤، ٦٥٢ ٠

(٥٠) حلية الأولياء ، م٧ ص ٧٩ ٠

ومما يدل على صلة العيارة والشطارة بالفتوة الصوفية ان كثيرا من الفتيان العيارين أو الشطار الذين نعرف شيئا عن تاريخ حياتهم كانوا اما صوفية أو ممن لهم ميل الى الطريق الصوفى كما يظهر ذلك من جدال نوح العيار رئيس الشطار بنيسابور وحمدون القصار زعيم الملامتية بتلك المدينة حول معنى الفتوة (٥١) . « قال حمدون كنت أسير يوما فى حى من نيسابور فلقيت نوحا العيار احد المعروفين بالفتوة، وكان على راس الشطار بنيسابور ، فقلت له : يانوح ، ما الفتوة ؟ . قال : فتوتى أم فتوتك ؟ . فقلت : صف الاثنين . فقال : أخلع القباء، والبس الخرقة ، وافعل الأفعال التى تليق بهذا الثوب لعلى أصبح صوفيا واقلع عن المعاصى لما أشعر من الحياء لله . ولكنك تخلع الخرقة كيلا يخدعك الناس ويخدعوا بك . فتوتى فى اتباع ظاهر الشرع . أما فتوتك ففى تلبية نداء القلب » (٥٢) . فى هذا الجدال بيان للفارق بيان فتوة الشطار وفتوة الصوفية الملامتية . وفيه أعلن نوح تمسكه بلبس الخرقة كشعار للزهد والورع والتقوى وباعث على الطاعة ، وأصر على فعل ما يتمشى مع ظاهر الشرع ، وعارض حمدونا فى خلع الخرقة خشية الافتتان بلبسها ، اذ هى مظهر من مظاهر الادعاء والرياء ، ونعى عليه اهتمامه بباطن الشرع دون ظاهره . ومن ناحية أخرى نلاحظ أن كثيرا من رجال الصوفية المشهورين ذوى المكانة العالية كأبى على الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمى المروزى (١٨٧هـ / ٨٠٣م) وأحمد بن خضرويه البلخى (٢٤٠هـ / ٨٥٤م) وأبى تراب

---

(٥١) الملامتية والصوفية وأهل الفتوة ، ص ٢٤ — ٢٥ .

(٥٢) الهجويرى : كشف المحجوب لأرباب القلوب ، ترجمة ر.أ. نيكولسون R.A. Nicholson ، ليدن ولندن ١٩١١م ، ص ١٨٣ . وانظر : التصوف الثورة الروحية فى الاسلام ، ص ٢٨١ — ٢٨٢ ، الملامتية والصوفية وأهل الفتوة ، ص ٤٠ ، وكذا Taeschner, op. cit., p. 794.

عسكر بن حصين النخشبى (٢٤٥هـ / ٨٥٩م) وابى الحسن على بن احمد بن سهل البوشنجى (٣٤٧هـ / ٩٥٨م) وغيرهم كانوا من الفتيان الشطر قبل ان يدخلوا الطريق الصوفى (٥٣)» .

وفى ضوء ما ترويه كتب التاريخ والأدب من أخبار متناقضة عن هؤلاء الفتيان من أصحب الفتوة اللاهية (من العيارين) أو الفتوة الصوفية (من الزاهدين) فان ثمة تداخلا واختلاطا حدث بين الفريقين، كان من شأنه أن يوسع القاعدة العريضة ، فيما يمكن أن نسيه بالفتوة الشعبية ، فانتسب كثير من العيارين الى طوائف الفتيان ، كما ان كثيرا من الفتيان سلك سلوك العيارين ، ودرج المؤرخون على استخدام الاصطلاحين بمعنى واحد (٥٤) . والقصد أن العيارين واخوانهم الشطار صعاليك من جهة ودراويش من جهة اخرى . والصعاليك كلمة عربية واحدها صعلوك ، وهو الفقير المغير الفاتك . وصيغة المفرد هذه يحرفها

---

(٥٣) الملامتية والصوفية وأهل الفتوة ، ص ٢٥ . وانظر : المرجع نفسه ، ص ٣٧، ٣٩ .قيل فى سبب توبة الفضيل ـ وكان فى أول أمره شاطرا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس باقليم خراسان ـ أنه عشق امرأة ، فبينما يرتقى جدران دارها متسللا اليها ذات ليلة سمع قارئا يتلو : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله » (سورة الحديد ، آية ١٦) . فأثرت فيه هذه التلاوة ، وقال : «يارب قد آن » وتاب ، وآمن قافلة كانت تنتظر انبلاج الصبح فى خربة حتى لايقطع عليها الطريق . ابن خلكان : وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان ، ج١ ، تصحيح محمد بن عبد الرحمن قطة العدوى ، دار الطباعة الميرية المصرية ، القاهرة ١٢٧٥هـ . ص ٥٩١ ـ ٥٩٢ .

(٥٤) الدكتور محمد رجب النجار : حكايات الشطار والعيارين فى التراث العربى ، سلسلة عالم المعرفة (٤٥) ، الكويت ، شوال ـ ذو القعدة ١٤٠١هـ / سبتمبر (أيلول) ١٩٨١م ، ص ١٤٧ ـ ١٤٨ .

العامة فى مصر والمغرب الى زعلوك (٥٥) . وقد اختص بكلمة الصعاليك ذؤبان العرب ولصوصها فى الجاهلية (٥٦) ، ومن هؤلاء الخلعاء والأغربة والفقراء وغيرهم (٥٧) . اما الدراويش Daravesh فكلمة فارسية ، واحدها درويش وهو الفقير المسكين من المتصوفة (٥٨) . والتصوف يسمى الفقر والصوفية يسمون الفقراء (٥٩) . وجدير بالذكر ان كلمة الشاطر انسلخت الآن عن معناها الاصطلاحى كصعلوك أو درويش وأصبحت تطلق فى مجال الاعجاب والاطراء عموما (٦٠) .

يتضح من ذلك مدى الصلة الوثيقة بين الفتوة والصوفية لدرجة أن الأولى اندرجت فى الثانية وشكل مزاجهما فى صورته الشعبية مذهب العيارين أو الشطار ، حيث العيار يشير الى الشاطر والشاطر يدل على العيار (٦١) .

٤ ـ نشأة العيارين والشطار :

العيارون أو الشطار بالمعنى السياسى والاجتماعى فئة مطحونة

---

(٥٥) الدكتور عبد المنعم عبد العال : معجم شمال المغرب ، تطوان وما حولها ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ، ص ٩٦ مادة زعلوك . وراجع ابن منظور : لسان العرب ، م٤ ، دار المعارف القاهرة ، ص ٢٤٥١ مادة صعلك .

(٥٦) المصدر السابق ، م٤ ، ص ٢٤٥١ ، مادة صعلك .

(٥٧) حكايات الشطار والعيارين ، ص ١١٣ .

(٧٥) معجم شمال المغرب ، ص ٧٩ مادة درويش .

(٥٩) التصوف الاسلامى فى الأدب والأخلاق ، ج٢ ص ١٦٩ .

(٦٠) حكايات الشطار والعيارين ، ص ٢١١ .

(٦١) راجع : الملامتية والصوفية وأهل الفتوة ، ص ٤٠ .

جمعت بين الصعلكة والدروشة ظهرت فيما بين أواخر القرن الثانى الهجرى (ق٩م) وأواسط القرن السابع الهجرى (ق١٣م) فى فارس والعراق ثم بعد ذلك فى شمال الأردن • وعلى غرارهم نهجت فرقة الأحداث (القبضايات حاليا) بالشام والراندان بالأناضول (٦٢) والحرافيش والزعار والعياق والفتوات فى مصر (٦٣) • وكانت هذه الجماعات بمثابة ميليشيات شعبية Urban militia مجاهدة أو ناهبة، اذ ثمة ظروف ظهر فيما العيارون كمجاهدين فى سبيل العقيدة فى اقاليم الحدود الآسيوية بينما شكل آخرون فريقا معارضا فى المدن كان يقوى

---

(٦٢) راجع Taeschner, op. cit., p. 794. حيث القرن الثانى عشر (ق ٦هـ) هو نهاية حركة العيارين مع أنها امتدت الى القرن التالى • وانظر عن فرقة الأحداث •
The ency. of Is., vol, 1, fasc. 4, art Ahdath by Cl. Cahen, p. 256.

(٦٣) حكايات الشطار والعيارين ، ص ٧ • والحرافيش (جمع حرفوش) نطق عامى لحرافش (كرواتب) وواحدها حرفش (كسمسم) أى الأفعى ، والفعل منها احرنفش (بالحاء وربما جاء بالخاء) بمعنى تهيأ للقتال (راجع : لسان العرب ، م٢ ص ٨٤٠ مادة حرفش ، تاج العروس ، ج٤ ص ٢٩٧ مادة احرنفش) ، وبأصل مادته (بالخاء) المحذوف منها حرف الألف سمى حى الخرنفش بباب الشعرية • وفى رأى الدكتور محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين ، ص ٢٤٤ هامش ١٦١) أن الحرافيش مقلوب كلمة حرشوف بمعنى الجراد المهزول كثير العدد الذى يدمر الأخضر واليابس على ضآلة حجمه • وبعد أن استعرض الدكتور النجار نصوصا تاريخية مختلفة عن الحرافيش أيام المماليك استخلص أن الحرافيش فئة من الطبقات الدنيا ـ كثيرة العدد ـ استغلت تشجيع المماليك للتيار الصوفى الداعى الى الزهد فانخرطوا فى هذا التيار طمعا فى رزق ثابت مما كان يوقف فى التكايا والربط والخانقات ، بعد أن كانوا يتكسبون من الشحاذة ومن مصاحبة الجيوش عند الجهاد ، وأنهم ابان الفتن الداخلية لم يتورعوا عن التلصص ، فكانوا ينهبون بيوت الأمراء والمماليك فقط • المرجع السابق ، ص ١٨٢ ، ١٨٨ ، أما الزعار (جمع ازعر) فهم أهل الشراسة وسوء الخلق (تاج العروس ، ج٣ ص ٢٣٧ مادة زعر) • ويقال لهم كذلك الشلاق ، وواحدهم شلق =

شأنه فى أوقات ضعف الحكومة القائمة ويوقع الرعب والرهب فى افئدة الطبقات الثرية ٠ وكانت الفتن المذهبية والقلاقل السياسية والاضطرابات العنصرية مرتعا خصيبا لعمل هذا الفريق (٦٤) ٠

واول ذكر للعيارين يقع فى حوادث شهر ذى الحجة سنة ١٩٦هـ (اغسطس ٨١٢م) اثناء حصار ابى الطيب طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق بن أسعد الخراسانى مولى خزاعة (٢٠٧هـ / ٨٢٢م) لبغداد (الثلاثاء ١٢ ذى الحجة ١٩٦ ـ الاحد ٢٥ محرم ١٩٨هـ / ٢٤ اغسطس ٨١٢ ـ ٢٥ سبتمبر ٨١٣م) بامر ابى العباس عبد الله المأمون ابن ابى جعفر هارون الرشيد (٢١٨هـ / ٨٣٣م) المشاقولا خيه الخليفة

= وهو سىء الخلق الذى يدخل الخوف فى قلوب الناس ٠ حكايات الشطار والعيارين ، ص ١٩٧ ٠ أما العياق فجمع عايق بمعنى عائق الطريق او قاطعه وغالبا مايكون جميل الهيئة ٠ المرجع السابق ، ص ٢١٥ ٠ وقد فقدت هذه الكلمة معناها التاريخى وصار العائق هو المبالغ فى حسن الهندام والعناية بالمظهر ٠ نفسه ، ص ٢٣١ ٠ أما الفتوات (جمع فتوة) فهم بقايا عسكر الأحياء أيام المماليك والعثمانيين ٠ ولم يكن هؤلاء الا فرق الزعر والعاطلين وصغار الحرفيين واهل الحارات الذين ظل الحكام ينظرون اليهم فى خوف وشك حيث يصعب سيطرتهم دائما عليهم ٠ ونظر اليهم افراد الطبقة المتوسطة كذلك نظرة تشى بالخوف والاحتقار ٠ نفسه ، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ٠ ويستخدم مصطلح الفتوة الآن بمعنى المشاغب أو الشقى ٠ وللشقاوة فى زماننا معانى أخرى ، فيقال شقى أى مهدار حلو الشمائل ، ويقال شقية أى ضحوك ذات دل ودلال وغنج ٠ ومن المعروف أن هذه الجماعات ظل لها وجود فى الأحياء الشعبية فى مصر حتى نهاية الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجرى (ق٢٠م) ، واندثرت بتزايد قوة الدولة ٠ ولكن أديبا مصريا فذاهو نجيب محفوظ الحاصل على جائزة نوبل العالمية فى الأدب فى عام ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م) خلدها فى رواياته ٠ وباتت بذلك جزءا من تراث مصر الشعبى ٠

(٦٤) CF. Taeschner, op. cit., p. 794.

ابى موسى محمد الأمين (١٩٣ ـ ١٩٨ هـ / ٨٠٩ ـ ٨١٣م) ([٦٥]) • وآخر ذكر لهم يقع فى خلافة المستعصم بالله أبى أحمد عبد الله (٦٤٠ ـ ٦٥٦هـ / ١٢٤٢ ـ ١٢٥٨م) خاتم خلفاء بنى العباس ببغداد دون تحديد سنة بعينها ([٦٦]) • أما الشطار فأول اشارة عنهم تتفق مع بدء الحديث عن العيارين ، ثم تختلط أخبارهم بعد ذلك بأخبار قرنائهم العيارين على سبيل المشاكلة •

وقد جرى ظهور العيارين على المسرح السياسى عندما تحطمت الجيوش النظامية للخليفة الأمين امام جيوش أخيه المأمون بقيادة طاهر بن الحسين ، اذ لم يجد أمامه سوى العيارين والشطار من أهل الفتوة والنجدة ليمدوا له يد العون فى محنته ، فرخص لهم فى قتال المأمون • وكانوا بالفعل بتنظيمهم الشعبى خير من يقود لواء المقاومة الشعبية داخل المدينة المحاصرة • ولذلك عرفوا بالمحمدية نسبة اليه بالمقابلة بالمأمونية أصحاب أخيه المأمون ([٦٧]) ، كما عرفوا بالصعاليك لفقرهم المدقع ([٦٨]) وبالعراة لضعة لباسهم وسلاحهم ([٦٩]) •

---

(٦٥) المسعودى ، ج٢ ص ٣١٦ •

(٦٦) راجع ابن خلدون : العبر ، ج٣ ، مطبعة بولاق ، القاهرة ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م ، ص ٥٣٦ ـ ٥٣٧ •

(٦٧) المسعودى ، ج٢ ص ٣١٦ •

(٦٨) المصدر السابق ، ج٢ ص ٣٢٤ •

(٦٩) المصدر نفسه ، ج٢ ص ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ •

الفصـل الثـــانى

التنظيـم العسكرى لفرقـة العيـــارين

١ ـ ماهيــة العيارين واجناسهم •

٢ ـ وحدات العيارين العشرية •

٣ ـ لباس العيارين وشاراتهم ونفيرهم وراياتهم •

٤ ـ سلاح العيــارين •

٥ ـ مساكن العيارين ومواردهم الماليــة •

٦ ـ تشكيل القتال العيارى •

٧ ـ عسكرية العيارين فى الشعر •

الفصل الثانى
التنظيم العسكرى لفرقة العيارين

١ ـ ماهية العيارين واجناسهم :

ان اول ما يلفت نظر الباحث فى فرقة العيارين والشطار هو ذلك الغبن الشديد الذى لقيته هذه الفرقة من قبل مؤرخى الاسلام من قديم ومن حديث . فالعيارون فى نظرهم من الغواة (١) ، والشطار فى عرفهم من الفجار (٢) ، وهؤلاء واولئك لصوص طلاب نهب (٣) . ونحسب ان تداعى الحوادث التى واكبت بدء ظهورهم هى السبب فى سوء سيرتهم. ففى اثناء الفتنة بين الامين والمأمون نقب المسجونون فى بغداد سجونهم

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ط٣ ، تحقيق محمد ابى الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٩م ، ص ٤٥٥ وقعة قصر صالح فى حوادث جمادى الآخرة سنة ١٩٧هـ (فبراير ٨١٣م). راجع : ابن الأثير ، م٦ ص ٢٧٢ نقلا عن الطبرى .

(٢) الطبرى ، ج٨ ص ٤٤٣ حوادث ذى الحجة سنة ١٩٦هـ (اغسطس ٨١٢م) . راجع : ابن الاثير ، م٦ ص ٢٦٩ نقلا عن الطبرى ، ابن خلدون ، ج٣ ص٢٢٨ نقلا عن ابن الأثير .

(٣) الطبرى ، ج٨ ص ٤٥١ (البيت رقم ٦٩ من رائية الخريمى) ، ص ٤٦٣ (البيت الرابع من رائية عمرو الوراق) عن الشطار ، ص ٤٦٤ (البيت العاشر من رائية عمرو الوراق) ، ص ٤٦٥ (البيت السادس من صادية عمرو الوراق) عن العيارين . ساير الدكتور حسن أحمد محمود هذا الاتجاه ودمغ العيارين بالارتزاق عن طريق السلب والنهب . انظر كتابه : العالم الاسلامى فى العصر العباسى بالاشتراك مع الدكتور أحمد ابراهيم الشريف : ط٢ ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٧٣م ، ص ٢٤١ . وعندما حقق الأستاذان فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم كتاب دول الاسلام للذهبى (مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٤م) عرفا العيارين بأنهم الخارجون على القانون. راجع المصدر المذكور ، ج١ ص ٢٢٥ هامش ١ . كذلك جعل الدكتور فؤاد حسنين (مقدمة كتاب الفتوة لابن عمار ، ص ١٠) كلمة العيارين مساوية لكلمة اللصوص .

وفروا منها وتقاطروا اليهم (٤) ، ولحق بهم الذين على شاكلتهم من اهل الزعارة (٥) من الدعار (٦) والطرارين (٧) والنطافين (٨)

---

(٤) الطبرى ، ج٨ ص ٤٤٣ حوادث ذى الحجة سنة ١٩٦هـ (اغسطس ٨١٢م) ، ص ٤٤٨ ، ٤٥٥ ، ٤٦٨ حوادث سنة ١٩٧هـ (٨١٢ / ٨١٣م) • راجع : المسعودى ، ج٢ ص ٣١٦ ، ٣١٨ ، ابن الاثير ، م٦ ص ٢٦٩ ، ٢٧٢ نقلا عن الطبرى ، ابن خلدون ؛ ج١ ص ٣٣٨ •

(٥) الطبرى ، ج٨ ص ٤٦٨ • وراجع : المصدر نفسه ، ج٨ ص ٤٦٤ (البيت رقم ١٢ من رائية عمرو الوراق) • والزعارة : الشراسة وسوء الخلق • تاج العروس ، ج٣ ص ٢٣٧ مادة زعر •

(٦) الطبرى ، ج٨ ص ٤٤٣ حوادث ذى الحجة سنة ١٩٦هـ (اغسطس ٨١٢م) • والدعار (بوزن كفار) جمع داعر • وهو اسم مأخوذ من الدعر (بالفتح) الذى هو الفسق والفساد والفجر • والدعارة (بفتح الدال أو كسرها) والدعرة (بفتح الدال وسكون العين) كالدعر • تاج العروس ، ج٨ ص ٢٠٧ مادة دعر •

(٧) الطبرى ، ج٨ ص ٤٤٨ ، ٤٦٨ حوادث سنة ١٩٧هـ (٨١٢ / ٨١٣م) • وانظر : المصدر نفسه ، ج٨ ص ٤٥١ (البيت رقم ٧٤ من رائية الخريمى) ، ص ٤٥٨ (البيت السابع من رائية لأحد شعراء بغداد) • وهذا الشاعر البغدادى ذكره المسعودى (ج٢ ص ٣٢١) باسم على الأعمى • راجع : المسعودى ، ج٢ ص ٣١٦ (البيت الرابع من بائية لعيار بغدادى) ، ابن الاثير ، م ٦ ص ٢٧٢ نقلا عن الطبرى • والطرارون جمع طرار وهو الذى يطر الثوب طرا اذا شقه وقطعه ، وهو أيضا الذى يقطع الهمايين (جمع هميان) وهو كيس الدراهم المشدود على الوسط ، أو يشق الأكمام (الجيوب) ويسل ما فيها • تاج العروس ، ج ٣ ص ٣٥٧ مادة طرر ، ج١٠ ص ٤١٢ مادة همى • وبلغة العصر هو النشال •

(٨) الطبرى ، ج٨ ص ٤٦٨ حوادث سنة ١٩٧هـ (٨١٢ / ٨١٣م) • وانظر : المصدر نفسه ، ج٨ ص ٤٧٤ (البيت الرابع من دالية عمرو الوراق) • والنطافون جمع نطاف (كعلام) أو نطف (كحذر) وهو الرجل المريب المتهم • تاج العروس ، ج٦ ص ص ٢٥٨ مادة نطف • وبلغة العصر هو المشبوه •

والمقامرين ([9]) والسوقة ([10]) وباعة الطريق (١١) . بل ان نفرا من الشرط تحركوا معهم . وهؤلاء تلمع النصوص الى الواحد منهم بالسواط ([12]) ، وهو الشرطى الذى معه السوط ([13]) . وتشير النصوص الى هذا الخليط العجيب من حثالة البشر العائشة فى قاع المجتمع بالأوباش تارة ([14]) وبالغوغاء تارة أخرى ([15]) ، وتنعتهم بأنهم

---

(٩) الطبرى ، ج٨ ص ٤٥١ (البيت رقم ٧٤ من رائية الخريمى) ، ص ٤٥٨ (البيت السابع من رائية على الاعمى حسب رواية المسعودى) .

(١٠) راجع : الطبرى (ج٨ ص ٤٤٨) وابن الاثير (م ٦ ص ٢٧٢) حوادث سنة ١٩٧هـ (٨١٢ / ٨١٣م) حيث التعبير « أهل السوق» .

(١١) الطبرى ، ج٨ ص ٤٥٥ ، ٤٦٨ حوادث سنة ١٩٧هـ (٨١٢ / ٨١٣م) . راجع : المسعودى ، ج٢ ص ٣٢٢ .

(١٢) الطبرى ، ج٨ ص ٤٣٨ حوادث سنة ١٩٧هـ (٨١٢ / ٨١٣م). وانظر : المصدر نفسه ، ج٨ص ٤٧٤ (البيت الرابع من دالية عمر الوراق) .

(١٣) راجع : تاج العروس ، ج٥ ص ١٦٤ مادة سوط .

(١٤) الطبرى : ج٨ ص ٤٥٤ حوادث سنة ١٩٧هـ (٨١٢ / ٨١٣م) . وانظر : المصدر نفسه ، ج٨ ص٤٦٧ (البيت الاول من ميمية لشاعر تميمى مجهول من اقرباء عبد الله بن حازم بن خزيمة التميمى النهشلى من قادة الأمين) . وراجع : ابن الاثير ، م٦ ص ٢٧٢ نقلا عن الطبرى .

(١٥) الطبرى ، ج٨ ص ٤٥٥ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ حوادث سنة ١٩٧هـ (٨١٢ / ٨١٣) ، ص ٤٧٢ ، ٤٧٤ حوادث المحرم سنة ١٩٨هـ (سبتمبر ٨١٣م) . وانظر : المصدر نفسه ، ج٨ ص ٤٦٩ (البيت الثالث من تائية عمرو الوراق)، ص ٤٧٥ (البيت الثانى من همزية الشاعر السابق) ، ابن الاثير ، م٦ ص ٢٧٧ .

رعاع (١٦) طغام (١٧) سفلة (١٨) انذال (١٩) ، وجميعها نعوت تعدل بعضها البعض . وثمة بيت من الشعر بلسان أحد خصومهم يسبهم سبا فاحشا ويصمهم بانهم اولاد زنا (٢٠) . وهـذا شيء طبيعي فى فرقـة تعتمد الفتوة الصوفية منهجا ان يكون فيها نفر « ممن يعول علىذراعه وقراعه ، وملاكمته وصراعه ، وطول باعه ، وصلابة طباعة ، وسلاطة لسانه ، وامتزاج اساءته باحسانه ... ومـن اتسم باذاعـة الاسرار ، وصحبة الأشرار ، واللسان المهذار حسب من الأغيـار » (٢١) . وفى نظر الامام على الخليفة الرابع الراشد ان « الغوغاء اذا اجتمعوا ضروا واذا افترقوا نفعوا» . ومضرة اجتماعهم معلومة . أما منفعة افتراقهم - كما عرفها الامام على - أن « يرجع اهـل المهن الى مهنهم فينتفع الناس بهم كرجوع البناء الى بنائه والنساج الى منسجه والخباز الـى

---

(١٦) الطبـرى ، ج٨ ص ٤٥٥ حـوادث جمادى الآخـرة سنة ١٩٧هـ (فبراير ٨١٣م) . وأنظر : المصدر نفسه ، ج٨ ص ٤٦٧ (البيت الأول من ميمية لشاعر تميمى مجهول) .

(١٧) نفسه ، ج٨ ص ٤٦٧ (البيت الأول مـن ميمية لشاعر تميمى مجهول) .

(١٨) نفسه ، ج٨ ص ٤٦٧ حوادث سنة ١٩٧هـ (٨١٢ / ٨١٣م) ، ص ٤٧٢ ، ٤٧٤ حوادث المحـرم سنة ١٩٨هـ (سبتمبر ٨١٣م) . وانظر : المصدر نفسه ، ج٨ ص ٤٧٥ (البيت الثانى من همزية عمرو الوراق) . وراجع ابن الاثير ، م٦ ص ٢٧٧ .

(١٩) الطبرى ، ج٨ ص ٤٦٤ (البيت رقم ١٢ من رائية عمرو الوراق) .

(٢٠) المصدر السابق ، ج٨ ص ٤٦٦ البيت الثالث من صادية لاحـد اصحاب هرثمة بن أعين الجعدى (٢٠٠هـ / ٨١٦م) من قواد طاهر بن الحسين .

(٢١) ابن الخطيب : روضة التعريف بالحب الشريف ، تحقيق احمـد عطا عبد الستار ، ط١ ، نشر دار الفكر العربى ، طبع دار العهد الجديد ، القاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م ، ص ٦٢٤ . ولاحظ أن =

مخبزه » (٢٢) .

ظاهر اذن ان العيارين ومن انضاف اليهم كانوا من الطبقات الفقيرة المعدمة من عامة الشعب التى تعيش على هامش المجتمع وفى سفحه . والتجار منهم انما هم باعة الطريق ممن « يتجرون فى محقرات البيوع » . وكذلك الصناع منهم انما هم صغار الحرفيين ممن يعملون فى الحرف المحقرة . ولا غرو أن يكون فيهم الأفاقون والمتشردون والعاطلون والمشاغبون والمكدون (المحتالون والشحاذون) والمقامرون والمخمورون والمخدورون والفساق واللصوص وغيرهم من المشبوهين الذين هم أرباب السجون دائما . ولا غرو الا يقيم هؤلاء وزنا لعرف او عادة أو تقليد أو شريعة حتى ان الواحد منهم «ليستقبل المراة فى زحمة الناس فيلتثمان » (٢٣) ، « ولهذا تجدهم من بين الناس هم أصحاب الفتن والخصومات ، وأهل الجيوش والمطمورات ، وأصحاب اللطف والحانات ، وعليهم الشكايات ، وبهم النكالات ، ومنهم المقتول والمقطوع على أنواع الجنايات » (٢٤) . ولذا كانت رؤية التاريخ

= النص لم يشر الى العيارين وانما يشير الى صنف من الصوفية التابعين باحسان لخواص اهل السنة . وقد عد منهم الصفوة والمجان والحرافيش والبهلوان . وهذا الصنف من الصوفية اقرب الى العيارين . ولذا استعنا بالنص المذكور لتبرير ما أتهم به العيارون من مثالب . والبهلول لفظة عامية بمعنى البارع فى نوع الالعاب كالمشى على الحبل ، وأصلها فارسى من بهلو بمعنى : بطل . المعجم الوسيط ، ج١ ، نشر مجمع اللغة العربية ، مطبعة مصر ، القاهرة ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م ، ص ٧٤ .

(٢٢) الأبشيهى ، ج١ ص ٢١٢ .

(٢٣) راجع : الطبرى ، ج٨ ص ٤٦٧ ـ ٤٦٨ .

(٢٤) ابن عمار : الفتوة ، ص ٩١ . والمطمورات جمع مطمورة ، وهى حفرة يطمر فيها الطعام أى يخبأ . وقد طمرها أى ملأها . الرازى : مختار الصحاح ، ترتيب محمود خاطر ، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٦م ، ص ٣٩٧ مادة طمر .

السياسى اليهم بوجه عام أنهم خارجون على القانون وحركاتهم انما هى انتفاضات غوغائية يقودها السفلة ضد الارستقراطية والشرعية . أما رؤية الوجدان الشعبى ، فكانت شيئا آخر ، يختلف تماما مع رؤية التاريخ الرسمى ، فرأى فى حركاتهم - عبر ابداعه الشعبى المدون والشفوى - حركات ثورية شعبية ، ورأى فى أبطالها ثوارا مناضلين يستحقون الاعجاب والخلود ([٢٥]) .

وكان العيارون ومن لبسوا مسوحهم من أجناس شتى من الموالى. ففيهم الأحباش ([٢٦]) والسودان ([٢٧]) والنوبة ([٢٨]) والبرابر (البربر) ([٢٩]) والأفارقة ([٣٠]) والصقالبة (الصقالب) ([٣١]) والسنود

---

(٢٥) حكايات الشطار والعيارين ، ص ٣١٩ .

(٢٦) الطبرى ، ج٨ ص ٤٦٩ (البيت الثامن من شينية عمرو الوراق)

(٢٧) المصدر السابق ، ج٨ ص ٤٥٠ (البيت رقم ٣٧ من رائية الخريمى)

(٢٨) المصدر نفسه ، ج٨ ص ٤٥٠ (البيت رقم ٣٦ من رائية الخريمى)

(٢٩) نفسه ، ج٨ ص ٤٥٠ (البيت رقم ٣٦ من رائية الخريمى) . والبربر أو البرابر أو البرابرة هم سكان المغرب الأصليون .

(٣٠) نفسه ، ج٨ ص ٤٤٨ حوادث ذى الحجة سنة ١٩٦هـ (أغسطس ٨١٢م) ، ص ٤٥٥ حوادث جمادى الآخرة سنة ١٩٧هـ (فبراير ٨١٣م) ، ص ٤٧٤ حوادث المحرم سنة ١٩٨هـ (سبتمبر ٨١٣م). وراجع : ابن الأثير ، م٦ ص ٢٧٩ حوادث السنة الاخيرة . والأفارقة هم أخلاط المستعمرين القدامى للمغرب من أغريق وفينيقيين ورومان وواندال . راجع الدكتور السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير ، ج٢ (دراسة تاريخية عمرانية أثرية) ، الاسكندرية ١٩٦٦م ، ص ١٣٣ .

(٣١) الطبرى ، ج٨ ص ٤٤٩ (البيت رقم ٣٤ من رائية الخريمى) ، ص ٤٥٠ (البيت رقم ٣٦ من القصيدة نفسها) . والصقالبة أو الصقالب كانوا فى الاصل رقيقا أو عبيدا من سبى الشعوب السلافية . ولذا أطلق عليهم العرب اسم الصقالبة . ثم توسعوا فى =

والهنود (٣٢) والنبط (٣٣) والفرس (٣٤) والترك (٣٥) والأكراد (٣٦) وغيرهم . ومن بين هؤلاء يبرز الفرس ثم السنود والهنود المتفرسون

= استعمال هذا الاسم فأطلقوه على مواليهم المجلوبين من مختلف البلاد الأوربية . راجع الدكتور احمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ط١ ، مطبعة المصرى ، الاسكندرية ١٩٦٨م ، ص ٩١ .

(٣٢) الطبرى ، ج٨ ص ٤٥٠ (البيت رقم ٣٦ من رائية الخريمى) . كان العرب قديما يفهمون أن السند والهند بلدان مختلفان وملكان متباينان ، ولكنهم كانوا يطلقون على كل ذلك لفظ الهند . القاضى أطهر مباركبورى : العرب والهند فى عهد الرسالة (بالأردية) ، ترجمة عبد العزيز عزت عبد الجليل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٣م ، ص ١٢ .

(٣٣) لم تذكرهم النصوص صراحة فى العيارين . ومن غير المعقول الا يشاركوا فى حركتهم . وهم من سلالة الأنباط Nabataei الذين كانت لهم دولة فى البتراء Patarea (الرقيم Arke عند العرب) بالحافة الشرقية لفلسطين وقضى عليها الرومان فى سنة ١٠٦م . وكان الأنباط يتكلمون العربية ويكتبون بالآرامية ولهم خط منسوب اليهم قريب من الخط الكوفى القديم . أنظر عن دولة الأنباط الدكتور السيد عبد العزيز سالم : تاريخ العرب قبل الاسلام ، الكتاب الأول من دراسات فى تاريخ العرب ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٦٩م ، ص ١٥٧ - ١٧٠ . وكانت للأنباط مواضع استقرار فى سواد العراق . وقد أطلق العرب لفظ نبط على أخلاط الناس وعوامهم ، وانصرف هذا المعنى الى اللغة فيقال كلمة نبطية أى عامية . راجع : حاشية رقم ١ ص ٢٨ لميخائيل عواد محقق الوزراء والكتاب للجهشيارى (نصوص ضائعة منه ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م) .

(٣٤) راجع على سبيل المثال : الطبرى ، ج٩ ص ٣٠٩ حوادث ربيع الاول سنة ٢٥١ هـ (أبريل ٨٦٥م) حيث توجد أسماء لبعض زعماء العيارين من الفرس .

(٣٥) الطبرى ، ج٨ ص ٤٥٢ (البيت رقم ٨١ من رائية الخريمى) .

(٣٦) راجع : ابن الأثير ، م٩ ص ٤١٠ حوادث سنة ٤٢١هـ (١٠٢٠م) حيث ذكرهم كمتلصصة .

المختلطون بهم من الأحامرة (٣٧) والأساورة (٣٨) والسيابجة والزط (٣٩) . والأخيرون غلبوا على طريق البصرة واخافوا السبيل .

---

(٣٧) الطبرى ، ج٨ ص ٤٥٠ (البيت رقم ٣٧ من رائية الخريمى) . والأحامرة أو الحمر أو الاحامر جماعة من الهند اقامت فى بلاد العرب من قديم الزمان . وكان يطلق على الفرد منهم احمر ومحمر . والنسب اليه احمرى . وكان الأحامرة فى القديم من الهنود فقط . ولكن فيما بعد أطلق العرب هذا اللقب على مواليهم فى فارس الذين أسلموا على عهد الخليفة ابى حفص عمر بن الخطاب بن نفيل العدوى (١٣ — ٢٢هـ / ٦٣٤ — ٦٤٤م) ، وكانوا ينسبون عموما الى حمراء الديلم . وكان الأحامرة القدماء من سكان اقليم السند . ولعل تسميتهم جاءت من اختصاصهم بالملابس الحمراء . وكان الأحامرة يعيشون فى المناطق الساحلية بالخليج العربى . وكانت لهم جالية كبيرة بالكوفة . مباركبورى ، ص ٤٦ ، ٦٧ — ٧١ .

(٣٨) الطبرى ، ج٨ ص ٤٥١ (البيت رقم ٧٣ من رائية الخريمى) . والأساورة أو الأساور أو الأسواريون جمع اسوار (بالضم) ، وهو لفظ فارسى معرب بمعنى الرامى أو الفارس . وهم جيل من الهند أصله من السند وبلوخستان . وكانوا يكونون احدى فرق الجيش الفارسى الساسانى . وقد أسلموا أيام عمر وانتشروا فى كل سواحل الخليج العربى الى الأبلة (ميناء البصرة) فى العراق . ويقال ان هرمز (١٢هـ / ٦٣٣م) وباذان (١١هـ / ٦٣٢م) حاكما العراق واليمن للفرس زمن الرسالة كانا من الأساورة . كذلك يقال أن الصحابى الكبير ابا عبد الله سلمان الفارسى الأصبهانى أو الرامهرمزى (٣٧ هـ / ٦٥٧م) كان منهم . المرجع السابق ، ص ٧١ — ٧٧ . وراجع الجواليقى . المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم ، تحقيق احمد شاكر ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م ، ص ٢٠ مادة أسوار .

(٣٩) لم اعثر على اشارة نصية تدل على السيابجة والزط . ولكنهم كانوا فى الغالب كاخوانهم من الأحامرة والأساورة فى جملة العيارين . والسيابجة أو السبابجة وواحدهم سابج أو سبيجى قوم اساود من أهل السند كانوا يعملون على السفن الساسانية . وقد قطنوا فى مناطق الخليج العربى حتى البحرين ، وعمروا الأبلة ، واسلموا على عهد عمر ، واصبح منهم الجلاوزة (الشرط) وحراس السجون بالبصرة . وفى اللغة : سبيج (بوزن رغيف) لفظ فارسى =

ولم ينقطع خطرهم الا فى أواخر ذى الحجة سنة ٢١٩هـ (يناير ٨٣٥م) من خلافة ابى اسحاق محمد المعتصم (٢١٨ – ٢٢٧هـ / ٨٣٣ – ٨٤٢م) ([40]) . والراجح ان هؤلاء الزط هم الذين يقال لهم فى مصر النور والغجر . ومن الثابت ان اقواما من العرب انضموا الى العيارين بعد ان ضاعت هيبتهم وهزل حالهم ايام المعتصم الذى اسقطهم من ديوان العطاء وادرج مكانهم فى سنة ٢٢٠هـ (٨٣٥م) اهل الحوف من مصر وسماهم المغاربة واتراك سمرقند (قصبة الصغد) من بلاد ماوراء النهر (جيحون) وفرغانة من اقاليم سيحون وسماهم الفراغنة ([41]) . ولئن اردنا تحديد هوية هؤلاء العرب فان معظمهم كان من قبيلة تميم المضرية التى احتضنت السنود والهنود فى بطونها بحكم نزولها بالبصرة ([42]) . فكان

= معرب معناه ثوب صوف أسود . وهو ثوب عرف به السيابجة فنسبوا اليه . الجواليقى ، ص ١٨٣ مادة السبيجى ، مباركبورى ، ص ٦١ – ٦٧ . أما الزط (بالضم) ويقال لهم الجات فهم هنود خلص سود اللون موطنهم الأصلى بلاد السند والبنجاب ، واسمهم معرب من كلمة جت الهندية . والواحد زطى . وكانت لهم مدنهم الخاصة بهم فى اقاليم فارس وخوزستان والأهواز . كما كان لهم وجود قوى فى سواد العراق وبخاصة فى البصرة والأبلة . ويقال ان الامام الأعظم ابا حنيفة النعمان من نسل زط كابل (كابول) اذ هو ابن ثابت الزوطى ، أى الزطى . المرجع السابق ، ص ٤٥ ، ٤٧ – ٥٠ وما بعدها .

(٤٠) ابن الأثير ، م٦ ص ٤٤٦ .

(٤١) المصدر السابق ، م٦ ص ٤٥٢ .

(٤٢) عن اقامة عامة بطون تميم بالبصرة انظر الحازمى : عجالة المبتدى وفضالة المنتهى فى النسب ، الهيئة المصرية العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م ، انساب الحبطى (ص ٤٦) ، والحرمازى (ص ٤٨) ، والحنظلى (ص ٥١) ، والدارمى (ص ٥٨) ، والربعى (ص ٦٤) ، والرياحى (ص ٦٧) ، والسعدى (ص ٧٣) ، والصريمى (ص ٨١) ، والطهوى (ص ٨٦) ، والعطاردى (ص ٩٣) ، والعنبرى (ص ٩٥) ، والغدانى (ص ٩٨) ، والقريعى (ص ١٠٤) ، والمازنى (ص =

الأساورة فى ولاء بنى سعد والسيابجة والزط فى ولاء بنى حنظلة (٤٣) ومنهم البراجم (٤٤) الذين صارت لهم زعامة العيارين فى بغداد فى الربع الأول من القرن الخامس الهجرى (ق ١١م) (٤٥) . ومن المؤكد أن اكثر السيابجة والزط وجل سود أفريقية وبعض عرب الأزد اليمنية بالبصرة من ضبيعة وعم هم الذين اججوا الثورة المشهورة فى تاريخ الدولة العباسية باسم ثورة الزنج (٢٥٥ - ٢٧٠هـ / ٨٦٩ - ٨٨٣م) (٤٦) . وثمة شواهد تشهد بأن قرامطة البحرين شاركوا أيضا

= ١١٠) ، والمجاشعى (ص ١١٠) ، والنهشلى (ص ١١٩) ، والهجيمى (ص ١٢٢) .

(٤٣) مباركبورى ، ص ٦٦ ، راجع الحازمى (ص ١٦ نسب الأسوارى بضم الهمزة وفتحها) حيث الأسوارى منسوب الى الأسوارة بطن من بنى تميم .

(٤٤) انظر : الحازمى ، ص ٢٤ - ٢٥ عن تسميتهم بالبراجم . وراجع أيضا : تاج العروس ، ج٨ ص ١٩٩ مادة البرجمة .

(٤٥) راجع : ابن الاثير ، م٩ (بيروت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م) ص ٤٣٨ حوادث سنة ٤٢٥هـ (١٠٣٣ / ١٠٣٤م) ، والذهبى ، ج١ ص ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ حوادث الفترة من سنة ٤٢١هـ (١٠٣٠م) الى سنة ٤٢٥هـ (١٠٣٣ / ١٠٣٤م) الخاصة بالقائد ابى على البرجمى .

(٤٦) ذكر الطبرى (ج٩ ص ٤١١ ، ٥٦٣ - ٥٦٤ ، ٥٩٢) من كبار قادة الزنج اثنين من الهنود هما سليمان بن جامع الأسود من موالى بنى حنظلة البراجم ونصر السندى ، وأربعة من عرب الازد ثلاثة منهم من ضبيعة هم على بن ابان الضبعى المعروف بالمهلبى واخواه محمد والخليل ، وواحد من عم هو محمد بن الحارث العمى . راجع : الحازمى ، ص ٨٣ نسب الضبعى ، ص ٩٤ نسب العمى . كما نص الطبرى (ج٩ ص ٤١٠) على أن جدة زعيم الزنج لأبيه كانت جارية سندية . وزعيم الزنج هو على ابن محمد بن عبد الرحيم الربعى العبقسى (٢٧٠هـ / ٨٨٣م) الذى انتحل لنفسه نسب الأئمة الزيدية أبناء الامام زيد بن على ابن الحسين بن على بن ابى طالب (١٢٢هـ / ٧٤٠م) ، وادعى انه على بن محمد بن احمد بن عيسى بن زيد حتى يضفى =

فى هذه الثورة ([٤٧]) .

٢ - وحدات العيـارين العشرية :

انخرطت هذه الأجناس المتباينة منذ أواخر القرن الثانى الهجرى (ق ٩م) فى تنظيم عسكرى هرمى يتكون من وحدات عشرية قوامهـا الرقم عشرة ومضاعفاته اربع مرات . أعنى عشرة ومائة والف وعشرة آلاف . ولذا انحصرت الرتب عندهم فى الفليق الواحد فى اربع هى عريف ونقيب وقائد وامير . وفى حالة تعدد الفيالق كان يراسها مقدم . واذا رغبنا فى خلع مسميات من عندنا على وحدات العيارين القتالية تتناسب مع تعدادها فهى على الترتيب : فصيلة ، فسرية ، فكتيبة ، ففيلق . وكانت الفصيلة تتكون من عشرة افراد وعليها عريف ، والسريـة من عشرة فصائل وعليها نقيب ، والكتيبة من عشرة سرايا وعليها قائد ، والفيلق من عشرة كتائب وعليه أمير . ولكل واحد من هؤلاء حملـة من المطايا على قدر رتبته . والنص الذى اخذنا منه هذا الفهم يقول : « على كل عشرة منهم (يقصد من العيارين) عريف ، وعلى كل عشرة

= الشرعية على حركته ويستقطب الأتباع وبخاصة من الشيعة الغالب مذهبهم على جنوب العراق . ولذا عرف بدعى الزنج .

(٤٧) راجع الطبرى (ج ٩ ص ٤١٤) الـذى نص على اسم راشـد القرمطى كقائد من قواد الزنج ، كما نص (ص ٤١١) على عدد من قادة الزنج من اهل البحرين هم : يحى بن محمد الأزرق الكيال المعروف بالبحرانى مولى بنى دارم ، ويحى بن ابى ثعلب الهجرى ، ومحمد بن سالم القصاب الهجرى ، وبريش القريعى، وعلى الضراب ، والحسـين الصيدلانـى ، وسليمـان بن موسى الشعرانى ، واضاف الى هؤلاء (ص ٥٧١) اسم ثعلب بن حفص البحرانى . وانظر

Johnson Saunders : A history of medieval Islam, 4th ed , London 1980, p. 129.

عرفاء نقيب ، وعلى كل عشرة البناء قائـد ، وعلى كل عشرة قـواد أمير ، ولكل ذى مرتبة من المركوب على مقدار ما تحت يده » ([٤٨]) .

ونتبين من سير حوادث سنـة ١٩٧هـ (٨١٢/٨١٣م) أن قـوات العيارين بلغت فى وقعة باب الشماسية بالجـانب الغـربى من بغـداد « نحو مائة الف » رجل ([٤٩]) . وهذا العدد الرهيب الذى يصعـب تصديقه ويؤكد شعبية حركة العيارين تنتظمه عشرة فيالق . وقـد ابيد منها فى تلك المعركة وحدها فيلق باكملـه ، اى قرابـة عشرة آلاف رجل ([٥٠]) .

٣ ـ لبـاس العيارين وشاراتهم ونفيرهم ورياتهم :

كان اللباس العسكرى والمدنى ايضا لهـؤلاء العيارين فى غايـة الغرابة ويدل على فقرهم الذى يتفق مع تصوفهم المشوب بمسحة بوذية مجوسية . وعلى أية حال كان هذا اللباس يمضى على النحو التالى :

(أ) الرأس : كان يغطى بمغافر من الخوص تسمى الخوذ ([٥١]) ، واحيانا كان يغطى بطراطير او قلانس مـن قراطيس مصبوغة ـ فى الغالب ـ بالسواد على هيكل مجدول من قصب (حلفاء) على شـكل

---

(٤٨) المسعودى ، ج٢ ص ٣١٨ .

(٤٩) المصدر السابق ، ج٢ ص ٣٢٢ . راجع : الطبرى (ج٨ ص ٤٦٦) حيث اخذنا عنه اسم المعركة وتاريخها . وانظر رواية ابن الأثير (م ٦ ص ٢٧٦) التى لخصها عن الطبرى .

(٥٠) المسعودى ، ج٢ ص ٣٢٣. راجع : ابن خلدون ، ج٣ ص ٢٣٩ .

(٥١) المسعودى ، ج٢ ص ٣١٨ ، ٣٢١ .

طرادة (٥٣) أوطيارة (٥٣) · والخوذ جمع خوذة ، وهى كلمة فارسية بمعنى تاج وأصلها خود بمد الخاء ، وعربت خوذة (٥٤) · أما القراطيس فجمع قرطاس ، وهى أوراق البردى المصرية (٥٥) · وما من شك أن تلك القراطيس لم تكن جديدة وانما سبق استعمالها فى الكتابة والتغليف ثم استغنى عنها وطرحت فى الطرقات والكناسات · وأما الطرادة ويقال طراد وطريدة وتطريدة - والجمع طرايد وطرائد وطرادات - فهى سفينة صغيرة الحجم سريعة السير والجرى تستعمل فى نقل الخيول والفرسان (٥٦) · وأما الطيارة ، ويقال طيار والجمع طيارات ، فهى ضرب من السفن النهرية القديمة التى تتميز بخفتها وسرعة جريانها (٥٧) · ولا يخفى على ذى لب ما فى الكناية عن

---

(٥٢) المصدر السابق ، ج٢ ص ٣٢٢ ·

(٥٣) الطبرى ، ج٨ ص ٤٦٤ (البيت التاسع من رائية عمرو الوراق فى وقعة درب الحجارة من بغداد الغربية سنة ١٩٧هـ / ٨١٢ - ٨١٣م) · وعن الزام الرعية بلبس القلانس السود المصنوعة من ورق على قصب كشعار للدولة راجع حوادث سنة ١٥٣ هـ (٧٧٠م) عند كل من :الطبرى ، ج٨ ص ٤٢ - ٤٣ ، الذهبى ، ج١ ص ١٠٥ ·

(٥٤) المعجم فى اللغة الفارسية ، ترجمة الدكتور محمد موسى هنداوى، ط٢ ، مكتبة الأنجلو ودار مطابع الشعب ، القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م ص ١٨٥ ·

(٥٥) راجع الجاحظ : التبصر بالتجارة ، تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب التونسى ، ط١ ، دمشق ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م ، ص ٢٠ حيث نص على القراطيس ضمن السلع المجلوبة من مصر الى العراق ·

(٥٦) عن هذه السفينة انظر الدكتور درويش النخيلى : السفن الاسلامية على حروف المعجم ، ط٢ ، دار المعارف ، الاسكندرية ١٩٧٩م ، ص ٨٩ - ٩٢ · وانظر كذلك : تاج العروس ، ج٢ ص ٤٠٨ مادة طرد ·

(٥٧) عن هذه السفينة انظر : السفن الاسلامية على حروف المعجم ، ص ٩٢ - ٩٣ ·

طراطير وقلانس القراطيس بالطـرادات والطيـارات من تهكـم على العيارين وسخرية بهم من قبل شعراء العصر وكتابه الموالين للسلطة ·

(ب) الجـزء العلـوى من البدن : كـان يكسوه ثـوب جـرد (بالفتح) [٥٨] أو قميص من الخيش [٥٩] أو القرد (بالفتح) [٦٠] · ولذا كان يقال للابس الجرد مجرد وللابس القرد مقرد [٦١] · والجرد - وتجمع على جرود - اسم للخلقان من الثياب [٦٢] · والقرد هـو ما تمعط من الوبر والصوف وتلبد والقى فى القمام والمزابل ثم التقط وغزل · ولذا وصفه البعض بأنـه ردىء الصوف [٦٣] · وقـد هزىء الشعراء من أقمصة العيارين الصوفية وسموها « جواشن الصوف» [٦٤] والجواشن جمع جوشن · وهى كلمة فارسية معربة تطلق على نوع من الدروع على هيئة أقمصة مصنوعة من رقائق مستطيلة من المعدن تتداخل أطرافها بعضها تحت بعض [٦٥] ·

---

(٥٨) الطبرى ، ج٨ ص ٤٧٤ (البيت الخامس من دالية عمرو الوراق)

(٥٩) المصدر السابق ، ج٨ ص ٤٦٩ (البيت الخامس من شينية عمرو الوراق) ·

(٦٠) المصدر نفسه ، ج٨ ص ٤٧٤ (البيت الرابع من دالية عمرو الوراق)

(٦١) راجع البيتين الرابع والخامس مـن داليـة عمرو الوراق عنـد الطبرى ، ج٨ ص ٤٧٤ ·

(٦٢) تاج العروس ، ج٢ ص ٣١٧ مادة جرد ·

(٦٣) المصدر السابق ، ج٢ ص ٤٦٣ مادة قـرد · وتمعط : تساقط · مختار الصحاح ، ص ٦٢٨ مادة معط ·

(٦٤) الطبرى ، ج٨ ص ص ٤٥١ (البيت رقم ٧٣ من رائية الخريمى)، ص ٤٥٨ (البيت الثانى من رائية لشاعر بغـدادى) · راجع : المسعودى (ج٢ ص ٣٢١) حيث نص على البيت الأخير وذكر أنه لعلى الأعمى ·

(٦٥) راجع ماير : الملابس المملوكية ، ترجمة صالح الشيتى ، الهيئـة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٢م ، ص ٦٨ وهامش ٢ ·

(ج) الجزء السفلى من البدن : كان يحيط به مئزر او تبان ([٦٦])، وكلاهما يشد على الجسم برباط يسمى الهميان او التكة ([٦٧]) . والمئزر وجمعه مآزر سروال متوسط يصل الى الركبتين ([٦٨]) . وقيل هو ملحفة غير مخيط . والازار (بالكسر) كالمئزر وجمعه ازر (بالضم) . وهو يذكر ويؤنث فيقال مئرزه ازارة ([٦٩]) . اما التبان (كرمان) وجمعه تبابين فهو سروال صغير مقدار شبر يستر العورة المغلظة خاص بالملاحين . وفيه حديث الصحابى ابى اليقظان عمار بن ياسر بن عامر ابن مالك العنسى المعروف بابن سمية (٣٧هـ / ٦٥٧م) اذ صلى فى تبان لالم فى مثانته ، وقال : «انى ممثون» . وفيه أيضا حديث ابى على الحسين بن على بن ابى طالب (٦١هـ / ٦٨٠م) اذ طلب من أصحابه فى كربلاء حين احس بالقتل ثوبا تحتانيا حتى لاتبين عورته ، فوصف له التبان ، فرفض ارتداءه وقال فى أرسقراطية عربية ظاهرة : «ذاك لباس من ضربت عليه الذلة» ([٧٠]) . يقصد الموالى والعبيد من الملاحين . وكان اكثرهم بالعراق وفارس وسواحل الخليج العربى من السنود والهنود . وروى أن بنات الخليفة الأموى الورع ابى حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان

---

(٦٦) المسعودى ، ج٢ ص ٣١٨ .

(٦٧) لم اعثر على نص يفيد ذلك بالنسبة لملابس العيارين والشطار . وقلت بذلك على مقتضى الحال فى الملابس الاسلامية .

(٦٨) راجع ماير : الملابس المملوكية ، ص ١٢٤ . والسروال وجمعه سراويلات وسراويل لفظ اعجمى معرب من شروال . الجواليقى ، ص ١٩٦ وهامش ٩ ، المعجم فى اللغة الفارسية ، ص ٢٨٢ .

(٦٩) تاج العروس ، ج٣ ص ١١ مادة ازر .

(٧٠) المرجع السابق ، ج٩ ص ١٥٣ مادة تبن ، ص ٣٤٠ مادة مثن .

(٩٩ ـ ١٠١هـ/ ٧١٧ ـ ٧٢٠م) الصغيرات كن يرتدين التبابن ([٧١]) ٠ واما الهميان (بالكسر) وجمعه همايين فهو شداد السراويل الذىهو التكة ،وهو ايضا وعاء للدراهم ([٧٢]) ٠ وهو لفظ فارسى معرب ([٧٣]) ٠ كذلك قيل بصيغة التمريض ان التكة وهى واحدة التكك لفظة معربة ([٧٤]) ٠ ولقصر لباس العيارين السفلى وتمزقه احيانا ربما برزت عورتهم وفضحتهم وتاذى الناس بهم ([٧٥]) ٠

(د) القدمان : لم اجد فى النصوص ما يؤكد من قريب أو بعيد ان العيارين انتعلوا شيئا فى اقدامهم ٠ ويبدو ان الحفاء كان ديدنهم لاسيما فى بدايتهم ٠ وكان المشى بالحفاء والاحتفال بكل ما يسقط المنزلة عند الخلق ، كالمظهر المبتذل ، والجلوس فى الطرقات ، بل وسؤال الناس، من سمات صوفية العصر الوسيط ([٧٦]) ٠

كل ذلك يدل على فقر العيارين المدقع وعلى رغبة بعضهم فى

---

(٧١) ابن سعد ، م٦ ص ٢٤٠ ترجمة ابى الورع توبة من كيسان بن ابى اسد السجستانى (الأصل) العنبرى (الولاء) اليمامى (المولد والمنشا) البصرى (الدار) ٠

(٧٢) تاج العروس ، ج١٠ ص ٤١٢ مادة همى ٠

(٧٣) الجواليقى ، ص ٢٤٦ مادة هميان ٠ وراجع : تاج العروس ، ج ١٠ ص ٤١٢ مادة همى ٠

(٧٤) راجع : الجواليقى (ص ٩٠) الذى نقل ذلك عن ابى بكر محمد ابن الحسن بن دريد الأزدى اللغوى (٣٢١هـ / ٩٣٣م) صاحب «جمهرة» فى اللغة ٠ والتكة والتكك هى الدكة والدكك عند العامة فى مصر ٠

(٧٥) راجع : الطبرى ، ج٨ ص ٤٦٣ (البيت الخامس من رائية عمرو الوراق) ٠

(٧٦) روضة التعريف ، الملحق الأول (ب) بقلم المحقق عبد القادر احمد عطا عبد الستار ، ص ١٥ ٠

الاتضاع ـ اما عن اصالة واما عن زيف ـ بغرض تاديب النفس وتهذيبها ، كما يشير الى وجود تاثير فارسى هندى فى زى العيارين .

وكما اغرب العيارون فى لباسهم اغربوا ايضا فى علاماتهم وشاراتهم. ومن المعروف عن فرسان العرب انهم كانوا اذا تجهزوا للحرب اعلموا افراسهم فعلقوا عليها صوفا احمر وابيض (٧٧) . وعلى هدى من هذا العمل اعلم العيارون انفسهم ، اى وسموها بميسم الحرب ، وهو عندهم جلاجل وصوف احمر واصفر يجعل فى الأعناق (٧٨) . واختيار العيارين لهذين اللونين بالذات يوجه نظرنا الى تقرير تاثرهم ـ ان لم نقل اخذهم ـ بشعار رهبان البوذية الهنود فى لبس الحمرة والصفرة حيث كان قسم كبير منهم من اهل السند والهند المنتشر فى بلادهم الأصلية مذهب البوذية (٧٩) .

وفى حالة الاستنفار كان العيارون يستخدمون بوقات القصب ، وقرون البقر ، ويجتمعون الى رايات من خرق معقودة على رماح من قصب (٨٠) . والقصب كل نبات ذى انابيب ، الواحدة قصبة . وكل نبات كان ساقه انابيب وكعوبا فهو قصب . والقصب الأباء . الواحدة قصباه (الفتح) . وقال ابو بشير عمرو بن عثمان بن قنبر النحوى البصرى المعروف بسيبويه (١٩٤هـ / ٨٠٩م) : الطرفاء والحلفاء

---

(٧٧) تاج العروس ، جـ٨ ص ٤٠٦ مادة علم .

(٧٨) المسعودى ، ج٢ ص ٣١٨ .

(٧٩) راجع : مباركبورى (٦٧) حيث اشار الى ارتداء زعماء البوذية الى اليوم للباس الأحمر والزعفرانى (الأصفر الذهبى) .

(٨٠) المسعودى ، ج٢ ص ٣٢٢ .

والقصب ونحوها اسم واحد يقع على جميع ([81]) ٠

٤ ـ سـلاح العيارين :

كان سلاح العيارين بدائيا ، واغلبه للدفاع عن النفس ٠ ومفرداته هى :

(أ) فى اليد اليمنى : مطرد ([82]) ، او رمح من القصب ([83]) بسن من الفولاذ ([84]) ، او مذب من ذنب مكنسة او مقود (لجام) ([85]) ٠ والمطرد والطراد (كمنبر وكتاب) رمح قصير يطعن به ٠ وهو مأخوذ من فعل طرد لأن صاحبه يطرد ويطارد به ٠ وجمع المطرد مطارد ([86]) وذنب المكنسة هو يدها ، اى عصاها التى استعملت كنبوت وهراوة ٠ والمقود (واحد المقاود) هو اللجام (واحد اللجم) الذى تساق به الدواب ، ويكون من الجلد او الحبال وينتهى طرفاه عادة بقطعة من

---

(٨١) الزبيدى : معجم اسماء النباتات الواردة فى تاج العروس ، جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطى ، الدار المصرية للتاليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٦ م ، ص ١٢٦ ٠

(٨٢) الطبرى ، ج٨ ص ٤٦٠ (البيت السابع من لامية عمرو الوراق) ، ص ٤٦٤ (البيت التاسع من رائية الشاعر نفسه) ، ص ٤٦٥ (البيت الثالث من صادية للشاعر ذاته) ٠ فى البيت الأخير الزم الوزن الشاعر ان يسجل المطرد برسم طرادة ٠

(٨٣) المسعودى ، ج٢ ص ٣٢٢ ٠

(٨٤) الطبرى ، ج٨ ص ٤٥١ (البيت رقم ٧٠ من رائية الخريمى) راجع : المسعودى ، ج٢ ص ٣٢١ حيث نص على البيت المذكور عند الطبرى ٠

(٨٥) المسعودى ، ج٢ ص ٣١٨ ٠

(٨٦) تاج العروس ، ج٢ ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨ مادة طرد ٠

الحديد تعرف بالشكيمة توضع فى مؤخر فم الدابة بين الشدقين ليسهل توجيهها وكبحها ٠

(ب) فى اليد اليسرى : مقلاع لرمى القلاع (بوزن العمال) أى الحجارة به ([٨٧]) ، أو بارية «قد قيرت وحشيت بالحصى والرمال» لتعمل عمل الدرقة ([٨٨]) تسمى ترسا (٨٩) ٠ والبارية والبارياء والبارى ، وكذا البورى والبورية والبورياء وتجمع على بوارى ، كل ذلك الحصير المنسوج من الحلفاء ٠ وهى كلمة فارسية معربة ٠ وقال أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأصمعى اللغوى البصرى (٢١٥هـ / ٨٣٠م) : البورياء بالفارسية وهى بالعربية بارى وبورى وبارية ([٩٠]) ٠ وبهذا الرأى أخذ الأديب أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينورى (٢٧٦ / ٨٨٩م) ([٩١]) ٠ وفى الحديث انه كان لا يرى بأسا بالصلاة على البورى ([٩٢]) ٠ وبه اقتدى الحسن البصرى ،

---

(٨٧) راجع : الطبرى ، ج٨ ص ٤٥٨ ، المسعودى ، ج٢ ص ٣٢٢ ، ابن الأثير ، م٦ ص ٢٧٥ حوادث جمادى الآخرة سنة ١٩٧هـ (فبراير ٨١٣م) ٠ وانظر كذلك : الطبرى ، ج٨ ص ٤٥١ (البيت رقم ٧٧ من رائية الخريمى) ، ج٩ ص ٣١٣ حوادث ربيع الاول سنة ٢٥١هـ (أبريل ٨٦٥م) مع مراجعة لسان العرب ، م٥ ص ٣٧٢٣، ٣٧٢٥ مادة قلع ٠

(٨٨) المسعودى ، ج٢ ص ٣١٨ ٠

(٨٩) الطبرى ، ج٨ ص ٤٥١ (البيت رقم ٧٢ من رائية الخريمى) ، ص ٤٥٨ (البيت الثالث من رائية على الاعمى) ٠

(٩٠) لسان العرب ، م١ ص ٣٨٦ مادة بور ، تاج العروس ، ج٣ ص ٦٠ ـ ٦١ مادة بور (نقلا عن لسان العرب) ، م ١٠ ص ٣٥ مادة برى ٠

(٩١) الجواليقى ، ص ٤٦ مادة بورياء ٠

(٩٢) لسان العرب ، م١ ص ٣٨٦ ، تاج العروس ، ج٣ ص ٦١ ٠

فكان يصلى مع تلاميذه على البوارى ([٩٣]) • كذلك ذكر عن الحلاج الصوفى انه كان لزهده يستقبل مريديه فى بغداد «وهو جالس فى بيت البوارى » ([٩٤]) • ولما كانت البوارى اعجب قطع السلاح عند العيارين فقد شهروا بها وعرفوا بأصحاب البوارى ([٩٥]) • ولدينا شخص كوفى باسم مطير بن الربيع صاحب البوارى (كان حيا ايام الخليفة العباسى الواثق) ([٩٦]) مما يعنى انه كان عيارا او راسا من رءووس العيارين • ويظهر ان العيارين هم الذين تلقبوا بذلك من باب التيمن والتبرك بالنبى • اما الترس (بالضم) ويجمع على تراس (بالكسر) فهو لفظ فارسى معناه محكم او قوى ([٩٧]) •

(ج) تحت الابط الأيمن : مخلاة مليئة بالحجارة والآجر ([٩٨])•

والمهم هنا ان هذه الأسلحة لن تظل على بدائيتها بل سوف تتطور مع الزمن ، وستشاركها فى تطورها الملابس ايضا ، وستختفى من حياة العيارين نهائيا صفة العرى والعراة التى عيروا بها •

---

(٩٣) ابن سعد ، م٧ ص ١٧٦ رواية عالم البصرة ابى الخطاب قتادة ابن دعامة السدوسى الضرير المفسر (١١٧هـ / ٧٣٥م) فى ترجمة الحسن البصرى ، وكان قتادة من تلاميذه •

(٩٤) الخطيب البغدادى ، م٧ ص ١٣٥ •

(٩٥) ابن الأثير ، م٧ (بيروت ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م) ص ١٤٧ حوادث ١١ صفر سنة ٢٥١هـ (مارس ٨٦٥م) •

(٩٦) ابن سعد ، م٦ ص ٤٠٩ ترجمة الفقيه ابى على الحسن بن الربيع الكوفى (٢٢١هـ / ٨٣٦م) •

(٩٧) المعجم فى اللغة الفارسية ، ص ١٣١ •

(٩٨) المسعودى ، ج٢ ص ٣٢٢ • وانظر كذلك : الطبرى ، ج٨ ص ٤٥٨ ، ج٩ ص ٣١٣ ،ابن الاثير ، م ٦ ص ٢٧٥ •

٥ ـ مساكن العيارين ومواردهم المالية :

لم يكن لمعظم العيارين فى بدايتهم مع ضخامة عددهم أماكن مبيت خاصة ولا نظام اعاشة . فكان «مأواهم الحمامات والمساجد » والطرقات (٩٩) . هذا ما ذكرته النصوص . ويجب أن نضيف الى ذلك الأسواق والمقابر والدمن والأدغال والآجام والخربيات والكهوف والغيران (المغارات) والبرارى حتى يمكن استيعاب أعدادهم الهائلة .

أما معاشهم فكان يعتمد على غنائم الحرب والأتاوى والمكوس يفرضونها على أثرياء القوم فى الريف والحضر فضلا عن حصيلة السلب والنهب من هؤلاء الأغنياء . وكان ذلك بعلم الدولة وبرأيها أحيانا . واكساب الحرب المعروفة بالغنائم أو المغانم مقبولة من وجهة نظر الشرع وتسرى عليها قاعدة التخميس التى فرضها الاسلام (سورة الأنفال ، آية ٤١) . أما الأسلاب والضرائب الجائرة كالأتاوى والمصادرات فهى غير مقبولة بحسبانها مغارم وان اختص بها الاغنياء وحدهم . فمن يهاجم الأغنياء ويماكسهم وينتهبهم ويصادرهم ويأخذ زكاتهم وصدقاتهم بالقوة ـ وهو يعمل لخدمة الفقراء ـ بدعوى التكافل الاجتماعى مخطىء لأن الكثيرين منهم كانوا شرفاء أتقياء . والشريعة لا تحارب الغنى فى حد ذاته ، ولكنها تحارب الاسراف وطغيان راس المال الذى يؤدى الى الظلم الاجتماعى . ولكن العيارين والشطار أعتبروا الأغنياء ـ كما فى وصية شيخهم الفكرى عثمان الخياط (ق ٣هـ/٩م) ـ من « الغدر والفجرة » ، ورأوا أنهم «أولى بما فى أيديهم لكذبهم وغشهم

(٩٩) الطبرى ، ج٨ ص ٤٦٨ .

وتركهم اخراج الزكاة وجحودهم الودائع » ([100]) . ومن ثم انتدبوا انفسهم لرد ظلم الأثرياء البخلاء ، ووجدوا فى سرقتهم أمرا مشروعا ودليلا على فتوتهم لان لهم فى أموالهم حقا معلوما ، بل ومفروضا بنص القرآن (سورة التوبة ، آية ٦٠) . وهكذا فالعيارون والشطار ليسوا لصوصا بالمعنى التقليدى الشرير وانما هم لصوص ولكن شرفاء ، سراق ولكن ظرفاء ، ثوار ولكن أشقياء ، أرادوا تحقيق العدالة الاجتماعية بمنهج مقبول اجتماعيا وشعبيا مرفوض سياسيا وشرعيا . ولا يعنى ذلك أن جميع العيارين والشطار كانوا بهذه الصفة اذ كان فيهم الكثيرون من أهل النفاق ومساوىء الأخلاق .

وفى ظل هذا الواقع ومدى شرعيته جرت حوادث التاريخ . ففى سنة ١٩٧هـ (٨١٢ / ٨١٣م) عجز الأمين عن تدبير النفقة للعيارين لقاء الدفاع عن بغداد ، فأباح قائده حاتم بن الصقر لهم ولمن يلوذ بهم النهب ([101]) ، فأقبلوا على حرب جنود طاهر بن الحسين عند باب الشماسية وغنموا منهم كثيرا من المتاع والخيل والسلاح ([102]) . وفى سنة ٢٠١هـ (٨١٦ / ٨١٧م) بعد أن آلت الخلافة الى المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ / ٨١٣ - ٨٢٣م) تسجل النصوص « أن فساق الحربية والشطار الذين كانوا ببغداد والكرخ آذوا الناس أذى شديدا ، وأظهروا الفسق وقطع الطريق وأخذ الغلمان والنساء علانية من الطرق ، فكانوا يجتمعون فيأتون الرجل ، فيأخذون ابنه ، فيذهبون به فلا يقدر أن

---

(١٠٠) راجع الراغب الأصفهانى : محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، ج٣ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦١م ، ص ١٩١ - ١٩٢ نقلا عن كتاب «حيل اللصوص» للجاحظ (٢٥٥هـ/ ٨٦٩م) . وهو كتاب مفقود .

(١٠١) الطبرى ، ج٨ ص ٤٤٨ .

(١٠٢) المصدر السابق ، ج٨ ص ٤٦٥ .

يمتنع ، وكانوا يسألون الرجل ان يقرضهم او يصلهم فلا يقدر عليهم ، وكانوا يجتمعون فيأتون القرى ، فيكاثرون أهلها ، ويأخذون ما قدروا عليه من متاع ومال وغير ذلك ، لا سلطان يمنعهم ، ولا يقدر على ذلك منهم ، لأن السلطان كان يعتز بهم ، وكانوا بطانته ، فلا يقدر أن يمنعهم من فسق يركبونه ، وكانوا يجبون المارة فى الطرق وفى السفن وعلى الظهر (بالضم ، اى الدواب) ويخفرون البساتين ، ويقطعون الطرق علانية ، ولا أحد يعدو عليهم ، وكان الناس منهم فى بلاء عظيم، ثم كان آخر امرهم انهم خرجوا الى قطربل (ناحية فى بغداد الغربية) فانتهبوها علانية ، واخذوا المتاع والذهب والفضة والغنم والبقر والحمير وغير ذلك ، وادخلوها بغداد ، وجعلوا يبيعونها علانية ، وجاء اهلها فاستعدوا السلطان عليهم ، فلم يمكنه اعداؤهم (نصرهم) عليهم ، ولم يرد عليهم شيئا مما كان اخذ منهم ، وذلك آخر شعبان (مارس ٨١٧م) » (١٠٣) .

---

(١٠٣) المصدر نفسه ، ج٨ ص ٥٥١ . وراجع : ابن الاثير ، م٦ ص ٣٢٤ - ١٢٥ حيث الكلام عن فساق بغداد والشطار . والحربية فئة من الجند ومحلة كبيرة ببغداد الغربية عند باب حرب تنسب الى أبى حنيفة حرب بن قيس بن عبد الله الخراسانى البلخى المعروف بالراوندى أحد قادة الخليفة العباسى ابى جعفر عبد الله المنصور (١٣٦ - ١٥٨هـ / ٧٥٤ - ٧٧٥م) . ولى له شرطة بغداد، ثم ولى شرطة الموصل لابنه جعفر (١٥٠هـ / ٧٦٧م) ، وقتله استرخان (استراخان) Astrachan أمير الخزر فى اغارته على تفليس Tibles قصبة بلاد الكرج (جورجيا) Georgia فى سنة ١٤٧هـ (٧٦٤م) . الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ص ٧، الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، م١ ص ٨٥ ، ١٢١ ، ياقوت معجم البلدان ، م٢/ج١ ، طبعة فردناند وستنفلد ، ليبزج ١٨٦٧م ، ص ٢٣٤ مادة الحربية . ويشير لقب الراوندى الملحق باسم حرب الى أنه كان من الراوندية المنسوبين الى بليدة راوند القريبة من مدينتى قاشان واصبهان (أصفهان) باقليم بلاد الجبل (عراق العجم) . وهى فرقة من الشيعة الكيسانية الغالية التى تقول بأن روح الاله دارت فى الأنبياء ثم فى على وأولاده الأئمة =

تلك كانت موارد العيارين التى سمحت بها الدولة لهم نظير الاستعانة بهم وقت الحاجة ، وستتحمل فيما بعد - وفى بعض الأحيان - جزءا من نفقاتهم عند تجنيدهم لحسابها اثناء الاضطرابات السياسية .

٦ - تشكيل القتال العيارى :

كان العيارون قبيل المعركة يتخذون وضع القتال ، وينتظمون فى تشكيل قتالى صلب من رجال يتراصون فى قطار بعمق عشرة رجال ويدورون يمنة ويسرة ليعملوا جنبا الى جنب حسب الأحوال . وهذا التشكيل العشرى البسيط للفصيلة كان يتضاعف بتضاعف الوحدات المشتركة فى القتال . فالفيلق الواحد المكون من عشرة آلاف رجل كان يتوزع الى مائة قطار بعمق مائة رجل . وهذا يعنى ان القطار الواحد كان بمثابة سرية ، وان عشرة قطر كانت بمثابة كتيبة . ولذا كان الفيلق يحتاج فى المواجهة الى خمسة كيلو مترات بعمق كيلو مترين فى أقل تقدير حتى يمكنه المناورة والالتفاف والتطويق ([١٠٤]) . وكان التشكيل من المرونة بحيث يمكن ان ينقسم الى قلب وجناحين . على أن ما قلل من قوة صدمته واجهاض هجمته هو افتقاده الى قوات من الفرسان على

= من بعده عن طريق التناسخ والحلول الى أن انتهت الى محمد بن على بن ابى طالب المعروف بابن الحنفية (٨١هـ/٧٠٠م) ثم الى ابنه أبى هاشم عبد الله (٩٨هـ / ٧١٦م) ، ومنه انتقلت بالوصية الى ابى عبد الله محمد بن على بن عبد الله بن عباس الهاشمى (١٢٥هـ / ٧٤٢م) ثم الى أبنائه من خلفاء بنى العباس . راجع: الفرق بين الفرق ، ص ٣٩ - ٤٠ .

(١٠٤) مبنى هذه الأرقام هو حساب المسافة بين كتفى الرجل بنصف متر وجانبه بعشر متر ثم ضرب الرقمين فى مائة .

الجانبين . وكانت الصفوف الخلفية للتشكيل تعتبر قوة احتياطية لسد الخسائر فى الصفوف الأمامية ([١٠٥]) .

ولدينا نص فريد موجز للمسعودى فى وصف تشكيل العيارين القتالى ومدى اعجاب العامة بأسلوب حربهم يقول : « فيأتى العريف وقد أركب واحدا وقدامه عشرة من المقاتلة على رؤوسهم خوذ الخوص ودرق البوارى ، ويأتى النقيب والقائد والأمير كذلك . فتقف النظارة ينظرون الى حربهم مع أصحاب الخيول الفره والجواشن والدروع والتجافيف والسواعد والرماح والدرق التبتية (المجلوبة من التبت) . فهؤلاء عراة وهؤلاء على ما ذكرنا من العدة » ([١٠٦]) .

وثمة ملاحظة جديرة بالتسجيل ، وهى أن العيارين قبيل القتال وفى خلاله غالبا ما كانوا - كأخلاط شعبية متباينة - يأتون بحركات سوقية قبيحة ماجنة بهدف التهويش والاستهزاء ([١٠٧]) ، بل ويهيجون

---

(١٠٥) راجع محمد عبد الفتاح ابراهيم (عميد أركان حرب) : المذاهب العسكرية التى شكلت تاريخ العالم ، نشر ادارة الشئون العامة للقوات المسلحة ، مطبعة التحرير ، القاهرة ١٩٦٨م ، ص ٤٠ - ٤٢ حيث أفدنا منه فى التعرف على تشكيل قتال المشاه عند قدامى الاغريق . ولم يكن يختلف كثيرا عن تشكيل قتال المسلمين فى العصر الوسيط . ومن ثم أخذنا ببعض عباراته .

(١٠٦) مروج الذهب ، ج٢ ص ٣١٨ . والتجافيف أو التجفاف جمع الجفوف ، وهو ما جلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح . وفرس مجفف عليه تجفاف . لسان العرب ، م١ ص ٦٤١ مادة جفف . ويرى الجواليقى أن التجفاف لفظ فارسى معرب وأصله بالفارسية تن باه ، ودعوة الجواليقى أن الكلمة معربة لا دليل لها . المعرب ، ص ٩١ وهامش ٢ .

(١٠٧) راجع : الطبرى ، ج٨ ص ٤٦٩ (البيت الثالث من شينية عمرو الوراق) .

مقارعيهم ويستثيرونهم بالشتائم والسباب حتى يفقدوهم صوابهم وصلابتهم ([١٠٨]) . والملاعنة والمباهلة شيء مألوف بين الطبقات الدنيا بغرض التظرف والتحبب او التعدى والتنقص . كما كن أشقياؤهم - فيما أوثر عنهم - يخفون اسماءهم للتقية تحت القاب وكنى تدل على الزلق والملص كأبى الباز العقاب والزيبق ، او تثير الخوف فى القلب كأبى الأرضة وأبى النوابح ، او تصيب النفس بالغثيان كأبى الدود وأبى الذباب ([١٠٩]) . وهذا امر عادى فى أوساط العامة .

واليك صورة من صور القتال الفردى عند العيارين نقلا عن الطبرى فى حوادث جمادى الآخرة سنة ١٩٧هـ (فبراير ٨١٣م) : «وذكر أن قائدا من قواد أهل خراسان ممن كان مع طاهر من أهل النجدة والبأس ، خرج يوما الى القتال ، فنظر الى قوم عراه ، لاسلاح معهم، فقال لأصحابه : ما يقاتلنا الا من أرى . استهانة بأمرهم واحتقارا لهم. فقيل له : نعم ، هؤلاء الذين ترى هم الآفة . فقال : اف لكم تنكصون عن هؤلاء وتخيمون عنهم ، وانتم فى السلاح الظاهر ، والعدة والقوة، ولكم ما لكم من الشجاعة والنجدة . وما عسى أن يبلغ كيد من أرى من هؤلاء ولا سلاح معهم ولاعدة لهم ولاجنة تقيهم ! . فأوتر قوسه وتقدم، وأبصره بعضهم فقصد نحوه وفى يده بارية مقيرة ، وتحت ابطه مخلاة فيها حجارة ، فجعل الخراسانى كلما رمى بسهم استتر منه العيار ، فوقع فى باريته أو قريبا منه ، فيأخذه فيجعله فى موضع من باريته ،

---

(١٠٨) راجع : الطبرى ، ج٨ ص ٤٦٤ (البيت رقم ١١ من رائية عمرو الوراق فى واقعة درب الحجارة) حوادث سنة ١٩٧ هـ (٨١٢ / ٨١٣م) ، ج٩ ص ٣١٠ حوادث أواخر صفر سنة ٢٥١هـ (مارس ٨٦٥م) . وانظر ياقوت : معجم الأدباء ، ج٣ ، مكتبة عيسى البابى الحلبى ، القاهرة ، ص ٢٥٦ .

(١٠٩) سيرد النص على زعماء العيارين هؤلاء فيما بعد .

قد هيأه لذلك وجعله شبيها بالجعبة . وجعل كلما وقع سهم أخذه ، وصاح : دانق . اى ثمن النشابة دانق قد احرزه . ولم يزل تلك حالة الخراسانى وحال العيار حتى أنفد الخراسانى سهامه ، ثم حمل على العيار ليضربه بسيفه ، فأخرج من مخلاته حجرا ، فجعله فى مقلاع ورماه فما أخطأ به عينه ، ثم ثناه بآخر . فكاد يصرعه عن فرسه لولا تحامية ، كر راجعا وهو يقول : ليس هؤلاء بانس » (١١٠) .

وهم بالفعل كانوا شياطين (١١١) يحسنون المراوغة والمخاتلة فى القتال . ولذلك وصف اسلوب قتالهم وهم عراة فى أوساطهم المآذر بأنه كان يجرى على «طريقة القراصنة» (١١٢) وللعيارين والمسجونين البغاددة اهزوجة فى ذلك تقول :

لنا من طاهر يوم عظيم الشأن والخطب
علينا فيه بالأنجا د عن هرثمة الكلب
ومنها لأبى الطيّـ ب يوم صادق الكرب
أتاه كل طرار ولص كان ذا نقب
وعريان على جنبيـ ـه آثار من الضرب
اذا ما حل من شرق أتيناه من الغرب (١١٣)

---

(١١٠) الرسل والملوك ، ج٨ ص ٤٥٧ - ٤٥٨ . راجع : المسعودى ، ج٢ ص ٣٢٠ - ٣٢١ ، ابن الأثير ، م٦ ص ٢٧٤ - ٢٧٥ اللذين نقلا الصورة القتالية نفسها .

(١١١) راجع : المسعودى ، ج٢ ص ٣٢١ .

(١١٢) راجع : الذهبى ، ج١ ص ٢٢٥ هامش ١ للمحققين فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم .

(١١٣) راجع : المسعودى ، ج٢ ص ٣١٦ حيث هذا الهزج قيل حين نزل طاهر فى البستان المعروف بباب الكباش الطاهرى . وبمراجعة الطبرى (ج٨ ص ٤٤٣) نجد أن طاهرا قدم الى بستان (باب =

٧ ـ عسكرية العيارين فى الشعر :

عنى الموالى من كبار شعراء بغداد بتدوين الوقائع التى دارت بين العيارين وجنود طاهر بن الحسين المحاصرة لبغداد والتعليق عليها بالقريض . ومن هؤلاء ثلاثة اختصوا بذلك هم ابو حسن على بن جبلة ابن مسلم بن عبد الرحمن الابناوى المعروف بالعكوك (٢١٣هـ / ٨٢٨م) (١١٤) ، وابو يعقوب اسحاق بن حسان بن قوهى الصغدى المعروف بالخريمى (٢١٤هـ / ٨٢٩م) (١١٥) ، وعمرو بن المبارك بن عبد الملك العنزى الوراق (١١٦) . وعلى بن جبلة كان اعمى ابرص اسود . وهو من الشيعة الخراسانية أبناء الدعوة العباسية . ومن

= الكباش الطاهرى) الذى على باب الأنبار (باب الكوفة) من بغداد الغربية يوم الثلاثاء ١٢ من ذى الحجة سنة ١٩٦هـ (٢٤ اغسطس ٨١٢م) . وهرثمة المذكور فى البيت الثانى هو هرثمة ابن اعين الجعدى (٢٠٠هـ / ٨١٦م) من قواد ابى الطيب طاهر ابن الحسين .

(١١٤) انظر فى ترجمته الجاحظ : كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الرشيد للنشر، سلسلة كتب التراث (١١٤) ، بغداد ١٤٠٢هـ) ١٩٨٢م ، ص ١٢٥ ـ ١٢٦ ، ابن المعتز : طبقات الشعراء ، ذخائر العرب (٢٠) تحقيق عبد الستار احمد فرج ، دار المعارف ، القاهرة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م ، ص ١٧١ ـ ١٨٥ ، الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد، م ١١ ص ٣٥٩ ترجمة ٦٢١٤ ، الزركلى : الأعلام ، ج٥ ص ٧٥ ـ ٧٦ . راجع : المسعودى (ج ٢ ص ٣١٧) حيث ذكره باسم الاعمى المعروف بعلى بن ابى طالب !؟ .

(١١٥) انظر فى ترجمته : طبقات الشعراء لابن المعتز ، ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤ ، تاريخ بغداد ، م٦ ص ٣٢٦ ترجمة ٣٣٦٩ ، تاريخ آداب اللغة العربية ، م١ / ج٢ (القاهرة ١٩١٢ م) ص ٨٨ ـ ٨٩ .

(١١٦) انظر فى ترجمته المرزبانى : معجم الشعراء ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م ، ص ٣٠ ـ ٣١ .

ثم قيل له الأبناوى ([١١٧]) . وهـذا يفسـر تعصبه للمـأمـون عـلى الأمين ([١١٨]) . وكان الأصمعى يحسده . وهــو الذى لقبـه بالعكوك (بالفتح مع تشديد الواو) ، أى الغليظ السمين ([١١٩]) . وقد روى عنه الجاحظ . وشعره من النوع السهـل الحسن ([١٢٠]) . أمـا الخريمى واصله من أتراك الصغد (السغد) فكان متصلا بخريم بن عامر المـرى وآله فنسب اليه . وقيـل كـان اتصالـه بعثمان بـن خريم . وكـان يتأله ([١٢١]) . وهو شاعر مفلق مقتدر على الشعر (١٢٢) . أما عمرو الوراق وأصله من البصرة فكان مولى من موالى قبيلة عنزة (بالفتح) الربعية الأسدية . وهو شاعر خليع ماجن له مع أبى نواس أخبار ، وله شعر كثير فى حرب الأمين والمأمون ([١٢٣]) .

وها هى ذه نماذج من أشعار من ذكرنا يقع زمان معظمهـا فى حوادث سنة ١٩٧هـ (٨١٢/٨١٣م) .

---

(١١٧) كتاب البرصان ، ص ١٢٥ والهامش رقم ٥٠٧ ، الاعلام ، ج٥ ص ٧٥ .

(١١٨) راجع : المسعودى ، ج٢ ص ٣١٤ .

(١١٩) الأعلام ، ج٥ ص ٧٥ .

(١٢٠) تاريخ بغداد ، م ١٢ ص ٣٥٩ .

(١٢١) المصدر السابق ، م٦ ص ٣٢٦ .

(١٢٢) ابن المعتز : طبقات الشعراء ، ص ٢٩٣ .

(١٢٣) معجم الشعراء ، ص ٣٠ . راجع : الطبـرى ، ج٨ ص ٤٤٦ حيث نسبته العترى (بالتاء) . والعترى منسوب الى عتـر من بطون قبيلة بلى القضاعية الحميرية اليمنية . راجع : الحازمى، ص ٩١ نسب العترى . ولم يكن لعتر فيما نعلم موضع استقرار فى جنوب العراق .

النموذج الأول : قصيدة رائية لعلى الأعمى فى صرامة العيارين فى اثناء القتال :

خرجت هـذه الحروب رجـالا	لا لقحطـانهـا ولا لنـزار
معشرا فى جواشن الصوف يغدو	ن الى الحرب كالأسود الضوارى
وعليهم مغافر الخوص تجزيـ	هم عن البيض والتراس البوارى
ليس يدرون ما الفرار اذا الابـ	ـطال عاذوا من القنا بالفرار
واحد منهـم يشـد على الـ	ـفين عريان ما لـه من ازار
ويقول الفتى اذا طعـن الطعـ	ـنة : خذها من الفتى العيار
كم شريف قد أخملتـه وكم قـد	رفعت مـن مقامر طـرار (١٢٤)

النموذج الثانى : مختارات من قصيدة رائية للخريمى يبلغ عدد أبياتها مائة وخمسة وثلاثين بيتا فى وصف ما وقع ببغداد من اهـوال فى خلال الحصار مع عناية خاصة بتسجيل مختلف أجناس العياريـن التى نعتها المؤرخون بالأوباش والغوغاء لتأكيد تضاربها وتفرقها لأن الأوباش والغوغاء من الناس هم الاخلاط أو الكثير المختلطون (١٢٥) . وهاك وصفها :

---

(١٢٤) الطبرى ، ج٨ ص ٤٥٨ . راجع : المسعودى (ج٢ ص ٣٢١) حيث نص الابيات عدا الثالث والاخير ونسبها الى على الاعمى بينما جهله الطبرى ، واعتبر فروق القراءة . انظر : حكايـات الشطار والعيارين (ص ٢٦ والهامش رقم ٢١ ص ٩٦) حيـث اعتمد مؤلفها رواية الطبـرى ونسبـها الى احـد شعراء بغـداد المجهولين ، ويرى فى ذلك أمرا يدل على الاعجاب الشعبى !؟ . والغريب انه رجع الى المسعودى ، وذكر ـ على خلاف الواقع ـ أنه نسب القصيدة المذكورة لبعضهم .

(١٢٥) راجع : لسان العرب ، م٦ ص ٤٧٥٣ مـادة وبش ، مختـار الصحاح ، ص ٤٨٥ مادة غوى .

بالسند والهند والصقالب والـ ـنوبة شيبت بها برابرها
طيرا ابابيل ارسلت عبثا يقدم سودانها احامرها
يحرقها ذا وذاك يهدمها ويشتقى بالنهاب شاطرها
والكرخ اسواقها معطلة يستن عيارها وعائرها
اخرجت الحرب من سواقطها آساد غيل غلبا تساورها
من البوارى تراسها ومن الـ خوص اذا استلأمت مغافرها
تغدو الى الحرب فى جواشنها الـ صوف اذا ما عدت أساورها
كتائب الهرش (١٢٦) تحت رايته ساعد طرارها مقامرها
يمثل هام الرجال من فلق الصـ ـخر يزود المقلاع بائرها
بل هل رأيت السيوف مصلتة أشهرها فى الاسواق شاهرها
والخيل تستن فى أزقتها بالتراك مسنونة خناجرها
والنهب تعدو به الرجا وقد أبدت خلاخيلها حرائرها
وقد رأيت الفتيان فى عرصة الـ معرك معفورة مناخرها
كل فتى ما نع حقيقته تشقى به فى الوغى مساعرها (١٢٧)

النموذج الثالث : ثلاثة أبيات من قصيدة صادية لعمرو الوراق مكونة من اربعة عشر بيتا فى معنى رائية على الأعمى ٠٠ واليك بيانها :

---

(١٢٦) هو الحسن الهرش من قادة الأمين ٠ تولى امرة بغداد اثناء الحصار فى جمادى الآخرة سنة ١٩٧هـ (فبراير ٨١٣م) ٠ الطبرى، ج٨ ص ٤٤٨ ، ٤٥٦ ٠ وواصل قتال المأمون بعد أيلولة الخلافة اليه الى ان قتل فى المحرم سنة ١٩٩هـ (اغسطس ٨١٤م) ٠ المصدر السابق ، ج٨ ص ٥٢٧ ، ٥٢٨ ٠

(١٢٧) المصدر نفسه ، ج٨ ص ٤٥١ ـ ٤٥٢ ٠ راجع : المسعودى)ج٣ ص ٣٢١) حيث اقتصر على ذكر البيتين الخامس والسادس ولاحظ فروق القراءة ٠

ترى البطل المشهور فى كل بلـدة اذا ما رأى العريان يوما يبصبص
اذا مآراه الشمرى(١٢٨) مقزلا (١٢٩) علـى عقبيـه للمخافـة ينكص
يبيعـك رأسـا للصبى بدرهـم فان‌قال:انى مرخص‌فهو مرخص(١٣٠)

النموذج الرابع : قصيدة رائية لعمرو الوراق فى وقعة درب الحجارة وكانت الغلبة فيها للعيارين على جند طاهر :

وقعة السبت يوم درب الحجارة قطعت قطعـة من النظارة
ذاك من بعـد ما تفانوا ولكن أهلكتهم غوغاؤنـا بالحجارة
قدم الشورجين(١٣١)للقتل عمدا قال : انى لكم أريد الامـارة
فتلقـاه كـل لـص مريـب عمر السجن دهره بالشطارة
ما عليـه شىء يـواريـه منـه أيره (١٣٢) قائم كمثل المنارة

---

(١٢٨) الشمرى (بفتح الشين والميم المشددة) ومشمر (كمحدث) أى ماض فى الامور والحوائج مجرب . تاج العروس ، ج٣ ص ٣١٤ **مادة شمر .**

(١٢٩) المقزل هـو الذى يمشى مشية العرجان ، أو هـو المتبختر فى مشيه . المرجع السابق ، ج٨ ص ٧٩ مادة قزل .

(١٣٠) الطبرى ، ج٨ ص ٤٥٩ ـ ٤٦٠ .

(١٣١) اسم علم لم يتيسر لى تحقيقه . ومع ذلك يتردد فى أثناء ثورة الزنج ذكر غلمان الشورجيين العاملين فى الشورج بالبصرة الذين انضموا الى دعى الزنج (راجـع : الطبرى ، ج٩ ص ٤١٣ ـ ٤١٤ ، ٤١٦ حوادث آخر رمضان سنة ٢٥٥هـ / سبتمبر ٨٦٩م) مما يفهم معه أن الشورجيين كانوا من سادات البصرة أصحاب قطعان الماشية والضياع الواسعة ، لان الشورج ـ فى الغالب وهـو لفظ نبطى ـ الزريبة قياسيا على أن هؤلاء الغلمان كانوا يعملون فى كسح السباخ من الشورج (المصدر السابـق ، ج٩ ص ٤١٠ ، ٤١٦) وتقديم العـلاف للدواب . ومـن ثم لابـد أن تكون قراءة الشورجيين فى صدر البيت برسم الشورجى . واذا أخذنا بذلك تصبح كلمة الشورجى صفة لا اسما .

(١٣٢) الأير (بفتح فسكون) معروف وهو الذكر . ويجمع على أيور وآيار . تاج العروس ، ج٣ ص ٢٢ ماد أير .

فتولوا عنهم وكانوا قديما يحسنون الضراب فى كل غارة
هؤلاء مثل هؤلاك لدينا ليس يرعون حق جار وجارة
كل من كان خاملا صار راسا من نعيم فى عيشة وغضارة (١٣٣)
حامل فى يمينه كل يوم مطردا فوق رأسه طياره
أخرجته من بيتها أم سوء طلب النهب أمه العيارة
يشتم الناس ما يبالى بافصاح لذى الشتم لا يشير اشارة
ليس هذا زمان حر كريم ذا زمان الانذال أهل الزعارة
كان فيما مضى القتال قتالا فهو اليوم ياعلى (١٣٤) تجارة (١٣٥)

النموذج الخامس : قصيدة صادية لعمرو الوراق فى وقعة باب الشماسية ، وكانت الادالة فيها أول الأمر للعيارين بقيادة حاتم بن الصقر على قوات عبيد الله بن الوضاح من قادة طاهر :

عريان ليس بذى قميص يغدو على طلب القميص
يعدو على ذى جوشن يعمى العيون من البصيص
فى كفه طرادة حمراء تلمع كالفصوص
حرصا على طلب القتال أشد من حرص الحريص

---

(١٣٣) الغضارة : النعمة والسعة فى العيش . لسان العرب ، م٥ ص ٣٢٦٤ مادة غضر .

(١٣٤) هو على افراهمرد من قادة الأمين . كان موكلا به حراسة قصر صالح وقصر سليمان بن أبى جعفر المنصور وكل قصور دجلة وما والاها . ولما أدرك الا جدوى من المقاومة دخل فى أمان طاهر وسلم اليه كل ما كان الأمين وكله به فى منتصف جمادى الآخرة سنة ١٩٧هـ (فبراير ٨١٣م) . الطبرى ، ج٨ ص ٤٤٧ ، ٤٥٤ ـ ٤٥٥ .

(١٣٥) المصدر السابق ، ج٨ ص ٤٦٣ ـ ٤٦٤ .

سلس القيـــــاد كانمـــــا يغـدو عـلى أكـل الخبيص (١٣٦)
ليثـــا مغـــيرا لـم يـــزل رأســا يعـــد مـــن اللصـوص
أجـــرى وأثبـــت مقدمـــا فى الحـرب من أســد رهيص (١٣٧)
يـدنـو عـــلى سنن الهـــوا ن وعيصـــه مـن شرعيص (١٣٨)
ينجـــو اذا كـــان النجـــا ء على أخـــف من القلوص (١٣٩)
مـــا للكمـــى اذا لمقـــــ ــتله تعــرض مـن محيـص
كـم من شـــجاع فـــارس قـد بـاع بالثمـــن الرخيـص
يدعـــو : ألا مـــن يشـــترى رأس الكمـى بكـف شيص (١٤٠)

النموذج السادس : قصيدة شينية لعمرو الوراق فى هزيمة العيارين بزعامة الحسن الهرش فى جزيرة عباس بالقرب من باب الأنبار (باب الكوفة) :

كـم قتيـــل قـــد رأينـــا ما سألنـــاه لأيشـــ (١٤١)
دارعـــا يلقـــاه عريـــا ن يجهـــل وبطيشـــ

---

(١٣٦) الخبيص : حلواء من التمر والسمن · تاج العروس ، ج ٤ ص ٣٨٥ مادة خبص ·

(١٣٧) الأسد الرهيص : الذى يطلع فى مشيته خبثا · المرجع السابق، ج٤ ص ٣٩٩ مادة رهص ·

(١٣٨) العيص (بالكسر) : الشجر الكثير الملتف · المرجع نفسه ، ج٤ ص ٤١١ مادة عيص ·

(١٣٩) القلوص : الناقة الشابه · مختار الصحاح ، ص ٥٤٨ مـــادة قلص ·

(١٤٠) الطبرى ، ج٨ ص ٤٦٥ ـ ٤٦٦ · والشيص والشيطاء : ردىء التمر · وقيل : هو فارسى معرب · واحدته شيصة وشيصاء · لسان العرب ، م٤ ص ٥٣٧٥ مادة شيص ·

(١٤١) أيش : نطق عامى لعبارة «أى شىء» ·

ان تلقـــــــاه برمـــــح يتلقـــــــاه بفيشـــــ (١٤٢)
جيشـــــيا يقتـــــل النـــــا س عـــلى قطعـــــة خيشـــــ
مرتـــــد بالشـــــمش راضـــــ بالمنـــى مـــــن كـــل عيشـــــ
كعـــــلى أفـــراهمـــــــرد أو عـــلاء (١٤٣) أو قريشـ (١٤٤)
احـــذر الرميـــــة ياطـــــا هـــر مـــن كـــف الجيشى (١٤٥)

النموذج السابع : ابيات مختارة من قصيدة داليـة تضم ثمانيـة ابيات لعمرو الوراق فى ذم العيارين وتملق طاهر عندما باتت بغـداد وشيكة الوقوع فى قبضته فى المحرم سنة ١٩٨هـ (سبتمبر ٨١٣م) ٠ وهذه الابيات هى :

من بـــين نطـــاف وســـو اط وبـــــين مقـــــرد
ومجـــــرد يـــأوى الـــى عيـــــارة و مجـــــرد
ومقيـــــد نقـــب السـجو ن فعـــــاد غـــير مقيـــــد
ومســـــود بالنهـــب سـا د وكـــــان غـــير مســـود
ذلـــوا لعـــزك واستكا نـوا بعـد طـول تمـرد (١٤٦)

---

(١٤٢) الفيش والفيشة : راس الذكر ٠ لسان العرب ، م٥ ص ٣٤٩٩ مادة فيش ٠

(١٤٣) هو محمد بن العلاء من قواد طاهر ٠ الطبرى ج٨ ص ٤٣٢ ، ٤٣٧ ٠

(١٤٤) هو قريش بن شبل من قواد طاهر ٠ المصدر السابق ، ج٨ ص ٤٣٢ ـ ٤٣٥ ، ٤٣٧ ـ ٤٣٨ ٠

(١٤٥) المصدر نفسه ، ج٨ ص ٤٦٩ ٠

(١٤٦) نفسه ، ج٨ ص ٤٧٤ ٠

الفصل الثالث

العيارون والدولة

١ ـ في عصر الخلفاء العظام .

٢ ـ في عصر نفوذ الأتراك .

٣ ـ في عصر نفوذ بنى بويه .

٤ ـ في عصر نفوذ السلاجقة .

٥ ـ في عصر نفوذ الاتابكة .

الفصل الثالث

العيارون والدولة

١ ـ في عصر الخلفاء العظام :

ترجع البدايات الأولى لظهور العيارين والشطار الى أيام الخليفتين أبى عبد الله محمد المهدى (١٥٨ ـ ١٦٩ / ٧٧٥ ـ ٧٨٥م) وابى جعفر هارون الرشيد (١٧٠ ـ ١٩٣ هـ / ٧٨٦ ـ ٨٠٩م) حيث الاشارة اليهم باسم الصعاليك والدعار والنص على انتشارهم ببلاد الجبل (عراق العجم) التى كانت تموج آنذاك بجماعات الخرمية المحمرة . ولكف عادية الصعاليك والدعار ـ وربما كانوا من الخرمية ـ بنى المهدى مدينة سيسر (بكسر الأول وفتح ما قابل الآخر) بتخوم همذان بينها وبين آذربيجان على يدى سلمان بن قيراط وسلام الطيفورى . ولما شعث الصعاليك عمارتها فى خلافة الرشيد أعاد بناءها وتحصينها ورتب فيها حامية قوامها الف رجل من أصحاب خاقان الحارثى . على أن سيسر لم تأخذ شكل المدينة الا فى أيام الأمين (١) .

واذا كان المهدى والرشيد قد تمكنا من الحد من امتداد موجة العيارة والشطارة الى بغداد فان الأمين سمح لها بذلك ، وصار العيارون والشطار أصحابه وبه عرفوا وبالصعاليك شهروا . وفى أثناء محنته مع أخيه المأمون استنجد بهم فأنجدوه ، وقادوا مقاومة العامة فى بغداد لقوات طاهر بن الحسين كبير قواد المأمون . وأبلوا فى ذلك بلاء حسنا.

---

(١) راجع مادة سيسر عند ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، تحقيق دى غوية ، مطبعة بريل ، ليدن ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م ، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ ، ياقوت : معجم البلدان ، م٣ / ج١ ، ليبزج ١٨٦٨م ، ص ٢١٦ .

وظلوا على الوفاء للأمين فى أحلك فترات حياته ، ولم يتخلوا عنه كما فعل أقرب المقربين اليه . وعندما باتت العاصمة قاب قوسين أو أدنى من السقوط فى ليلة الأحد (وقيل الخميس) ٢٥ من المحرم سنة ١٩٨هـ (٥ سبمتبر ٨١٣م) دخلوا عليه ونصحوه « فقالوا له : يا أمير المؤمنين ، ليس معك من ينصحك ، ونحن سبعة آلاف رجل مقاتلة ، وفى اصطبلك سبعة آلاف فرس ، يحمل كل منا على فرس ، ونفتح بعض أبواب المدينة ، ونخرج فى هذه الليلة ، فما يقدم علينا أحد الى ان نصير الى بلد الجزيرة وديار ربيعة ، فنجبى الأموال ، ونجمع الرجال ، ونتوسط الشام وندخل مصر ، ويكثر الجيوش والمال ، وتعود الدولة مقبلة جديدة . فقال : هذا والله الرأى . فعزم على ذلك وهم به وجنح اليه » ([٢]) . وبلغ الخبر الى طاهر فاستهوله لسداده ، وبعث الى سليمان بن أبى جعفر والى محمد بن عيسى بن نهيك والى السندى بن شاهك ، من كبار رجال الحاشية فى بلاط الأمين ، يهددهم اذا لم يثنوا الأمين عن عزمه ، فخشوا انتقامه ، وزينوا لمولاهم الاستسلام بالأمان فمال اليه ([٣]) ، فكان فى ذلك نهايته ، اذ بعد استسلامه ذبحه نفر من أعاجم الجند ، وأخذوا راسه الى طاهر ، فسيرها الى المأمون بخراسان فنصبه فى صحن داره ، وامر جنده الذين أجزل لهم العطاء

---

(٢) المسعودى ، ج٢ ص ٣٢٤ . راجع : الطبرى ، ج٨ ص ٤٧٨ ، ابن الأثير ، م٦ ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ .

(٣) الطبرى ، ج٨ ص ٤٧٩ ، المسعودى، ج٢ ص ٣٢٤ . كان من حجاج هؤلاء للامين قولهم : «قد بلغنا الذى عزمت عليه ، فنحن نذكرك الله فى نفسك ! . ان هؤلاء صعاليك ، وقد بلغ الامر الى ما ترى من الحصار ، وضاق عليهم المذهب ، وهم يرون الا أمان لهم على أنفسهم وأموالهم عند أخيك وعند طاهر وهرثمة لما قد انتشر عنهم من مباشرة الحرب والجد فيها ، واسنا نأمن اذا برزوا بك ، وحصلت فى أيديهم أن يأخذوك أسيرا ، ويأخذوا رأسك فيتقربوا بك ، ويجعلوك سبب أمانهم » . الطبرى ، ج٨ ص ٤٧٩ .

بلعنه فأفرطوا فى ذلك ، فكفهم ، وحط الراس ورده الى العراق فدفن مع جثته (٤) ٠

ورغم صيرورة الخلافة الىالمأمون الا أن وجوده بمرور الشاهجان(مرو العظمى) قاعدة اقليم خراسان أطال مقاومة العيارين ومن ورائهم العامة لقواته ،ففىذى الحجة سنة ١٩٨هـ(يولية٨١٤م) ،وكان قد مر على خلافته نحو سنة ، خرج الحسن الهرش على نائبه ببغداد وهو الحسن بن سهل ابن زاذا نفروخ (١٩٨ — ٢٠٢هـ / ٨١٣ — ٨١٧م) ودعا الى « الرضى من آل محمد » ، وتبعه «سفلة الناس (العامة بزعامة العيارين) وجماعة كثيرة من الاعراب ، حتى أتى النيل ، فجبى الاموال ، واغار على التجار ، وانتهب القرى ، واستاق المواشى » (٥) ٠ ولم تلبث مقاومة الهرش طويلا اذ برز لحربه أزهر بن زهير بن المسيب الضبى وفتك به وبأصحابه فى المحرم سنة ١٩٩هـ (أغسطس ٨١٤م) (٦) ٠

وفى خلال الفتنة التى وقعت ببغداد فيما بين سنتى ٢٠٠هـ (٨١٦م) و ٢٠٢هـ (٨١٨م) أغضى نائبها ابن سهل الطرف عما أشاعه الشطار من خوف بين أثرياء القوم لاسرافهم فى نهبهم وسلبهم وبخاصة فى سنة ٢٠١هـ (٨١٦/٨١٧م) (٧) ٠

---

(٤) الطبرى ج٨ ص ٤٨٢ ، ٤٨٦ — ٤٨٧ ، المسعودى ، ج٢ ص ٣٢٤ — ٣٢٧ ، ابن الأثير ، م٦ ص ٢٨٥ — ٢٨٧ ٠

(٥) الطبرى ، ج٨ ص ٥٢٧ ٠ راجع : ابن الأثير ، م٦ ص ٣٠١ ٠ انظر : الطبرى ، ج٩ ص ١٨٤ حيث وفاة الحسن بن سهل ببغداد فى أول ذى الحجة سنة ٢٣٦هـ (٥ يونيه ٨٥١م) ٠

(٦) الطبرى ، ج٨ ص ٥٢٨ ٠

(٧) راجع : الطبرى ، ج٨ ص ٥٥١ ، ابن الأثير ، م٦ ص ٣٢٤ — ٣٢٥ ٠

وعندما ثار البغاددة بابن سهل وعزلوا المأمون فى أول المحـرم سنة ٢٠٢هـ (٢٠ يوليه ٨١٧م) وبايعوا عمه ابراهيم بن المهدى (٢٢٤هـ/ ٨٣٩م) بالخلافة ولقبوه بالمبارك (٨) ، وهو من كبار فنانى العصر فى الموسيقى والغناء ، بارك العيارون هذا الاستخلاف . وفى أواخر شوال سنة ٢٠٣هـ (مايو ٨١٩م) قعد شطارهم فى المسالح (٩) . وازاء هـذا التطور الخطير جمح المأمون الى عاصمة ملكه ، فآب البغـاددة الى الطاعة (١٠) ، وتوارى ابراهيم بن المهدى فى ١٧ ذى الحجـة (١٤ يونية) (١١) فى بيت أحد الشطار ، ورفض هذا الشاطر افشاء سره وتسليمه لقاء الجائزة التى أعلنت ومقدارها ألف دينار ذهبا لمن يدل عليه أو يسلم رأسه (١٢) . وقدم المأمون الى بغداد فدخلها فى ١٦ صفر سنة ٢٠٤هـ (١٢ أغسطس ٨١٩م) وقطع مادة الفتن بها (١٣) ، وسجن نفرا كبيرا من العيارين وتخلص من بعضهم بالقتل (١٤) .

ولما حاول ابن عائشة وهو ابراهيم بن محمد بن عبد الوهـاب ابن ابراهيم الامام من أنصار عمه ابراهيم تدبير مؤامرة فى صفر سنة ٢١٠هـ (مايو ٨٢٥م) ترمى الى خلعه واعادة ابراهيم للخلافة، اكتشف

---

(٨) الطبرى ، ج٨ ص ٥٥٧ ، ابن الأثير ، م٦ ص ٣٤١ .

(٩) الطبرى ، ج٨ ص ٥٧٠ ، ابن الأثير ، م٦ ص ٣٥٢ .

(١٠) الطبرى ، ج٨ ص ٥٧٠ ـ ٥٧١ ، ابن الأثير ، م٦ ص ٣٥٣ .

(١١) الطبرى ، ج٨ ص ٥٧٢ ، ابن الأثير ، م٦ ص ٣٥٥ .

(١٢) حكايات الشطار والعيارين ، ص ٣٨ .

(١٣) الطبرى ، ج٨ ص ٥٧٤ ـ ٥٧٦ . راجـع : ابن الأثير ، م٦ ص ٣٥٧ حيث دخل المأمون بغداد منتصف صفر .

(١٤) حكايات الشطار والعيارين ، ص ٣٨ .

تلك المؤامرة واحبطها ، والقى مدبرها وشركاءه فى غياهب المطبق([١٥]) ، وكان من بينهم رجلان من الشطار يقال لاحدهما ابو مسمار وللآخر عمار ([١٦]) . وفى ١٣ ربيع الاخر (٦ اغسطس) ظفر المأمون بعمه ابراهيم واعتقله ([١٧]) . وأراد ابن عائشة وثلاثة من اصحابه ، وهم محمد بن ابراهيم بن الأغلب التميمى الأفريقى وأبو مسمار وفرج البغوارى ، الهرب من المطبق ، فوشى بهم زميلهم عمار ، فضربوا بالسياط ما خلا عمار ، وقتلوا صبرا ، وصلبوا ([١٨]) . وكان ابن عائشة « أول عباسى صلب فى الاسلام » ([١٩]) . وأحضر المأمون عمه ابراهيم للقصاص منه ، فأظهر التوبة والندم ، فعفا عنه ، وأكرمه ([٢٠]) . وساءت بأثر ذلك العلاقات بين الأغالبة فى المغرب الأدنى (افريقية) زمن زيادة الله الاول الاغلبى (٢٠١ - ٢٢٣هـ / ٨١٧ - ٨٣٨م) والخلافة العباسية زمن المأمون نتيجة لقتل الخليفة لأخى الامير الاغلبى ([٢١]) .

---

(١٥) الطبرى ، ج٨ ص ٦٠٢ ، ابن الأثير ، م٦ ص ٣٩١ .

(١٦) الطبرى ، ج٨ ص ٦٠٣ .

(١٧) المصدر السابق ، ج٨ ص ٦٠٣ . راجع : ابن الأثير ، م٦ ص ٣٩٢ حيث القبض على ابراهيم بن المهدى فى ربيع الأول (يولية) .

(١٨) الطبرى ، ج٨ ص ٦٠٣ - ٦٠٤ . راجع : ابن الأثير ، م٦ ص ص ٣٩١ - ٣٩٢ . والقتل صبراً هو قتل الحبس والاسر الذى لايستطيع الانسان دفعه ولايملك ألا الصبر عليه وانتظاره . فهو اذن مصبور للقتل لا صابر عليه أو صبور .

(١٩) المصدر السابق ، م٦ ص ٣٩٢ .

(٢٠) الطبرى ، ج٨ ص ٦٠٤ - ٦٠٦ ، ابن الأثير ، م٦ ص ٣٩٢ - ٣٩٣ .

(٢١) راجع ابن الأبار (الحلة السيراء ، ج١ ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٣م ، ص ١٦٥ ترجمة ٦١) حيث رفض زيادة الله الاول الخضوع لعبد الله بن طاهر بن الحسين مولى خزاعة (٢٣٠هـ / ٨٤٤م) والى المأمون على مصر ، وهدد المأمون بالدعوة للادارسة أصحاب المغرب الأقصى وأعداء العباسيين .

وولى الخلافة بعد المأمون أخوه المعتصم ابو اسحاق محمد (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ / ٨٣٣ ـ ٨٤٢م) ، فنقل العاصمة الى مدينة سامرا التى ابتناها لجنده الاتراك فى سنة ٢٢١هـ (٨٣٦م) بناحية نهير القاطول فى شمالى بغداد ([٢٢]) . وفى عهده تم ضرب احمد بن حنبل شيخ السلفية وامام اهل بغداد فى المحنة بخلق القرآن (٢١٨ ـ ٢٣٤هـ / ٨٣٣ ـ ٨٤٨م) ، وزج به فى السجن فى سنة ٢٢٠هـ (٨٣٥م) . وعن ذكريات هذه المحنة الأليمة روى عن ابن حنبل أنه «قال : رحم الله أبا الهيثم ، لما مددت يدى الى العقاب ، وأخرجت الى السياط اذ انا بانسان يجذب ثوبى من ورائى ويقول لى : أتعرفنى ؟ قلت : لا. قال : انا ابو الهيثم العيار اللص الطرار ، مكتوب فى ديوان أمير المؤمنين انى ضربت ثمانية عشر الف سوط بالتفاريق ، وصبرت على ذلك فى طاعة الشيطان لاجل الدنيا ، فاصبر انت فى طاعة الرحمن لاجل الدين » ([٢٣]) .

وبعد عصر المعتصم والى آخر العصر العباسى الاول حيث حكم الخلفاء العظام لانسمع شيئا عن العيارين مما يوحى بتماسك الدولة وثبات سلطتها . ولئن اردنا التعرف على السمات العامة لحركة العيارين فى ذلك العصر نجد أن العيارين ايدوا التيار المعارض لخلافة المأمون الذى تبناه الحزب العربى ، فوقفوا الى جانب الأمين والى جانب ابن المهدى ، وعارضوا تسلط الفرس على الدولة زمن المأمون والترك زمن المعتصم ، ولم يظهروا بمظهر قاطعى الطريق ـ وفق ما بلغنا من الأخبار ـ سوى مرتين فى خلافة المأمون . كما أنهم تعاطفوا مع اهل

---

(٢٢) الطبرى ، ج٩ ص ١٧ ـ ١٨ ، ابن الأثير ، م٦ ص ٤٥١ ـ ٤٥٢.
وراجع ياقوت : معجم البلدان ، م٣ / ج١ ص ١٤ ـ ١٥ مادة سامرا ، م٤ / ج٢ (ليبزج ١٨٦٩م) ص١٦ مادة القاطول .

(٢٣) ابن الجوزى : تلبيس ابليس او نقد العلماء ، القاهرة ١٢٤٠هـ، ص ٤٤ .

السنة السلفية ومنهجهم النصوصى القريب من افهام العامة ضد المعتزلة ومنهجهم العقلانى الارستقراطى . وهذا واضح من رواية ابن حنبل عن أبى الهيثم « العيار اللص الطرار » . فزادت حركتهم بذلك شعبية على شعبية .

٢ ـ فى عصر نفوذ الاتراك :

أعقب المعتصم ولداه الواثق ابو جعفر هارون (٢٢٧ ـ ٢٣٢هـ / ٨٤٢ ـ ٨٤٧م) فالمتوكل على الله ابو الفضل جعفر (٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ / ٨٤٧ ـ ٨٦١م) . وتحدد خلافة المتوكل بدء عهد جديد انتقلت فيه السلطة من الخلفاء الى كبار قادة الأتراك .

وعندما انتهت خلافة المنتصر بالله ابى جعفر محمد بن المتوكل (٢٤٧ ـ ٢٤٨هـ / ٨٦١ ـ ٨٦٢م) كان من المتوقع أن يخلفه فى الملك اخوه المعتز بالله ابو عبد الله محمد ، ولكن قادة الأتراك عدلوا عنه الى ابن عمه ابى العباس أحمد بن محمد بن المعتصم ولقبوه المستعين بالله (٢٤٨ ـ ٢٥٢هـ / ٨٦٢ ـ ٨٦٦م) (٢٤) . ولم يحظ هذا الاختيار برضاء العيارين فى سامرا وتحرشوا بالأتراك ، وانتهبوا منهم الكثير من الدواب والدروع والجواشن واللجم المغربية والتراس والرماح (٢٥) .

وبقى المستعين فى سامرا مسلوب الارادة مع وصيف (٢٥٣ هـ / ٨٦٧م) وبغا الصغير المعروف بالشرابى (٢٥٤هـ / ٨٦٨م) المستبدين به . وحين أراد باغر قاتل المتوكل مشاركتهما فى السلطة اتفقا على

---

(٢٤) الطبرى ، ج٩ ص ٢٥٦ .

(٢٥) راجع : المصدر السابق (ج٩ ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨) حيث الاشارة فى النص الى الغوغاء كناية عن العيارين .

التخلص منه . وفى يوم الاثنين الثانى من المحرم سنة ٢٥١هـ (٣ فبراير ٨٦٥م) وثبابه وجندلاه . واذ ذاك ثار اصحاب باغر ، فترك لهم المستعين سامرا فى ليلة الثلاثاء ، وانحدر مع وصيف وبغا الى بغداد ([٣٦]) ، فوصلوها فى فجر الأربعاء ([٣٧]) . وادرك الاتراك فى سامرا أن مقام الخليفة فى مدينتهم يضفى الشرعية على تغلبهم فبعثوا بكبرائهم يعتذرون اليه ويسالونه الرجوع فرفض ، فأجمعوا رايهم على عزله والبيعة لابن عمه المعتز . وكان المعتز فى حبس المستعين بسامرا فأخرجوه وبايعوه ([٣٨]) .

ولما اتصل بنائب بغداد محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين (٢٣٧ - ٢٤٨هـ / ٨٥١ - ٨٦٢م) خبر البيعة للمعتز امر بقطع الميرة عن اهل سامرا ([٣٩]) ، « وشرع فى تحصين بغداد ، وادار عليها الأسوار والخنادق من الجانبين ، وجعل على كل باب قائدا ، ونصب على الأبواب المجانيق والعرادات ، وشحن الأسوار بالرماة والمقاتلة ، وبلغت النفقة فى ذلك ثلاثمائة وثلاثين الف دينار » ([٣٠]) . كذلك فزع

---

(٢٦) المصدر نفسه ، ج٩ ص ٢٧٨ - ٢٨١ .

(٢٧) نفسه ، ج٩ ص ٢٨٣ ، ذكر الطبرى رواية أخرى تجعل وصول المستعين الى بغداد فى يوم الأربعاء الخامس من المحرم ، وبهذه الرواية أخذ ابن الأثير (م ٧ ص ١٣٧) .

(٢٨) الطبرى ، ج٩ ص ٢٨٣ - ٢٨٧ . راجع : الذهبى (ج١ ص ١٥١) الذى ذكر ذلك فى حوداث سنة ٢٥٢هـ (٨٦٦م) .

(٢٩) الطبرى ، ج٩ ص ٢٨٧ . راجع : المصدر السابق (ج٩ ص ٣٧٦) وابن الاثير (م٧ ص ١٨٠) حيث وفاة محمد بن عبد الله بن طاهر ببغداد فى ١٤ ذى الحجة سنة ٢٥٣هـ (١٥ ديسمبر ٨٦٧م) .

(٣٠) ابن خلدون ، ج٣ ص ٢٨٧ . راجع : الطبرى ، ج٩ ص ٢٨٧ - ٢٨٨ . ابن الاثير ، م٧ ص ١٤٣ - ١٤٤ . والعرادات جمع العرادة : وهى آلة صغيرة للرمى شبه المنجنيق . لسان العرب ، م٤ ص ٢٨٧٢ مادة عرد .

ابن طاهر الى العيارين يطلب معونتهم كما فعل الأمين من قبل ، وعاملهم - ولاول مرة - معاملة الجند ، فصيرهم من أصحاب الفروض والأرزاق (الرواتب) ، وقود عليهم عريفا منهم اسمه ينتويه ، واوصى بتزويدهم بتراس من البوارى المقيرة ومخال ملأى بالحجارة للرمى ، وأوكل الاشراف على عمل البوارى الى قائد من قواده يدعى محمد بن أبى عون • وكانت البارية من الطول بحيث كان العيار اذا وقف خلفها سترته تماما • ووصل مجمل ما صرف على البوارى وحدها ما يزيد على مائة دينار ([٣١]) • وفضلا عن ذلك اخرب ابن طاهر القناطر فاغرقت المياه ناحيتى الأنبار وبادوريا ليقطع طريق الأتراك الى بغداد من جهة الجنوب الغربى ([٣٢]) • وفى ٢٣ محرم (٢٤ فبراير) فرغ من عمل الأسوار ([٣٣]) •

وفى الوقت ذاته عقد المعتز لأخيه أبى احمد طلحه على حرب المستعين وابن طاهر ، وضم اليه الجيش ، وجعل التدبير الى كلباتكين ([٣٤]) • وفى ١٠ صفر (١٣ مارس) وافت قوات أبى احمد طلحة

---

(٣١) الطبرى ، ج٩ ص ٢٨٨ • راجع : ابن الأثير (م٧ ص ١٤٤) حيث العريف العيار باسم يبنويه • ورواية ابن الأثير هنا منقولة عن الطبرى • وانظر المسعودى (ج ٢ ص ٣١٩) الذى أورد اسم العيار برسم بنينويه خالوية • وقد اختصر ابن خلدون (ج ٣ ص ٢٨٨) رواية ابن الأثير فلم يذكر منها الا فرض الرزق للعيارين والاغداق عليهم •

(٣٢) الطبرى ، ج٩ ص ٢٨٩ • وبادوريا ناحية بالجانب الغربى من بغداد • عجم البلدان ، م١ / ج٢ (ليبزج ١٨٦٦م) ص ٦٨٠ •

(٣٣) الطبرى ، ج٩ ص ٢٨٨ •

(٣٤) المصدر السابق ، ج٩ ص ٢٩٠ ، ابن الاثير ، م٧ ص ١٤٥ •

باب الشماسية من باب بغداد الغربية ونزلت بالقرب منه (٣٥) ٠ وفى ١٨ صفر (٢١ مارس) وردت قوات اخرى مـن لدن المعتـز وضربت معسكرها بين قطربـل وقطيعة ام جعفـر (زبيدة زوج الرشيد وام الأمين) (٣٦) ٠ وهكذا حوصرت بغداد للمرة الثانية ، وامتد حصارها قرابة عام (الأحد ٧ صفر ٢٥١ ـ الجمعة ٤ محرم ٢٥٢هـ / ١٠ مارس ٨٦٥ ـ ٢٥ يناير ٨٦٦م) ٠ ومن قبيل المفارقة أن يكون العيارون فى المرة الأولى على طاهر بن الحسين وفى المرة الثانية مع حفيده محمد ابن عبد الله بن طاهر ٠

وتمت عدة وقعات بين قوات ابن طاهر وقوات الأتراك منها وقعة دارت فى ١٣ صفر (١٦ مارس) عند باب الشماسية ، وفيها « انهـزم اكثر عامة أهل بغداد ، وثبت أصحاب البوارى » (٣٧) ٠ ومنها وقعة حدثت عند باب القطيعة فى ١٩ صفر (٢٢ مـارس) ، وفيها انكسـر الأتراك (٣٨) ، ومنح ابن طاهر لكل من وافـى داره براس تركى او مغربى خمسين درهما ٠ وكان للعيارين فى ذلك النصيب الأوفى (٣٩)٠ وفى أعقاب تلك الهزيمة رجع الأتراك القهقرى تمهيدا لزحفة تالية ٠ وهاجم العيارون معسكرهم بقطربل فانتهبوا ما خلفوه « من متاع اهل قطربل وابواب دورهم » ٠ واقاموا هنالك الى ان صدرت اليهم الأوامر بالانصراف (٤٠) ٠

---

(٣٥) المصدر نفسه ، ج٩ ص ٢٩٢ ٠

(٣٦) نفسه ، ج٩ ص ٢٩٥ ٠

(٣٧) نفسه ، ج٩ ص ٢٩٣ ٠ راجع : ابن الاثير ، م٧ ص ١٤٧ ٠

(٣٨) الطبرى ، ج٩ ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦ ٠

(٣٩) المصدر السابق ، ج٩ ص ٢٩٦ ٠ راجع : ابن الاثير ، م٧ ص ١٤٨ ٠

(٤٠) الطبرى ، ج٩ ص ٢٩٦ ٠

وفى ١٧ صفر (٢٠ مارس) قبيل وقعة باب القطيعة نجح الأتراك فى السيطرة على طريق خراسان ، وامتد حصارهم بذلك الى ناحية الشمال الشرقى ، فانقطع الطريق من بغداد الى خراسان (٤١) . ولذا ازداد اعتماد ابن طاهر على العيارين ، واهتم بتدريعهم وزيادة تسليحهم ، اذ كان اكثرهم يحضر القتال بغير سلاح ولا يستعمل فيه غير الآجر . ومن ثم أمر فى شهر ربيع الأول (ابريل) بعمل كافركونات فيها مسامير الحديد وتوزيعها على العيارين (٤٢) . والكافركونات كلمة من مقطعين : الأول « كافر » ، وهو عربى بمعنى الذى غطاء السلاح أو الداخل فى السلاح اذا لبس فوق درعه ثوبا فغشاه به (٤٣) . أما الثانى فتركى ، وهو « كون » وجمعه كونات ، فهو جلد مدبوغ (٤٤) . اى ان الكافركونات هى الدروع المصنوعة من الجلد التى توضع تحت الملابس لتوفير أسباب السلامة والطمأنينة . ونفهم من وجود مسامير حديد فيها انها كانت ذات حلقات من الزرد تبرشم كل حلقة منها بمسمارين من الحديد ينفذان راسا من ناحية الى أخرى (٤٥).

ويبدو ان ابن طاهر أمر بقطع عديدة متنوعة من السلاح للعيارين، وجعلها فى دار قائد من قواده اسمه المظفر بن سيسل ، وأخرج مناديا

---

(٤١) المصدر السابق ، ج٩ ص ٢٩٤ .

(٤٢) المصدر نفسه ، ج٩ ص ٣٠٩ ، ابن الأثير ، م٧ ص ١٥٠ . ورسم كلمة كافركونات (بالنون) مأخوذ من ابن الأثير لأنها عند الطبرى برسم كافركوبات (بالباء) .

(٤٣) تاج العروس ، ج٣ ص ٥٢٥ ـ ٥٢٦ مادة كفر .

(٤٤) الأنسى : قاموس اللغة العثمانية المسمى الدارى اللامعات فى منتخب اللغات ، مطبعة جريدة بيروت ، بيروت ١٣١٨هـ ، ص ٤٨٥ .

(٤٥) راجع : الملابس المملوكية ، ص ٦٧ ـ ٦٨ .

فنادى « من أراد السلاح فليحضر دار المظفر » ، فهرع اليها العيارون من كل جانب فقسم ذلك فيهم ، واثبت أسماءهم واختار العيارون لرئاستهم ابا جعفر ينتويه ودونال ودمحال وابا نملة وابا عصارة • ولم يدون فى الديوان من هؤلاء الا ينتويه الذى ظل رئيسا على عيارى الجانب الغربى من بغداد طوال تلك الفتنة • ولما حصل العيارون على الكافركونات تفرقوا على أبواب بغداد وكروا على الاتراك فقتلوا منهم ومن اتباعهم نحوا من خمسين رجلا وغنموا علمين وسلمين • وكانت خسارة العيارين فى تلك الكرة عشرة من القتلى وخمسمائة من الجرحى بالنشاب (٤٦) •

وتشير النصوص الى أن العيارين أصبح منهم الخيالة (الفرسان) أصحاب الخيل الى جانب الرجالة (المشاة) أصحاب البوارى • والمرجح أن ذلك حدث اثر هيمنة الأتراك على طريق خراسان وادبارهم أمام العيارين فى وقعة باب القطيعة • ومع ذلك بقى تشكيل قتال العيارين العشرى كما هو بلا تغيير • فكان المقدم منهم يركب على كتفى أحدهم ويسير الى الحرب فى خمسة فيالق كاملة •أى فى خمسين الف مقاتل (٤٧)• وهذا رقم مهول قد يكون دون ذلك بكثير ، وقد يكون قريبا منه اذا تذكرنا انه يمثل عامة الشعب •

وبهذا التنظيم الجديد للعيارين الى فرسان ورجالة واجه العيارون بقيادة ينتويه قوات الأتراك بظاهر باب قطربل فى أواخر صفر (مارس)، اذ خرجوا من ذلك الباب ، وجاوزوا باب قطربل ، ومضوا يتحككون

---

(٤٦) الطبرى ، ج٩ ص ٣٠٩ • راجع : ابن الأثير ، م٧ ص ١٥٠ •

(٤٧) راجع : المسعودى ، ج٢ ص ٣١٩ •

بالأتراك بالشتم والسب . فتضايق الأتراك من ذلك وعبر اليهم بعض ناشبتهم فى الزوارق ورموهم بالنشاب فسقط أحدهم قتيلا وجرح عشرة آخرون . غير أن العيارين صمدوا للهجوم وامطروا ناشبة الاتراك بوابل من الحجارة فأثخنوهم ، والزموهم الفرار الى معسكراتهم . وعلم ابن طاهر بماجرى فأحضر ينتويه ولامه على تهوره ، ونبه عليه بعدم الخروج الا فى يوم قتال ، وسوره بسوار من ذهب وزنه سبعة مثاقيل (دنانير) ونصف ، وامر له بخمسمائة درهم ([٤٨]) . وبذلك بلغ ينتويه العيار مرتبة الامارة فى جيش الخلافة ([٤٩]) .

وتجمعت جيوش ابى احمد طلحة امام باب قطربل فى فاتح ربيع الأول (١ ابريل) ، واستعد العيارون فى الجانبين الغربى والشرقى للقائها . وكان يتصدرهم فى الجانب الغربى رجل منهم يعرف بديكويه وفى الجانب الشرقى رجل آخر يعرف بابى جعفر المخرمى . وقد خرج ديكويه على حمار ، وكذلك فعل خليفته ، وسار من ورائهما العيارون فى التراس والسلاح . وخرج ابو جعفر المخرمى فى خمسمائة رجل مدججين بالتراس والبوارى المقيرة ومعهم كافركونات وسيوف وسكاكين فى مناطقهم ([٥٠]) . وفى ١٩ ربيع الأول (٢١ ابريل) وقع

---

(٤٨) الطبرى ، ج٩ ص ٣١٠ . راجع المصدر السابق (ج ٩ ص ٣١٢) حيث قسنا وزن سوار ينتويه على وزن سوار ابى السنا من قواد ابن طاهر .

(٤٩) راجع : المسعودى ، ج٢ ص ٣١٩ .

(٥٠) الطبرى ، ج٩ ص ٣١١ . ونسبة المخرمى الى قطيعة المخرم ببغداد الشرقية . وهى مسماة باسم صاحبها مخرم بن شريح بن مخرم بن زياد المذحجى الحارثى من عرب كهلان اليمنية . وكان «اقطعها أيام نزلت العرب (العراق) فى عهد عمر بن الخطاب » . تاريخ بغداد ، م١ ص ٩٦ . وراجع : الحازمى ، ص ٤٥ نسب الحارثى .

الاشتباك بين قوات ابن طاهر الرسمية والشعبية وجيوش ابى احمد طلحه من الأتراك والمغاربة . وكانت الحرب سجالا بينهما (٥١) .

وتمادى القتال الى باب القطيعة ، وكانت للعيارين فيه بطولة وشجاعة لا تنكر . ومما روى فى ذلك أن غلاما عيارا لم يبلغ الحلم حضر هذه الوقعة ومعه مخلاة فيها حجارة ومقلاع فى يده فاعترضه أربعة من فرسان الأتراك فجعلوا يرمونه بالنشاب فيخطئونه ، وجعل يرميهم بالحجارة فلا يخطىء حتى تقطرت بهم خيولهم ، فانصرفوا ثم عادوا ومعهم أربعة من رجاله المغاربة بأيديهم الرماح والتراس فحملوا عليه ، وتقدم اثنان منهم للامساك به ، فألقى بنفسه فى الماء . فسبحا خلفه فلم يلحقاه . وعبر الى الجانب الآخر وصاح بهما ساخرا . وكبر كل من شهد ذلك من الناس اعجابا بشجاعة العيار الصغير وفرحا بنجاته (٥٢) .

وكما اخفقت جيوش الأمين من قبل فى طرد قوات المأمون من على أبواب بغداد اخفقت ايضا جيوش المستعين فى رد جحافل المعتز . واضطر المستعين فى ١٩ ذى الحجة (١٠ يناير ٨٦٦م) الى التخلى عن الخلافة بالأمان للمعتز (٥٣) . وفى يوم الجمعة ٤ من المحرم سنة ٢٥٢هـ (٢٥ يناير) دعى للمعتز على منابر بغداد (٥٤) . وانتهى بذلك حصار

---

(٥١) الطبرى ، ج٩ ص ٣١١ ـ ٣١٢ .

(٥٢) المصدر السابق ، ج٩ ص ٣١٣ .

(٥٣) المصدر نفسه ، ج٩ ص ٣٤٥ .

(٥٤) نفسه ، ج٩ ص ٣٤٨ .

بغداد الثانى ، وانتهت محنة البغاددة به .

وعندما اعلن دعى الزنج الثورة فى خلافة المهتدى بالله ابى عبد الله محمد بن الواثق (٢٥٥ - ٢٥٦هـ / ٨٦٩ - ٨٧٠م) فى يوم الاربعاء ٢٦ رمضان سنة ٢٥٥هـ (سبتمبر ٨٦٩م) (٥٥) بعد ان جذب الزنج اليه مستغلا سوء أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية ، وهدد بجيوشه جنوب العراق فيما بين واسط وساحل الخليج العربى ، واشاع الفزع والهلع فى تلك المنطقة لجأت الدولة لثالث مرة الى العيارين ، واستقدمت منهم طائفة من الرى مع صاحب الشرطة سليمان بن عبد الله بن طاهر ، فانضموا الى عيارى بغداد (٥٦) . وعينت الدولة عليهم من قبلها قائدا تركيا اسمه جعلان ، فعرف لذلك بجعلان العيار (٥٧). وجعلان هذا من قواد كلباتكين مقدم جيش ابى أحمد طلحة الذين شاركوا فى حصار بغداد أيام فتنة المستعين . واول ذكر له يقع فى حوادث يوم السبت ٢٢ رجب سنة ٢٥١هـ (اغسطس ٨٦٥م) (٥٨) . وحين تولى جعلان قيادة العيارين وضغط الزنج بقواتهم على البصرة فى يوم الاثنين ١٤ ذى القعدة سنة ٢٥٥هـ (٢٥ اكتوبر ٨٦٩م) خرج مددا

---

(٥٥) نفسه ، ج٩ ص ٦٦٣ ، فى رواية أخرى (ج ٩ ص ٤١٣) كان خروجه ليلة السبت ٢٨ رمضان (أوائل سبتمبر) ، وفى ثالثة (ج ٩ ص ٤١٠) كان ظهوره فى فرات البصرة للنصف من شوال (أواخر سبتمبر) .

(٥٦) نفسه ، ج٩ ص ٣٩٩ - ٤٠٥ مع ملاحظة الاشارة اليهم باسم الصعاليك .

(٥٧) نفسه ، ج٩ ص ٥٤٣ حوادث جمادى الأولى سنة ٢٦٥هـ (يناير ٨٧٩م) . والمذكور بالمتن هو مفهوم الخبر .

(٥٨) نفسه ، ج٩ ص ٤٢٧ .

لأهلها [٥٩] ٠

وبعيد ذلك شغل الأتراك بالصراع على السلطة عن التفرغ لحرب دعى الزنج ٠ وقد حسم هذا الصراع الذى دار بين أبى أحمد موسى بن بغا الكبير (٢٦٤هـ / ٨٧٧م) وصالح بن وصيف (٢٥٦هـ/٨٧٠م) بدخول الأول سامرا بالجيش فى يوم الاثنين ١١ من المحرم سنة ٢٥٦هـ (١٩ ديسمبر ٨٦٩م) واختفاء الثانى [٦٠] ٠ وسعى موسى جاهدا فى القبض على صالح والتخلص منه بتهمة قتل الخليفة المعتز والكاتبين أحمد بن اسرائيل وأبى نوح عيسى بن ابراهيم النصرانى وتكشيفهم واستصفاء أموالهم [٦١] ، فضلا عن مصادرة أموال الكاتب أحمد بن مخلد وتعذيبه [٦٢] ٠ وفوق هذا وذاك اخذ أموال قبيحة أم المعتز [٦٣] ٠ وفى يوم الأحد ٢٢ صفر (١ فبراير ٨٧٠م) وشى غلام من العجم بمكان صالح الى صديقه روزبة العيار من موالى صالح الساخطين عليه أو الطامعين فى عطاء الدولة ، فجمع ثلاثة من رفاقه ، وهجم عليه ، فأمسك به ، فلم يقاومه ، وتضرع اليه أن يتركه فقال له فى فتوة ظاهرة: « ليس الى تركك سبيل ، ولكنى أمر بك على أبواب اخوتك وأصحابك وقوادك وصنائعك ، فان اعترض لى منهم اثنان أطلقتك فى أيديهم » ٠

---

(٥٩) نفسه ، ج٩ ص ٤٣٧ ٠ والتاريخ المثبت مأخوذ من المصدر نفسه، ج٩ ص ٤٣٥ ٠

(٦٠) نفسه ، ج٩ ص ٤٣٨ ـ ٤٤٠ ٠

(٦١) نفسه ، ج٩ ص ٤٣٩ ٠ أنظر المصدر نفسه ، ج٩ ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠ عن قتل المعتز فى يم السبت ٢شعبان سنة ٢٥٥هـ (يولية ٨٦٩م) ، ص ٣٩٦ ـ ٣٩٨ عن قتل ابن اسرائيل وأبى نوح فى ٢٧ رمضان سنة ٢٥٥هـ (سبمتبر ٨٦٩م) ٠

(٦٢) نفسه ، ج٩ ص ٣٨٧ ـ ٣٨٨ ، ٣٩٦ ـ ٣٩٩ ، ابن الاثير ، م٧ ص ٢٠١ ٠

وخرج روزبة وصحبه بصالح ، فلم يعترضه انسان ، بل على العكس لم يلق الا من هو عونه على ايذائه . وهو امر طبيعى ، اذ الخوف من السلطان ممن زال عنه السلطان داء متأصل فى نفوس البشر بالشرق. وتم تسليم صالح الى جلاديه ، فضربوا عنقه ، واحتزوا راسه ، واتوا بها الى الخليفة ، فأمرهم بمواراة جسد صالح . وفى اليوم التالى حمل رأس صالح على رمح ، وطيف بها ثلاثة ايام متتابعة ، ونودى عليه : « هذا جزاء من قتل مولاه » ([٦٣]) .

وقد اثر هذا التنازع على الحكم على قوات العيارين المحاربة للزنج بالبصرة فعجز قائدها جعلان عن تحطيم جموعهم لمدة ستة اشهر فصرف عن حربهم فى جمادى الأولى سنة ٢٥٦هـ (أبريل ٨٧٠م) ([٦٤]).

وبعد شهرين من هذا التاريخ تجدد الصراع ثانية على السلطة بين الخليفة من ناحية والأتراك من ناحية اخرى . ووقعت الحرب بين الفريقين . وكانت الغلبة فى البداية للخليفة ، فقتل من زعماء الأتراك أبا نصر محمد بن بغا الكبير فى يوم الأربعاء ٣ رجب (٤ يونيه) ([٦٦]) ، وبايكباك فى يوم السبت ١٣ رجب (١٤ يولية) ([٦٧]) ، وكلاهما نديفى مصرع المعتز ([٦٨]) . غير أن الأتراك تكتلوا تحت لواء طوغيتا أخى بايكباك واحمد بن مزاحم بن خاقان حاجب بايكباك . وفى يوم

---

(٦٣) ابن تغرى بردى ، ج٣ ص ٢٤ .

(٦٤) الطبرى ، ج ٩ ص ٤٥٣ ـ ٤٥٤ .

(٦٥) المصدر السابق ، ج ٩ ص ٤٧٠ .

(٦٦) المصدر نفسه ، ج٩ ص ٤٥٩ ـ ٤٦٠ ، ٤٦٣ ـ ٤٦٤ ، ٤٦٨ ـ ٤٦٩ .

(٦٧) نفسه ، ج٩ ص ٤٥٧ ـ ٤٥٨ ، ٤٦٠ ـ ٤٦١ ، ٤٦٥ ـ ٤٦٦ .

(٦٨) نفسه ، ج٩ ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠ .

الأحد ١٤ رجب (١٥ يونيه) خرج المهتدى للقائهم والمصحف فى عنقه ، ولكنهم افلحوا فى دحره ، فركض امامهم منهزما « والسيف فى يده مشهور » (٦٩) • ومضى يحث الناس على نصرته ، فلم يتبعه الا جماعة من العيارين • ولما مر هؤلاء بالسجن سألوا الخليفة اطلاق من فيه للقتال بجانبهم ، واصروا على طلبهم بالتعلق بلجام فرسه ،فأذعن لارادتهم وامر لهم بذلك وانهمك العيارون بفتح باب السجن عن نصرة الخليفة • واذ ذاك لحق الأتراك به ، فولى منهم فرارا ، فتتبعوه وأدركوه ، وأرادوه على الخلع فأبى (٧٠) ، فلم يحفلوا بابائه ، واخرجوا احمد بن المتوكل المعروف بابن فتيان من حبسه - وهو اخو الخليفتين المنتصر والمعتز - وبايعوه بالخلافة فسمى المعتمد على الله (٢٥٦ - ٢٧٩هـ / ٨٧٠ - ٨٩٢م) (٧١) ، ثم قتلوا المهتدى بعصر خصيتيه فى يوم الخميس ١٨ رجب (١٩ يونيه) (٧٢) •

وبخمود هذا التناحر الدموى صرف الأتراك هممهم الى حرب الزنج باشراف ولى عهد الخلافة الثانى ابى احمد طلحة الذى لقب بالناصر لدين الله الموفق • وكانت لجعلان معهم جولات وصولات فى نواحى واسط فيما بين شهرى رجب وشعبان سنة ٢٦٢هـ (ابريل ومايو ٨٧٦م) (٧٣) وفيما بين شهرى شعبان وذى الحجة سنة ٢٦٤هـ (ابريل واغسطس ٨٧٨م) (٧٤) • ولكن جهود جعلان ذهبت هباء وملك

---

(٦٩) نفسه ، ج٩ ص ٤٥٨ •

(٧٠) نفسه ، ج٩ ص ٤٦٧ •

(٧١) نفسه ، ج٩ ص ٤٦٢ ، ٤٦٧ •

(٧٢) نفسه ، ج٩ ص ٤٥٦ ، ٤٥٨ ، ٤٦٧ ، ٤٦٩ •

(٧٣) نفسه ، ج٩ ص ٥٢٠ - ٥٢١ •

(٧٤) نفسه ، ج٩ ص ٥٣٦ - ٥٣٩ •

الزنج واسطا (٧٥) ، وبلغوا فى اغارتهم فى السنة التالية (٢٦٥هـ / ٨٧٨ - ٨٧٩م) بليدة النعمانية من أعمال الزاب الأعلى فى منتصف الطريق بين واسط وبغداد (٧٦) . وفى جمادى الأولى سنة ٢٦٥هـ (يناير ٨٧٩م) - وكان الوقت شتاء - برز جعلان لحراسة قافلة خوفا عليها من الزنج . وعند قرية دمما بقرب بغداد أغار الأعراب على قافلته وانتهبوها وقتلوه . ونهضت احدى السرايا فى طلب المغيرين الفتاك وطاردتهم حتى بليدة عين التمر المجاورة للانبار ، فلم تلحق بهم ، ورجع افرادها الى بغداد بعد أن مات بعضهم من البرد (٧٧) .

وفى تلك الفترة فى الغالب وضع قاضى الصميرة الكوفى ابو العنبس محمد بن اسحق بن أبى العنبس - وكان من ندماء المعتمد - كتاب « الراحة ومنافع العيارة » (٧٨) ، ربما اعترافا منه بفضل العيارين فى قتال الزنج . والكتاب مازال فى طى الكتمان .

كذلك أبلى بنو سعد التميميون ومواليهم الأساورة بلاء مجيدا فى رد الزنج عن البصرة فى سنتى ٢٥٥هـ (٨٦٩م) (٧٩) و٢٥٦هـ (٨٦٩ / ٨٧٠م) (٨٠) . ولما رأوا الحاح الزنج على مدينتهم بالتناوش

---

(٧٥) نفسه ، ج٩ ص ٥٣٩ .

(٧٦) نفسه ، ج٩ ص ٥٤٥ ، وراجع : معجم البلدان ، م٤ / ج٢ ص ٧٩٦ مادة النعمانية .

(٧٧) الطبرى ج٩ ص ٥٤٣ . وانظر : معجم البلدان ، م٢ / ج٢ ص ٦٠٠ مادة دمما ، م٣ / ج٢ ص ٧٥٩ مادة عين التمر .

(٧٨) راجع ابن النديم : الفهرست ، ج١ طبعة جوستاف فلوجل ، ليبزج ١٨٧١ / ١٨٧٢م ، ص ١٥٢ .

(٧٩) الطبرى ، ج٩ ص ٤٢٥ ، ٤٢٦ - ٤٢٧ ، ٤٣١ - ٤٣٧ .

(٨٠) المصدر السابق ، ج٩ ص ٤٧٠ .

وتضعضع الاتراك حيالهم ([٨١]) ، سالموا الزنج . وفى يوم الجمعة ١٧ شوال سنة ٢٥٧هـ (سبتمبر ٨٧١م) اقتحم الزنج البصرة بالسيف ، واستباحوها قتلا ونهبا وتحريقا وتخريبا وامسكوا عن العيث بناحية بنى سعد ([٨٢]) .

ورغم ما حققه الزنج من انتصارات باهرة على جيوش الخلافة الا ان ثورتهم تقوضت ، وقتل زعيمهم فى يوم السبت ٢ صفر سنة ٢٧٠هـ (١١ اغسطس ٨٨٣م) ، عقب فتنة دامت اربع عشر سنة واربعة اشهر وستة ايام ([٨٣]) .

وهكذا نجحت الدولة فى اخترام ثورة الزنج بسواعد العيارين . وكان من المعقول والمقبول ان ينضم العيارون الى الزنج اذ هم والزنج مساكين اصحاب قضية واحدة بيد ان الدولة فطنت الى ذلك فأعملت سياسة التضريب بينهم ، فقربت العيارين المتاخمين للعاصمة سامرا واجرت عليهم الأرزاق لضرب الزنج ، فكان ما كان .

وبعد مرور ما يقرب من عشر سنوات على سحق تلك الفتنة هجر الخليفة المعتضد بالله ابو العباس احمد بن الموفق طلحة (٢٧٩ ـ ٢٨٩هـ / ٨٩٢ ـ ٩٠٢م) سامرا فى صفر سنة ٢٨٠ (ابريل ٨٩٣م) وعاد الى عاصمة العباسيين العتيقة بغداد ([٨٤]) ، ونزل بالقصر

---

(٨١) المصدر نفسه ، ج٩ ص ٤٨١ ـ ٤٨٤ .

(٨٢) نفسه ، ج٩ ص ٤٨٤ ـ ٤٨٧ .

(٨٣) نفسه ، ج٩ ص ٦٦٣ .

(٨٤) نفسه ، ج ١٠ ص ٣٤ وما قبلها (ذخائر العرب ٣٠ ، دار المعارف القاهرة ١٩٦٩م) ، المسعودى ، ج٢ ص ٥٠٤ .

الحسنى ، الذى كان قديما للحسن بن سهل ثم صار لابنته بوران زوج الخليفة المأمون ، واتخذه دارا للخلافة ، بعد أن أضاف اليه ما وسعه به مما جاوره وسوره ، وحصنه ([٨٥]) ٠

وكان المعتضد « قليل الرحمة ، كثير الاقدام ، سفاكا للدماء ، شديد الرغبة فى أن يمثل بمن يقتله » ([٨٦]) ٠ ولذلك « كان الناس يسمونه السفاح الثانى » ([٨٧]) ٠ وقد نال العيارون والشطار على يديه الوانا من النكال حتى تاب الكثيرون منهم واستخدمهم عيونا ومرشدين على من لم يتب منهم ٠ وهؤلاء التوابون المرشدون عرف بهم المسعودى فى حوادث سنة ٢٨٢هـ (٨٩٥ / ٨٩٦م) فقال : « والتوابون : هم شيوخ أنواع اللصوص الذين كبروا وتابوا ، فاذا جرت حادثة علموا من فعل من هى ، فدلوا عليه وربما يتقاسمون اللصوص ما سرقوه » ([٨٨]) ٠ ومن القضايا التى كشفوها للمعتضد قضية سرقة رواتب الجند ، وكانت فى عشر بدر (صرر) ، من منزل صاحب عطاء الجيش ٠ فقبض المعتضد على السارق الشاطر ، وحايله حتى استرد منه ما سرق ، ثم أمر به فنفخ بمنفاخ فى دبره حتى اذا ورم جسمه وعظم فصد فى عرقين فوق الحاجبين « فاقبلت الريح تخرج منهما مع الدم ولها صوت وصفير الى أن خمد وتلف ٠ وكان ذلك أعظم منظر

---

(٨٥) تاريخ بغداد ، م١ ص ٩٩ ٠

(٨٦) المسعودى ، ج٢ ص ٤٩٦ ٠

(٨٧) الرقيق : قطب السرور فى أوصاف الانبذة والخمور ، اختيار نور الدين على المسعودى ، تحقيق عبد الحفيظ منصور ، المطبعة الرسمية ، تونس ١٩٧٦ م ، ص ٢٩١ ٠ من المعروف أن الخليفة العباسى الاول أبا العباس عبد الله كان يلقب بالسفاح (١٣٢ - ١٣٦هـ / ٧٤٩ - ٧٥٤م) ٠

(٨٨) مروج الذهب ، ج٢ ص ٥٠٧ ٠

رؤى فى ذلك اليوم من العذاب » ([٨٩]) . كذلك عرفنـا المسعودى فى حوادث سنة ٢٨٣هـ (٨٩٦ / ٨٩٧م) بدعاة الطرارين المحتالـين فى عهد المعتضد ، وذكر منهم شيخا « كان يعرف بالعقاب ويكنى بأبـى الباز » ([٩٠]) . واشار اليه قائلا : « وهذا الشيخ قد برز فى مكايده وما اورده من حيلة على دالة المحتالة وغيرها من سائر المكارين ممن سلف وخلف منهم » ([٩١]) . ومن حيله التى نص عليها ان بختيشوع النصرانى طبيب الخليفة المتوكل تحداه فى حضرة الخليفة ان يسـرق من داره شيئا يعرفه فى مدى ثلاث ليال معلومات من الشهر وله ضيعة ان نجح وعليه عشرة آلاف دينار ان فشل ، فما كان من العقاب وكان فى عنفوان شبابه آنذاك الا ان تنكر فى احدى الليالى وادخل فى روع بختيشوع انه رسول عيسى بن مريم اليه وقام بتخدير حراسه فى طعـام وسرق هـذا الشىء وجعله فى صندوق واتى به المتوكل وكسب الرهان . ولاعجاب الخليفة بخفته ووسيع حيلته عفا عنه ([٩٢]) .

وفى خلافة المقتدر بالله ابى الفضل جعفر بن المعتضد (٢٩٥ - ٣٢٠هـ / ٩٠٨ - ٩٣٢م) ازداد نشاط العيارين لكثرة الاضطرابات فى

---

(٨٩) المصدر السابق ، ج٢ ص ٥٠٧ - ٥٠٩ .

(٩٠) المصدر نفسه ، ج٢ ص ٥١٣ .

(٩١) نفسه ، ج٢ ص ٥١٤ . نص المسعودى على انه اتى على اخبار ابى الباز العقاب العجيبة وحيله اللطيفة فى كتابه اخبار الزمان . واسمه بالكامل كما اورده المسعودى (ج٢ ص ٥٧٢) : « اخبـار الزمان ، ومن اباده الحدثان ، من الامم الماضية والأجيال الخالية والممالك الداثرة » . وهـو مفقود . وقد نقل صاحب حكايـات الشطار والعيارين (ص ٦٤ - ٦٥) عن المسعودى خبر دالـة والعقاب فى حوادث سنة ٢٨٢هـ (٨٩٥ / ٨٩٩م) ، والصحيح ما اثبتناه .

(٩٢) مروج الذهب ، ج٢ ص ٥١٣ .

عهده . ففى العشرين من ربيع الأول سنة ٢٩٦هـ (ديسمبر ٩٠٨م) اجمع كبار قواد الأتراك على خلعه لصغره (١٣ سنة آنذاك) وبايعوا ابا العباس عبد الله بن المعتز ولقبوه المرتضى بالله وقيل الغالب بالله (٩٣) . على أن انصار ابن المعتز من الجند خذلوه ، فهرب ، واستتر أكثر من بايعه يقدمهم ابن عمرويه صاحب الشرطة « ووقعت الفتنة والنهب والقتل ببغداد ، وثار العيارون والسفل ينهبون الدور » (٩٤) . وتم أسر ابن المعتز « وعصرت خصيتاه حتى مات » (٩٥) .

واستمر العيارون فى سياستهم المناهضة للدولة فى خلافة المقتدر . ففى سنة ٣٠٦هـ (٩١٨م) « عزل نزار عن شرطة بغداد ، وجعل فيها نجح الطولونى ، وجعل فى الأرباع فقهاء يكون عمل اصحاب الشرطة بفتواهم ، فضعفت هيبة السلطنة بذلك وطمع اللصوص والعيارون وكثرت الفتن ، وكبست دور التجار ، واخذت بنات الناس (الأغنياء) فى الطريق المنقطعة ، وكثر المفسدون » (٩٦) . وفى شوال سنة ٣١٥ هـ (ديسمبر ٩١٧م) اغار قرامطة البحرين بقيادة أميرهم أبى طاهر سليمان بن أبى سعيد الحسن بن بهرام الجنابى الهجرى (٣٠٥ - ٣٣٢هـ/ ٩١٧ - ٩٤٤م) على سواد العراق ، وبلغوا فى اغارتهم مشارف بغداد وحدود هيت على نهر الفرات فزلزل اهل بغداد زلزالا شديدا من الخوف . ووقع عبء الدفاع عن بغداد وتأمينها ابان تلك الغارة المدمرة على نازوك صاحب الشرطة (٣٠١ - ٣١٧هـ / ٩٢٢ - ٩٢٩م) .

---

(٩٣) ابن الأثير ، م٨ ص ١٤ - ١٥ ، الذهبى ، ج١ ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(٩٤) ابن الأثير ، م٨ ص ١٦ .

(٩٥) المصدر السابق ، م ٨ ص ١٨ .

(٩٦) المصدر نفسه ، م ٨ ص ١١٣ .

وقد افلح نازوك فى مهمته « وسلمت بغداد من نهب العيارين ، لأن نازوك كان يطوف هو واصحابه ليلا ونهارا ، ومن وجدوه بعد العتمة قتلوه ، فامتنع العيارون ، واكترى كثير من اهل بغداد سفنا ، ونقلوا اليها اموالهم ، وربطوها لينحدروا الى واسط ، وفيهم من نقل متاعه الى واسط والى حلوان ليسيروا الى خراسان » . ولم تسكن قلوب اهل بغداد الا حين اتصل بهم عود القرامطة من هيت ([٩٧]) .

ولما استبد أمراء الجيش من الاتراك وغيرهم بالخلافة (٣٢٤-٣٣٤هـ/ ٩٣٦ - ٩٤٥م) ساءت أحوال العراق سياسيا واقتصاديا واجتماعيا . وبلغ ذلك مداه أيام استبداد امير الأمراء ابى الحسين البريدى صاحب واسط (جمادى الآخرة - رمضان ٣٣٠هـ / مارس - يونيه ٩٤٢م) بالخليفة المتقى لله ابى اسحاق ابراهيم بن المقتدر (٣٢٩ - ٣٣٣هـ / ٩٤٠ - ٩٤٤م) . يقول ابن الأثير فى حوادث آخر شعبان سنة ٣٣٠هـ (مايو ٩٤٢م) مشيرا الى سوء فعال البريدى ورجاله : « كان مع ذلك ينهب ويعسف اهل العراق ويظلمهم ظلما لم يسمع بمثله قط ، والله المستعان . وانما ذكرنا هذا الفصل ليعلم الظلمة ان اخبارهم تنقل وتبقى على وجه الدهر ، فربما تركوا الظلم لهذا ان لم يتركوه لله سبحانه

---

(٩٧) نفسه ، م ٨ ص ١٧٣ . فى يوم السبت منتصف المحرم سنة ٣١٧هـ (٢٨ فبراير ٩٢٩م) أضاف مؤنس المظفر كبير قادة الأتراك (٣٢١هـ / ٩٣١م) الى نازوك مع الشرطة حجابة الخليفة القاهر بالله ابى منصور محمد الذى اختاره للخلافة مكان اخيه المقتدر بالله . وكالعادة طالب الجند الخليفة الجديد « بحق البيعة ورزق سنة » فعجز . وخرج اليهم نازوك بعد يومين وهو مخمور لتسكينهم وتطييب قلوبهم ، حسب امر الخليفة ، فازداد حنقهم ، وقتلوه وقتلوا قبله خادمه عجيبا وصلبوهما . واجبروا مؤنسا على اعادة المقتدر الى الخلافة . وعفا الخليفة المغلوب على امره عن أخيه . نفسه ، م٨ ص ٢٠٠ - ٢٠٧ . راجع : الذهبى ، ج ١ ص ١٩١ .

وتعالى » (٩٨) . على أن الظلم لم ينقطع . ودائما ما يصبح «حاميها حراميها » كما يقول المثل السائر طالما استأثر العسكر بالحكم . ففى حوادث سنة ٣٣٢هـ (٩٤٣ / ٩٤٤م) أثناء تغلب أمير الأمراء توزون الديلمى (٣٣١-٣٣٤هـ/٩٤٢-٩٤٥م) بذات الخليفة المتقى كان كاتب هذا المتغلب ومدبر امره وهو ابو جعفر محمد بن يحى بن شيرزاد (٣٣١ - ٣٣٤هـ / ٩٤٢ - ٩٤٥) (٩٩) يقاسم اللصوص ومقدمهم الفاتك ابن حمدى ما يسرقون من متاع واموال الأثرياء والأملياء الذين تذكرهم النصوص بلفظ الناس . وفى ذلك يقول ابن الأثير ، ولا يمنع نفسه من العجب : «وكثرت الكبسات من اللصوص بالليل والنهار من أصحاب ابن حمدى ، وتحارس الناس بالبوقات ، وعظم امر ابن حمدى فاعجز الناس . وامنه ابن شيرزاد وخلع عليه وشرط معه ان يوصله كل شهر خمسة عشر الف دينار مما يسرقه هو واصحابه ، وكان يستوفيها من ابن حمدى بالروزات (أى بالمياومة) ، فعظم شره حينئذ . وهذا مالم يسمع بمثله » (١٠٠) . ومع ذلك اخل ابن حمدى بتعهده لابن شيرزاد فرفع حمايته عنه وسلط عليه أبا العباس اسكورج (ويقال اشكورج وينكورج) الديلمى صاحب الشرطة ببغداد فامسك به فى جمادى الآخرة سنة ٣٣٢هـ (فبراير ٩٤٤م) ، وامر بتوسيطه ، فقطع

---

(٩٨) الكامل ، م ٨ ص ٣٨٢ .

(٩٩) قبض ابن شيرزاد فى منتصف ذى الحجة سنة ٣٣٣هـ (٢٨ يولية ٩٤٥م) على أبى الحسين البريدى وامر بقتله فضربت رقبته وصلب ، ثم انزلت جثته وأحرقت ونهبت داره . المصدر السابق ، م ٨ ص ٤٤٢ .

(١٠٠) نفسه ، م ٨ ص ٤١٦ . راجع : ابن تغرى بردى ، ج ٨ ص ٢٨١ حيث ابن حمدى برسم حمدى مع ايضاح بأنه كان يهاجم بيوت الأغنياء ليلا فى ضوء المشاعل والشموع . وانظر : حكايات الشطار والعيارين (ص ١٢١) حيث أشار مؤلفه الى أن ابن الاثير رفع أتاوة ابن شيرزاد من ابن حمدى الى خمسة وعشرين الف دينار، مع أن ذلك لم يحدث .

نصفين من الوسط ، « فخفف عن الناس بعض ما هم فيه » (١٠١) .
وفى رواية لتاجر بغدادى اعترضه ابن حمدى قبيل اعدامه واخذ منه نصف ماله وانفذ معه من اوصله الى مأمن لفساد الطريق « ان ابن حمدى هذا فيه فتوة وظرف ، وانه اذا قطع الطريق لم يعرض لأرباب البضائع اليسيرة ، التى تكون دون الألف درهم ، واذا اخذ ممن حاله ضعيفة شيئا قاسمه فيه ، وترك شطر ماله فى يديه ، وانه لا يفتش امرأة ولا يسلبها » . ويستطرد التاجر البغدادى فى روايته فينص على ان ابن حمدى برر له سبب لصوصيته فقال : « الله بيننا وبين هذا السلطان (يقصد الخليفة المتقى لله) الذى احوجنا الى هذا ، فانه قد اسقط ارزاقنا واحوجنا الى هذا الفعل ، ولسنا فيما نفعله نرتكب امرا عظيما اعظم مما يرتكبه السلطان » (لعله هنا يعنى توزون وابن شيرزاد) (١٠٢) . ويفهم من ذلك ان ابن حمدى كان ــ فى الراجح ــ من العرب الساخطين على الخلافة والمتغلبين عليها من الأتراك لاسقاطهم من ديوان العطاء . وكان ابن حمدى فى البداية حمالا فى أسواق بغداد قبل ان يصير لصا شاطرا وقاطع طريق ينهب التجار وقوافلهم (١٠٣) .
ولم يكن هذا التحول وليد المصادفة وانما وليد طبع وتطبع اذ يحكى ابو القاسم أحمد بن على التميمى البغدادى العيار أنه رباه فى حجره كما ربى زعيم القرامطة حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط (٢٩٣هـ /

---

(١٠١) ابن الأثير ، م٨ ص ٤١٦ . راجع : ابن تغرى بردى ، ج٣ ص ٢٨١ .

(١٠٢) التنوخى : الفرج بعد الشدة ، ج٤ ، تحقيق عبود الشالجى ، دار صادر ، بيروت ١٩٧٨م ، ص ٢٣٨ ــ ٢٤٠ .

(١٠٣) راجع ابن مسكويه : تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، ج٢ ، تحقيق امدروز ، مطبعة التمدن الصناعية ، القاهرة ١٩١٥ م ، ص ٥١ ــ ٥٢ .

٩٠٥) ([١٠٤]) . وابو القاسم البغدادى هذا هو القائل يفتخر بنفسه وبشطارته وعيارته : « انا الموج الكدر ، انا القفل العسر ، انا النار ، انا العيار ، انا الرحى إذا استدار ، انا الذى اسست الشطارة ، وبوبت العيارة ، انا فرعون ، انا هامان ، انا النمرود ، انا الشيطان .. » ([١٠٥]) .
وقد عقب ابن تغرى بردى (٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) مؤرخ القرن التاسع الهجرى (ق ١٥م) على مصرع ابن حمد ى او حمدى فقال : «لعل حمدى هذا هو الذى يقال له عند العامة فى سالف الأعصار احمد الدنف !» ([١٠٦]) .
والواقع التاريخى لأحمد الدنف يؤكد انه لص مصرى من اساطين الشطار وسط السلطان المملوكى الجركسى الملك الأشرف سيف الدين ابو نصر قايتباى الظاهرى (٨٧٢ ـ ٩٠٢هـ / ١٤٦٨ ـ ١٤٩٦م) فى ذى القعدة سنة ٨٩١هـ (نوفمبر ١٤٨٦م) ([١٠٧]) . وهذا يعنى أن ابن تغرى بردى عاصر أحمد الدنف ولم يدرك مقتله لأنه توفى قبله بسبع عشرة سنة .
أما لماذا ربط ابن تغرى بردى بين حمدى (ابن حمدى) واحمد الدنف فلأن الثانى هو بطل احدى قصص الشطار فى الف ليلة وليلة ، والأول أصبح نموذجا فنيا تعقد له بطولة كثير من القصص الشعبى العربى الذى يتمحور حول اللصوص والعيارين ([١٠٨]) .

وهكذا لم يكن هناك ثمة فارق يذكر بين ابن حمدى اللص وابن

---

(١٠٤) راجع أبا حيان : حكاية أبى القاسم البغدادى ، تحقيق عبود الشالجى ، مطبعة دار الكتب ، بيروت ١٩٨٠ م ، ص ٣٧٦ حيث ابن حمدى برسم حمدون .

(١٠٥) المصدر السابق ، ص ٣٧٥ .

(١٠٦) النجوم الزاهرة ، ج٣ ص ٢٨١ .

(١٠٧) ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، دار الشعب ، القاهرة ١٩٦٠ م ، ص ٥٣٧ .

(١٠٨) حكايات الشطار والعيارين ، ص ٦٣ .

شيرزاد الكاتب ، بل ربما تميز ابن حمدى بفتوته على ابن شيرزاد ٠ وهاك ماجرى على بغداد لما تولى أمرها ابن شيرزاد عقب وفاة سيده توزون بهيت فى ٢١ من المحرم سنة ٣٣٤هـ (٢ سبتمبر ٩٤٥م) وحتى نهاية عصر نفوذ الاتراك فى١١ جمادى الاولى من السنة المذكورة (٢١ ديسمبر) بقلم ابن تغرى بردى حيث يقول : « ولم يكن مع ابن شيرزاد مال ، فضاق مابيده ، فشرع فى مصادرات التجار والكتاب ، وسلط الجند على العامة ، وتفرغ لاذى الخلق ، فهرب أعين بغداد ، وانقطع الجلب (الوارد من التجارة) ، فخربت وتخلخل أمرها » ([١٠٩]) ، وأعطى الفرصة بذلك لزوال سلطان الاتراك ٠

الخلاصة ان عيارى سامرا فى عصر نفوذ الأتراك نصروا المعتزفى خروجه على الخليفة المستعين المؤيد بالأتراك ٠ ولما ثار الأتراك بالمستعين وترك لهم سامرا وانحدر الى بغداد دفعت الشهامة عياريها الى نجدة الخليفة المستجير بمدينتهم ، فاحتضنهم قائده ابن طاهر وسلحهم ومولهم وانتقى منهم القادة ٠ وحين قام الزنج على الدولة فى خلافة المهتدى والمعتمد اختار العيارون جانب الدولة ٠ كما اختاروا جانب المهتدى فى مقاومته لاستطالة الأتراك ٠ وما أن خرجت الدولة من محنتها مع الزنج واقبلت خلافة المعتضد حتى انقلبت على العيارين ، واضطهدتهم ، وتحول العيارون ــ والى آخر العهد بهم ــ الى جماعة نهاية قاطعة للطريق تحظى أحيانا بحماية المتسلطين على الدولة من الأتراك نظير جعل معلوم ٠ وهذا واضح بجلاء أيام المقتدر والمتقى ٠ وفى عهد الخليفة الأخير ظهر ابن حمدى أشطر الشطار فى زمانه ، وخربت بغداد بتغلب ابن شيرزاد ٠ وعموما ما كان هذا ليحدث لولا الظلم الاجتماعى والقهر السياسى ٠

---

(١٠٩) النجوم الزاهرة ، ج ٣ ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ٠

٣ - فى عصر نفوذ بنى بويه :

فى ١١ جمادى الاولى سنة ٣٣٤هـ (٢١ ديسمبر ٩٤٥م) من خلافة المستكفى بالله ابى القاسم عبد الله (٣٣٣ - ٣٣٤هـ / ٩٤٤ - ٩٤٦م) انقضى عهد نفوذ الاتراك واتى عصر جديد على شاكلته هو عصر نفوذ بنى بويه الفرس الديالمة . وفيه ازدهرت حركة العيارين ازدهارا كبيرا لميل البويهيين الى التشيع بحكم كونهم شيعة زيدية جريرية (١١٠) ، وانعطاف العيارين الى التصوف بحكم اخذهم بمبدأ الفتوة الصوفية . والتشيع والتصوف صنوان اشرب كل واحد منهما مذهب الآخر فاختلطا وتشابها خاصة فى باب الولاية (١١١) . ثم ان الفرس كانوا هم انفسهم عماد حركة العيارين او عياران كما فى لغتهم ، وكان لعياريهم تنظيمهم القوى فىنيسابور ومرو الشاهجان (مرو العظمى) من كبريات مدن اقليم خراسان ومدن القوس الجبلى المعروفة باسم قوهستان (قهستان) فيما بيننيسابور وهراه ثم فيما بينهراه واقليم بلاد الجبل (عراق العجم) . وكان مقدمهم يتلقب احيانا بلقب سار عياران واحيانا اخرى بلقب رئيس الفتيان (١١٢) . ولا نحسبنا مغالين اذا قلنا ان العصر البويهى بالعراق هو بحق العصر الذهبى للعيارين .

ويرى الدكتور محمد رجب النجار ان كثيرا من العيارين ابان هذا العصر شرعوا - من اجل تأكيد شرعية حركتهم - فى الحاق عيارتهم

---

(١١٠) راجع : ابن الأثير ، م ٨ ص ٤٥٢ - ٤٥٣ .

(١١١) راجع : مقدمة ابن خلدون ، ص ٤٧٣ ، التصوف الثورة الروحية فى الاسلام ، ص ٥٩ .

(١١٢) C.f Taeschner, op. cit., p. 794. وانظر : ابن الأثير ، م٩ ص ٤٨٣ حوادث أواخر سنة ٤٣١هـ وأوائل سنة ٤٣٢هـ (١٠٤٠م) .

وراجع ياقوت : معجم البلدان (م٤/ج١ ص ٢٠٥ - ٢٠٦ مادة قوهستان) حيث قوهستان تعريب كوهستان ومعناه موضع الجبال لان كوه هو الجبل بالفارسية . وقصبة قوهستان - فيما بين هراه ونيسابور - قاين .

وشطارتهم بالفتوة المسندة الى اصل دينى • ويقول ان الاسناد سواء أكان صحيحا أم مختلقا أدى الى تفريق جموعهم الى فرق وطوائف متعددة ، بل متناحرة • فأخذوا يتحزبون ويتعصبون ويفتكون وينهبون ويقتلون ويغتصبون باسم طريقة من الطرائق المعزوة الى الدين • فكان لذلك اسوأ الاثر فى اجهاض انتفاضاتهم الامر الذى اتاح للدولة - على ضعفها - ان تصمد أمام ضرباتهم المتلاحقة ، وأن توقع بهم الهزيمة مرارا ، ولكن من غير ان تتمكن من القضاء عليهم أو على حركتهم بشكل حاسم أو جذرى، على الرغم من جدية الدولة وضخامة القوات التى كانت تعدها لمطاردتهم (١١٣) •

وبدء التاريخ للعيارين فى العصر البويهى جرى فى نفس السنة التى قامت فيها الدولة البويهية بالعراق • ففى رمضان سنة ٣٣٤هـ (أبريل ٩٤٦ م) وقعت الحرب ببغداد بين امير العراق الديلمى البويهى معز الدولة أبى الحسين أحمد بن بويه (٣٣٤ - ٣٥٦هـ / ٩٤٥ - ٩٦٧م) وامير الموصل الربعى التغلبى ناصر الدولة أبى محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان (٣١٧ - ٣٥٨هـ / ٩٢٩ - ٩٦٩م) • وساند ابن شيرزاد امير أمراء العراق السابق (٢١ محرم - ١١ جمادى الأولى ٣٣٤هـ / ٢ سبتمبر - ٢١ ديسمبر ٩٤٥م) ناصر الدولة بينما أيد الخليفة المطيع لله أبو القاسم الفضل بن المقتدر (٣٣٤ - ٣٦٣هـ / ٩٤٦ - ٩٧٤م) معز الدولة • وكان نزول ناصر الدولة بالجانب الشرقى ونزول معز الدولة بالجانب الغربى (١١٤) ، « وانتشرت أعراب ناصر الدولة بالجانب الغربى فمنعوا أصحاب معز الدولة من الميرة والعلف ، فغلت الاسعار على الديلم ••• ومنع ناصر الدولة من المعاملة بالدنانير التى عليها اسم المطيع ، وضرب دنانير ودراهم على سكة سنة احدى وثلاثين

---

(١١٣) حكايات الشطار والعيارين ، ص ١٤٨ •

(١١٤) ابن الأثير ، م٨ ص ٤٥٣ •

وثلاثمائة وعليها اسم المتقى لله (اخى المطيع ومخلوع توزون ومكحوله) واستعان ابن شيرزاد بالعيارين على حرب معز الدولة ، فكان يركب فى الماء ، وهم معه ، ويقاتل الديلم » ([115]) . ولما لم تنته هذه الحرب بنصر حاسم لأحد الطرفين جنح كلاهما الى المصالحة ، واستقر الصلح بينهما فى المحرم سنة ٣٣٥هـ (اغسطس ٩٤٦م) ([116]) . وهكذا منذ الوهلة الأولى اتحد العرب والأتراك والعيارون ضد الديلم أصحاب السيادة فى الدولة .

كذلك وجد الديالمة صعوبة كبيرة فى فرض سلطانهم على منطقة البطيحة الواقعة بين واسط والبصرة اذ سيطر عليها قاطع طريق شاطر ذو طموح سياسى من قرية الجامدة من اعمال واسط اسمه عمران بن شاهين ([117]) . وترجع بداية هذا التغلب الى سنة ٣٢٩هـ (٩٤٠م) من خلافة المتقى وامرة بجكم (٣٢٦ - ٣٢٩هـ / ٩٣٨ - ٩٤١م) ([118]) . وفى مدى تسع سنوات نهايتها سنة ٣٣٨هـ (٩٤٩م) استفحل أمر ابن شاهين بما اجتمع اليه من الأتباع والأعوان ، وكان أكثرهم من الصيادين واللصوص ، واستعد بالسلاح ، واتخذ المعاقل على تلول البطيحة ([119]) .

---

(١١٥) المصدر السابق ، م٨ ص ٤٥٣ - ٤٥٤ .

(١١٦) راجع : المصدر نفسه ، م٨ ص ٤٥٥ ، ٤٦٦ .

(١١٧) نفسه ، م٨ ص ٤٨١ حوادث سنة ٣٣٨هـ (٩٤٩م) . وراجع : معجم البلدان ، م١ / ج٢ ص ٦٦٨ مادة البطيحة ، م٢ / ج١ ص ١٠ مادة الجامدة .

(١١٨) ابن الأثير ، م٨ ص ٧٠١ حوادث سنة ٣٦٩هـ (٩٧٩م) . ذكر الدكتور محمد رجب النجار (حكايات الشطار والعيارين ، ص ١٢٠) أن اللصوص العيارين قتلوا بجكم فى سنة ٣٢٩هـ (٩٤١م) مع انه قتل فى حرب الأكراد عند جور بين الأهواز وميسان . راجع: ابن الأثير ، م٨ ص ٣٧١ ، معجم البلدان ، م٤ / ج٢ ص ٨٣٨ مادة نهر جور .

(١١٩) ابن الأثير ، م٨ ص ٤٨١ .

وحاول معز الدولة اخضاعه غير مرة ، بيد أنه فشل ([١٣٠]) ، واضطر الى مصالحته فى سنة ٣٣٩هـ (٩٥٠م) ، وقلده البطيحة ([١٣١]) . ومع ذلك بقى ابن شاهين على شطارته وعيارته . ففى المحرم سنة ٣٤٤هـ (مايو ٩٥٥م) هاجم قافلة تجارية مارة بالبطيحة بها أموال لمعز الدولة من الأهواز ، واستولى عليها ، فأرسل اليه معز الدولة فى رد ما نهب . فرد عليه أمواله فقط واحتجز أموال التجار ، فانفسخ الصلح بينهما ([١٣٢]) . وفى ربيع الآخر سنة ٣٥٦هـ (مارس ٩٦٧م) أعد معز الدولة الجيوش لمحاربة ابن شاهين ، لكن موته فى الشهر المذكور حال دون ذلك ، واعقبه ابنه عز الدولة أبو منصور بختيار (٣٥٦ - ٣٦٧هـ/ ٩٦٧ - ٩٧٨م) فسحب الجيش المحارب لابن شاهين وصالحه ([١٣٣]). وفى سنة ٣٦٣هـ (٩٧٤م) « خطب اليه احدى بناته وطلب منه أن يسير اليه عسكرا » لمساعدته ، فرفض ابن شاهين الخطبة الا أن يكون الذكر من عنده ، كما امتنع من انفاذ العسكر لخوفه من انتقام جند عز الدولة بختيار منهم لكثرة صرعاهم على أيديهم ([١٣٤]) . وهكذا ظل ابن شاهين فى عز جانب زهاء أربعين سنة الى أن توفى حتف أنفه فى المحرم سنة ٣٦٩هـ (يولية ٩٧٩م) ([١٣٥]) .

وزاد من متاعب بنى بويه الديالمة على عهد عز الدولة بختيار تكرار اغارة الروم على منطقة الحدود الجزرية والشامية . ومنها تلك الغارة

---

(١٢٠) المصدر السابق ، م ٨ ص ٤٨١ - ٤٨٢ حوادث سنة ٣٣٨هـ (٩٤٩م) ، ص ٤٨٩ - ٤٩١ حوادث سنة ٣٣٩هـ (٩٥٠م) .

(١٢١) المصدر نفسه ، م٨ ص ٤٩١ .

(١٢٢) نفسه ، م٨ ص ٥١٠ .

(١٢٣) نفسه ، م٨ ص ٥٧٥ .

(١٢٤) نفسه ، م٨ ص ٦٤٤ .

(١٢٥) نفسه ، م٨ ص ٧٠١ .

المدمرة التى شنهـا امبراطور الـروم يحـى الأول الملقـب بالشمشقيق (ايوانيس زيمسكيس) Ioannes I Tzimisces (٣٥٩ - ٣٦٦هـ / ٩٦٩ - ٩٧٦م) ([١٢٦]) على ارض الجزيرة فى المحرم سنة ٣٦١هـ (اكتوبر ٩٧١م) واجتاح فيها الرها ونصيبين ، وخضع له أمير الموصل ابو تغلب فضل الله بن ناصر الدولة (٣٥٨ - ٣٦٩هـ / ٩٦٩ - ٩٧٩م) بالجزية . وقد أثارت تلك الغارة موجة من الحنـق والغضب والاستيـاء داخـل العاصمة بغداد فتظاهر أهلها بتحريض من بعض الجزريين أمام دار الخليفة المطيع وارادوا اقتحامها فمنعهم الحراس ، واغلقوا الأبواب ، فأسمعوهم «مايقبح ذكره» . وكان عز الدولة بختيار آنذاك فى رحلة صيد بنواحى الكوفة ، فقابله وفد من وجوه البغاددة ، واستغاثوه ، وانكروا عليه اشتغاله بالصيد ، وقتال ابن شاهين وهو مسلم ، وترك جهـاد الروم ، ومنعهم من ديار الاسلام ، فوعدهم بالتجهز للغزاة ([١٢٧]) ، واستنفر العامة للغزو فاجتمع منهم امشاج شتى « من أصناف البنويـة (أولياء العباسيين) ، والفتيان ، والسنة ، والشيعة ، والعيارين » . وابدى كل صنف من هؤلاء العصبية الزائدة لجماعته ، فوقع التشاحـن والتطاحن بينهم ، فنهبت الأموال ، وقتل الرجال ، واحرقت الدور . وشمل الحريق أسواق الكرخ التجارية . وكان حى الكرخ ببغداد الغربية معدن التجار وموئل الشيعة . ونشبت من جراء ذلك العداوة بين الشريف أبى أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن ابراهيم (الجزار) الموسوى

---

(١٢٦) راجع الدكتور محمد احمد عبد المولى : بنى مرداس الكلابيين فى حلب وشمال الشام وسياستهم الخارجية مع دولتى الفواطـم والروم (٤١٥ - ٤٧٢هـ / ١٠٢٥ - ١٠٨٠م) ، ط١ ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، هامش ١٧ ص ٣٥ - ٣٦ .

(١٢٧) راجع : ابن الاثير ، م٨ ص ٦١٨ - ٦١٩ حيث ذكر اسم الخليفة الطائع والصحيح المطيع .

(٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) والوزير أبى الفضل العباس بن الحسين الشيرازى (٣٥٢ - ٣٦٢هـ / ٩٦٣ - ٩٧٣م) ([١٢٨]) . ثم ان عز الدولة بختيار طلب من الخليفة المطيع مالا للنفقة على الغزاة فتمنع تعللا بعوزه ، ثم جبن بالتهديد فبذل أربعمائة الف درهم . ولما قبض عز الدولة بختيار المال احتجزه لنفسه « وبطل حديث الغزاة » ([١٢٩]) .

وفى أواخر سنة ٣٦٢هـ (٩٧٣م) اشتد خطر العيارين « وعملوا ما أرادوا » لأن خليفة الوزير أبى الفضل الشيرازى وهو محمد بن بقية (٣٦٢ - ٣٦٦هـ / ٩٧٢ - ٩٧٦م) داب على ظلم الرعية حتى فسدت الادارة على يده وخربت النواحى ([١٣٠]) . وتجدد خطر العيارين عندما هددت قوات أبى تغلب بغداد فى ربيع الآخر سنة ٣٦٣هـ (يناير ٩٧٤م) ، واندلعت الفتنة بين السنة والشيعة . واقتصرت كبسات العيارين على الجانب الغربى الذى كان مفتونا بينما كان الجانب الشرقى آمنا . ولم

---

(١٢٨) المصدر السابق ، م٨ ص ٦١٩ . والشريف أبو احمد الموسوى (٤٠٠هـ/١٠٠٩م) هو والد الشريف الرضى أبى الحسن محمد الشاعر المشهور (٤٠٦هـ / ١٠١٥م) والشريف المرتضى أبى القاسم على (٤٣٦هـ / ١٠٤٤م) . راجع : المصدر نفسه ، م٩ ص ٢١٩ ، ٢٦١ - ٢٦٢ ، ٥٢٦ حيث تواريخ وفياتهم

(١٢٩) نفسه ، م٨ ص ٦٢٠ .

(١٣٠) نفسه ، م٨ ص ٦٢٩ . وابن بقية وزر لعز الدولة بختيار فى ذى الحجة سنة ٣٦٢هـ (سبتمبر ٩٧٣م) بعد عزل أبى الفضل الشيرازى وحبسه ثم موته عن قريب حتى قيل انه مات مسموما . نفسه ، م٨ ص ٦٢٨ . ومكث ابن بقية فى وزارته الى ذى القعدة سنة ٣٦٦ هـ (يونيه ٩٧٧م) حيث عزله عز الدولة بختيار وحبسه لاستبداده . نفسه م ٨ ص ص ٦٧٢ . ولما غلب عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو ابن عمه عز الدولة بختيار على ملكه بالعراق فى سنة ٣٦٧ (٩٧٨م) عارضه ابن بقية فى تغلبه فأرسل الى عز الدولة بختيار يطلب منه ابن بقية فقلع عينيه وانفذه اليه زلفى ، فالقاه فى شوال سنة ٣٦٧هـ (مايو ٩٧٨م) تحت أرجل الفيلة فقتلته ثم سحب وصلب . نفسه ، م٨ ص ٦٨٩ .

يسكن الأثرياء بعض السكون الا بعد أن قبض ابن بقية على جماعة من رؤساء العيارين وقتلهم ([١٣١]) . وبعد أن اصطلح عز الدولة بختيار وابو تغلب فى رجب (ابريل) بالمصاهرة ([١٣٢]) ، استظهر الاول بالثانى لانهاء شغب الأتراك عليه بزعامة سبكتكين (٣٦٣هـ / ٩٧٤م) فظاهره « ووصل الى بغداد والناس فى بلاء عظيم مع العيارين ، فحمى البلد ، وكف أهل الفساد » . وفى تلك الأثناء مات سبكتكين فقدم الأتراك عليهم افتكين (ويقال الفتكين أو هفتكين) المعزى (٣٧٢هـ / ٩٨٢م) فواصل الشغب على عز الدولة بختيار ([١٣٣]) الى سنة ٣٦٤هـ (٩٧٤ / ٩٧٥م) من خلافة الطائع لله أبى الفضل عبد الكريم بن المطيع (٣٦٣ - ٣٨١هـ/ ٩٧٤ - ٩٩١م) زوج ابنته شاه زمان . واذ ذاك استعان عليهم عز الدولة بختيار بجند فارس والاهواز والرى والموصل وعين التمر . فأحاطوا ببغداد ، واغاروا على أطرافها ، وقطعوا الميرة عنها ([١٣٤]) . فغلا السعر ببغداد ، وعدم الطعام والقوت حتى داهم افتكين الدور فى طلبه ، وايده العيارون والمفسدون ، فنهبوا الأغنياء ببغداد علانية ([١٣٥]) ، واضرموا فى المحرم (سبتمبر ٩٧٤م) « حريقا من الخشابين الى الباب الصغير فاحترق اكثر هذا السوق ، وهلك شىء كثير . واستفحل أمر العيارين ببغداد حتى ركبوا الخيل (بالأصل : الجند) ، وتلقبوا بالقواد ، وغلبوا على الأمور ، واخذوا الخفارة عن الاسواق والدروب » ([١٣٦]) فصارت المكوس والاتاوى تؤدى اليهم

---

(١٣١) نفسه ، م٨ ص ٦٣٢ .

(١٣٢) نفسه ، م٨ ص ٦٣٤ . تزوج ابو تغلب ابنة عز الدولة بختيار .

(١٣٣) نفسه ، م ٨ ص ٦٤٥ .

(١٣٤) نفسه ، م٨ ص ٦٤٨ - ٦٤٩ .

(١٣٥) نفسه ، م٨ ص ٦٤٩ . راجع : الذهبى ، ج١ ص ٢٢٥ .

(١٣٦) ابن تغرى بردى ، ج٤ (مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م) ص ١٠٧ .

نظير الحماية والأمن • وبرز منهم قواد أشهرهم ابن كبرويه ، وأبو الدود ، وأبو الذباب ، وأسود الزبد ، وأبو الأرضة ، وأبو النوابح ([١٣٧]) • وفى رابع عشر جمادى الاولى (١ فبراير ٩٧٥م) اصطدم جند فارس بقيادة عضد الدولة أبى شجاع فناخسرو بن ركن الدولة (٣٧٢هـ / ٩٨٣م) بقوات الأتراك والعيارين بين ديالى والمدائن فدحروها وتدافع المنهزمون الى الجسور التى نصوبها على نهر ديالى لعبورها فغرق أكثرهم من التزاحم ([١٣٨]) • وفر أفتكين من الهزيمة فى طائفة من الجند والعيارين الى دمشق ، فطرد واليها الفاطمى ريان الخادم ، واستبد بها فى شعبان (أبريل) ، وظل يحكمها الى آخر سنة ٣٦٦هـ (٩٧٧م) ، ودخل بالمصانعة والاستئلاف فى طاعة الخليفة الفاطمى العزيز بالله أبى منصور نزار (٣٦٥ - ٣٨٦هـ / ٩٧٥ - ٩٩٦م) صاحب الولاية على الشام ومصر والمغرب ([١٣٩]) •

ومن الملفت للنظر هنا أن فرار بعض العيارين بصحبة أفتكين الى

---

(١٣٧) أبو حيان : الامتاع والمؤانسة ، ج٣ ، تحقيق احمد أمين ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ص ١٥٩ - ١٦٠ •

(١٣٨) ابن الأثير ، م٨ ص ٦٤٩ •

(١٣٩) المصدر السابق ، م٨ ص ٦٥٦ - ٦٦١ • راجع : بنى مرداس ، ص ١٤ والهامش رقم ٢٣ ص ٤١ • أعقب أفتكين فى الاستبداد بدمشق صاحبه قسام الحارثى الجبلى مقدم أحداث (شباب) دمشق (٣٧٦هـ / ٩٨٦م) • والاحداث هم عيارو الشام وشطارهم ، ولذلك عرف رئيسهم بقسام العيار • وبقى قسام كذلك الى سنة ٣٦٩هـ (٩٧٩م) حيث اصطنعه العزيز كسلفه أفتكين • وقسام هذا كان فى الأصل ترابا • وهو الذى يسميه عامة الدماشقة « قسيم الزبال » • راجع : ابن الأثير ، م٨ ص ٦٩٧ - ٦٩٩ حوادث سنة ٣٦٨هـ (٩٧٨ / ٩٧٩م) ، الذهبى ، ج١ ص ٢٣٠ حوادث سنة ٣٧٦ هـ (٩٨٦ / ٩٨٧م) ، ابن تغرى بردى ، ج٤ ص ١١٥ حوادث سنة ٣٦٥هـ (٩٧٥ / ٩٧٦م) •

الشام يتوافق مع بدء التأريـخ لنظرائهم الأحداث هنـالك وفى أرض الجزيرة · وهذا التأريخ يبدأ فى القرن الرابع الهجرى (ق١٠م) وينتهى فى القرن السادس الهجرى (ق ١٢م) ([١٤٠]) · ونخرج من ذلك بنتيجة هامة وهى أن عيارى أفتكين هم الذين أدوا الى نهوض حركة الأحداث بالشام وبالذات فى حلب ودمشق · ومما يؤكد ذلك الاشارة اليهم بدمشق فى أواخر سنة ٣٦٣هـ (٩٧٤م) ([١٤١]) وأوائل سنة ٣٦٤هـ (٩٧٤م) ([١٤٢])·

ومن أشهر قادة العيارين اللاجئين الى الشام أسود الزبد السابـق الذكر · وهو ـ كما يتضح من لقبه ـ رجل أسود يقال له الزبد لايوائه الى قنطرة الزبد القائمة على قناة الصراة المارة بالكرخ · وكان قبل أن يتفتى يشحذ وهو عريان لايتوارى الا بخرقة · ومن طريف ما يروى عنه انه اشترى جارية حسناء بألف دينار ، وراودها عن نفسها ، فتمنعت عليه ، وأخبرته بكراهيتها له ، وطلبت منه أن يبيعها ، فحملها الـى القاضى ابن دقاق ، واعتقها أمامه ، ووهبها ألف دينار ، فتعجب الناس من سماحته ومن صبره على كلامها وكان فى مقدوره أن يعاقبها لولا أن فتوته أبت عليه الا أن يكظم غيظه ويعفو عنها ويحسن اليها ([١٤٣]) ·

وصاحب هذه الرواية الطريفة هو الأديب المتكلم أبو حيان عـلى بن محمد التوحيدى (٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م) الذى كان معاصرا لاسود الزبد العيار كما كان ضحية لاحدى غارات العيارين على منزله · وقد سـجل لنا أبو حيان خبر تلك الغارة فقال : « شنوا الغارة (يعنى العيارين)

---

(١٤٠) Cf. Cl. Cahen, op. cit., p. 256.

(١٤١) راجع ابن الأثير ، م٨ ص ٦٤٠ ·

(١٤٢) راجع : المصدر السابق ، م ٨ ص ٦٥٦ ·

(١٤٣) أبو حيان : الامتاع والمؤانسة ، ج٣ ص ٦٠ · وراجع : ابن تغرى بردى ، ج٤ ص ١٠٧ ـ ١٠٨ حيث نقل رواية أبى حيان دون أن يذكر مصدره ·

واكتسحوا ما وجدوا فى منزلى من ذهب وثياب واثاث ، وما كنت ذخرته من تراث العمر ، وجردوا السكاكين على الجارية فى الدار يطالبونها بالمال ، فانشقت مرارتها ، ودفنت فى يومها ، وامسيت وما أملك مع الشيطان فجره ، ولا مع الغراب نقره » (١٤٤) .

وفى عهد عضد الدولة ابى شجاع فناخسرو (٣٦٧ - ٣٧٢هـ / ٩٧٨ - ٩٨٣م) نعمت بغداد بالهدوء الا أن ضبة بن محمد الأسدى صاحب عين التمر الذى « كان يسلك مسلك اللصوص وقطاع الطريق » عكر صفو هذا الهدوء ، ونهب مشهد الحسين فأثار بذلك مشاعر الشيعة. وعقابا له أرسل اليه عضد الدولة فى سنة ٣٦٩هـ (٩٧٩م) سرية ملكت مدينته وأجبرته على الادبار نجاة بنفسه وأخذت ماله وأهله (١٤٥) .

وثمة خبر وحيد فريد عن العيارين يقع فى سنة ٣٧٩هـ (٩٨٩م) من امرة شرف الدولة أبى الفوارس شيرزيل بن عضد الدولة (٣٧٦ - ٣٧٩هـ / ٩٨٦ - ٩٨٩م) جاء فيه أنهم جبوا الناس نهارا جهارا ، وقتلوا من قاومهم ، وتواترت سطواتهم المعروفة بالعملات والكبسات فى نهب الأموال (١٤٦) .

ولما سار بهاء الدولة أبو نصر فيروز جرد بن عضد الدولة (٣٧٩ - ٤٠٣هـ / ٩٨٩ - ١٠١٢م) الى اقليم خوزستان فى سنة ٣٨٠ هـ (٩٩٠م) ، وكان فى ملكه ، انتقض السنة والشيعة ببغداد ، ونشب النزاع بينهم . وانتهز العيارون تلك النهزة فهاجوا ، وانتشرت مناسرهم بجانبى بغداد . ونجم عن ذلك كالعادة قتل وحرق ونهب وتخريب .

---

(١٤٤) الامتاع والمؤانسة ، ج٣ ص ١٦١ - ١٦٢ .
(١٤٥) ابن الأثير ، م٨ ص ٧١٠ .
(١٤٦) الذهبى ، ج١ ص ٢٣١ .

ولم يتحرك نائب العراق أبو نصر خواشاذه (٣٨٠ - ٣٨٤هـ / ٩٩٠ - ٩٩٤م) لردع المفسدين . ولم تهدأ تلك الهوشة الا برجوع بهاء الدولة الى بغداد ([١٤٧]) فى السنة التالية (٣٨١هـ / ٩٩١م) ([١٤٨]) . وفى سنة ٣٨٤هـ (١٠٩٤م) دب الخلاف فى بغداد الغربية بين أهل الكرخ الشيعة وأهل باب البصرة السنة ، واحترق كثير من المحال ، واشتد كلب العيارين ([١٤٩]) ، وعجز نائب العراق أبو نصر خواشاذه عن اخماد ذلك الاضطراب ، فقبض عليه بهاء الدولة ([١٥٠]) واضاف عمله الى عمل وزيره أبى نصر سابور بن أردشير (٣٨٠ - ٣٩١هـ / ١٠٩٠ - ١٠٠١م). وفى عهد هذا الوالى عظم الهرج بين الشيعة والسنيين ببغداد فى سنة ٣٨٩هـ (١٠٩٩م) « وتطاول الدعار والعيارون » ([١٥١]) لدرجة أنهم تعرضوا لوفد من الاكابر انحدر فى عدد من الحراقات بنهر دجلة لاستقبال بعض الملوك ورموا أعضاءه بالحجارة « وجعلوا يقولون أدخلوا ياأزواج القحاب » . وهو سباب فاحش مقذع اذ القحاب جمع قحبة وهى المرأة الزانية والفاجرة . وكان الوفد المذكور يتكون من أبى على بن أبى

---

(١٤٧) راجع : ابن الاثير ، م٩ ص ٧٦ وماقبلها . وانظر : المصدر نفسه ، م٩ ص ١١٢ حيث وفاة خواشاذه بالبطائح (واحدها البطيحة والبطحاء) فى سنة ٣٨٥هـ (١٠٩٥م) . والمناسر جمع منسر (بوزن مسجد أو مبضع) ، وهو من الخيل ما بين الثلاثة الى العشرة ، وقيل : ما بين الأربعين الى الخمسين ، وقيل : مابين الخمسين الى الستين ، وقيل : ما بين المائة الى المائتين . لسان العرب ، م ٦ ص ٤٤٠٧ مادة نسر .

(١٤٨) ابن الأثير ، م٩ ص ٩١ .

(١٤٩) المصدر السابق ، م٩ ص ١٠٦ . وراجع : المصدر نفسه (م ٩ ص ١٥٥) حوادث ذى الحجة سنة ٣٨٩هـ (نوفمبر ١٠٩٩م) عن تشيع أهل الكرخ وتسنن أهل باب البصرة .

(١٥٠) نفسه ، م٩ ص ١٥٠ .

(١٥١) ابن خلدون ، ج٣ ص ٤٤٠ . راجع : ابن الاثير (م٩ ص ٣٥٠) حيث وفاة سابور فى سنة ٤١٦هـ (١٠٢٥م) .

الريان الوزير بواسط ، وأبى الحسن احمد بن على البتى الكاتب الشاعر (٤٠٣هـ / ١٠١٢م) صاحب الخبر (المخابرات) والبريد فى ديوان الخليفة القادر بالله ابى العباس أحمد (٣٨١ – ٤٢٢هـ / ٩٩١ – ١٠٣١م) زوج سكينة ابنة بهاء الدولة فضلا عن الأخوين الشريفين الرضى أبى الحسن محمد (٤٠٦هـ / ١٠١٥م) والمرتضى أبى القاسم على (٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م) ولدى الشريف أبى أحمد الحسين الموسوى نقيب العلويين (٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) • وأولهما وهو الشريف الرضى شاعر ذائع الصيت• وقد علق ابو الحسن البتى وكان صاحب نوادر على السباب فقال : « ماخرج علينا هؤلاء الا بعين (اى بينهم جاسوس يعرفنا) ••• والا فمن أين علموا انا ازواج قحاب ! ؟ » (١٥٢) • وهذا المثل الذى يعد فى نوادر البتى الشائعة ذو دلالة قاطعة على فشل سابور فى ضبط أمور ولايته وتأمينها وعلى الأخص فى سنة ٣٩١هـ (١٠٠١م) اذ فى تلك السنة ثار به الأتراك فهرب منهم ، وتهرش الأتراك بالعامة من الكرخيين فاقتتلوا ، وساعد السنيون الأتراك على الكرخيين فانخضدت شوكتهم • وسعى الاشراف بينهم فى الصلح فتهادنوا (١٥٣) • ولا نستبعد أن يكون للخليفة القادر بالله دور فى ذلك • واستعمل بهاء الدولة على العراق ابا جعفر الحجاج بن هرمز (٣٩١ – ٣٩٢هـ / ١٠٠١ – ١٠٠٢م) •

---

(١٥٢) ياقوت : معجم الأدباء ، ج٣ ص ٢٥٦ ترجمة أبى الحسن البتى ص ٢٤٥ – ٢٧٠ مع ملاحظة أن النص يكنى العيارين باللصوص • راجع : ابن الأثير (م ٩ ص ١٤٤) حيث ذكر نظر ابن أبى الريان فى الوزارة بواسط فى سنة ٣٨٨هـ (٩٩٨م) ، وادرج (ص ٢٥١) البتى فى وفيات شعبان سنة ٤٠٥هـ (فبراير ١٠١٥م) مع أن ياقوت (ج ٣ ص ٢٥٧) سجله فى وفيات شعبان سنة ٤٠٣هـ (فبراير ١٠١٣م) • والحراقات أو الحراريق جمع حراقة ، وقد يقال حراق والجمع حرارق • وهى نوع من السفن ترمى بالنيران استعملها المسلمون فى العصر الوسيط • عن هذه السفينة انظر : السفن الاسلامية على حروف المعجم ، ص ٣٢ – ٣٧ •

(١٥٣) ابن الاثير م٩ ص ١٦٨ ، ابن خلدون ، ج ٢ ص ٤٤٠ •

وحين خرج ابو جعفر الحجاج من بغداد فى أواخر سنة ٣٩٢هـ (١٠٠٢م) لحرب امير الموصل معتمد الدولة ابى المنيع قرواش بن مقلد بن المسيب العقيلى (٣٩١ - ٤٤٢هـ / ١٠٠١ - ١٠٥٠م) وحليفه أمير الجامعين عز الدولة أبى الحسن على (الاول) بن مزيد الأسدى (٤٠١ - ٤٠٨هـ / ١٠١٢ - ١٠١٨م) بنواحى الكوفة اختلت الأحوال بها حتى أوائل السنة التالية (٣٩٣هـ / ١٠٠٢م) ومن ثم ظهر العيارون والزعار ، فاستفاض سعار النهب والحرق والقتل . وتدارك بها ءالدولة الموقف فى سنة ٣٩٢هـ (١٠٠٢م) فاستناب على العراق أبا على الحسن بن ابى جعفر أستاذ هرمز بن الحسن الملقب بعميد الجيوش (٣٩٢ - ٤٠١هـ / ١٠٠٢ - ١٠١٠م) فأصلح الأمور ، وقمع المفسدين ، ونفذ حد الحرابة فى بعضهم ، (١٥٤) « ومنع السنة والشيعة من اظهار مذاهبهم » (١٥٥) ، فسكن الهيج ، وأمن الناس (١٥٦) . ولما وثب الكرخيون بالسنيين فى رجب سنة ٣٩٨هـ (مارس ١٠٠٨م) بايعاز من أبى عبد الله محمد بن محمد بن النعمان البغدادى المعلم الملقب بالشيخ المفيد فقيه الشيعة الامامية (٤١٣هـ / ١٠٢٢م) قام ابو على بن أستاذ هرمز بنفى هذا الفقيه فاستقام البلد (١٥٧) . غير ان ابن مزيد صاحب الجامعين شفع

---

(١٥٤) ان الأثير ، م٩ ص ١٧١ حوادث سنة ٣٩٢هـ (١٠٠٢م) ، ص ١٧٨ حوادث سنة ٣٩٣هـ (١٠٠٢م) ، ص ٢٢٤ حوادث سنة ٤٠١هـ (١٠١٠ / ١٠١١م) . راجع رواية الذهبى (ج١ ص ٢٣٦) حوادث سنة ٣٩٢هـ (١٠٠٢م) التى تنص على الشطار . وقد ذكر ابن الأثير (م ٩ ص ٢١٩) وفاة ابن هرمز بالأهواز فى سنة ٤٠٠هـ (١٠٠٩م) . وذكر (م ٩ ص ٢٢٤) وفاة ابن استاذ هرمز ببغداد فى سنة ٤٠١هـ (١٠١٠م) أو ٤٠٢هـ (١٠١١م) .

(١٥٥) المصدر السابق ، م٦ ص ١٧٨ . وراجع : الذهبى ، ج١ ص ٢٣٦

(١٥٦) ابن الأثير ، م٩ ص ١٧١ .

(١٥٧) المصدر السابق ، م٩ ص ١٧٨ حوادث سنة ٣٩٣ (١٠٠٢م) ص ٢٠٨ حوادث رجب سنة ٣٩٨هـ (مارس ١٠٠٨م) . وراجع : الذهبى ، ج١ ص ٢٤٦ ترجمة ابن النعمان المعلم .

فيه بحكم تشيعه لدى والى العراق الجديد ابى غالب محمد بن على بن خلف المعروف بفخر الملك (٤٠١ - ٤٠٦هـ / ١٠١٠ - ١٠١٥م) فأعيد (١٥٨) .

ولم تكن سياسة تغيير الولاة بالعراق زمن بهاء الدولة سوى مسكن لأوجاعه الصارخة ومعمق لأوضاعة البائسة لأن ولع الحكام الشديد بالحياة المرفهة عزلتهم عن الشعب وما كان يعانيه من فقر وجوع . وقد دفعتهم هذه العزلة المعيشية المرفهة الى استنزاف الشعب وتكبيله بالقيود التى تؤمن لهم الاستمرار فى البذخ والترف بدلا من اصلاح أحواله وانتشاله من ذل المسغبة والمتربة . انظر الى بهاء الدولة وقد امر ابا الحسن البتى ان يعمل شعرا يكتب على تكة أبريسم (حرير) لتتبين البون الشاسع بين عالم الحكام ودنيا المحكومين . وهاك شعر البتى فى التكة الحرير :

لم لا اتيه ومضجعى ** بين الروادف والخصور
وان اتشحت فاننى ** بين الترائب والنحور
ولقد نشأت صغيرة ** الفا لربات الخدور (١٥٩)

وفى خواتيم سنة ٤٠٨هـ (١٠١٨م) من حكم سلطان الدولة ابى شجاع بن بهاء الدولة (٤٠٣ - ٤١١هـ / ١٠١٢ - ١٠٢١م) تفجر

---

(١٥٨) المصدر نفسه ، م٩ ص ٢٠٨ . راجع (ص ٢٦٠) حيث قبض سلطان الدولة على فخر الملك بالأهواز وقتله سلخ ربيع الأول سنه ٤٠٦هـ (اكتوبر ١٠١٥م) ، ونقل جثمانه الى بغداد ، ودفن بمشهد على بن أبى طالب .

(١٥٩) معجم الأدباء ، ج٣ ص ٢٦١ . راجع : ابن الأثير (م ٩ ص ٢٥١) مع ملاحظة اختلاف القراءة فى صدر البيت الثانى حيث (نسجت) مكان (اتشحت) واختلافها فى عجز البيت الثالث حيث (بأكف ربات) مكان (الفا لربات) .

الشغب بين شيعة الكرخ وبين غيرهم من السنة ، ([١٦٠]) وضعف الجند الديالمة عن سحقه . ولما هوشهم العامة من البغاددة ، زايلوهم ، وانسحبوا الى واسط ، واقتحموها على أهلها بشق الأنفس . وفى خلال ذلك نشط العيارون كالمألوف ، فقطعوا الطريق ونهبوا الأموال ([١٦١]) . وأخفق والى العراق ابو محمد الحسن بن سهلان الملقب بعميد أصحاب الجيوش (٤٠٦ - ٤٠٨هـ / ١٠١٥ - ١٠١٨م) فى اعادة الهدوء الى العاصمة المضطربة . وخشى ان يعاقبه سلطان الدولة على اصره فهرب الى بلدة هيت على الفرات من اعمال قرواش امير الموصل واقام بها ، فاستعمل سلطان الدولة موضعه ابا القاسم جعفر بن ابى الفرج محمد بن ابى الفضل العباس بن فسانجس (٤١٩هـ / ١٢٠٨م) ([١٦٢]) ، ثم أقاله فى المحرم سنة ٤٠٩هـ (مايو ١٠١٨م) بمؤيد الملك أبى على الحسين ابن الحسن الرخجى (٤٣٠هـ / ١٠٣٨م) . وقد نصح الرخجى - وكان عازفا عن ولاية العراق - سلطان الدولة باستصلاح ابن سهلان لأن «ولاية العراق تحتاج الى من فيه عسف وخرق ، وليس غير ابن سهلان »([١٦٣]) . ولذا استدعى سلطان الدولة الوالى الآبق اليه فخافه ، وتردد بين الكوفة والموصل والأنبار والبطيحة والبصرة ، الى ان اصلح الرخجى بينه وبين سلطان الدولة ، فعاد اليه ، وتولى ولاية العراق ثانية ([١٦٤]) (٤٠٩ -

---

(١٦٠) المصدر السابق ، م ٩ ص ٣٠٥ .

(١٦١) المصدر نفسه ، م٩ ص ٣٠٤ .

(١٦٢) نفسه ، م٩ ص ٣٠٥ .

(١٦٣) نفسه ، م٩ ص ٣٠٦ .

(١٦٤) نفسه ، م٩ ص ٣٠٧ - ٣٠٨ .

٤١١هـ / ١٠١٨ - ١٠٢١م) [١٦٥] • ورأى سلطـان الدولـة أن من الأجدى له الاشراف بنفسه على تسكين بغداد ، فقدم اليها قرابة نهاية شهر ربيع الآخر (سبتمبر) • وما أن تسامع العيارون بمقدمـه حتى جفلوا • ولكى يقضى سلطان الدولة على أسباب الاضطراب نفى أبا عبد الله بن النعمان المعلم فقيه الشيعة وجماعة من العباسيين ، وأنزل الديالمة لأول مرة أطراف الكرخ وباب البصرة ، وكلاهما من الأحياء الشعبية ببغداد الغربية ، فأظهروا من الفساد ما فاق الوصف [١٦٦] •

وفى عهد جلال الدولة أبى طاهـر المعتز بن بهاء الدولة (٤١٦ - ٤٢٥هـ / ١٠٢٥ - ١٠٤٤م) ولاسيما فى النصـف الأول من امارتـه (٤١٦ - ٤٢٦هـ / ١٠٢٥ - ١٠٣٥م) قوى شأن العيارين وتراسـهم ربما للمرة الأولى رجل عربى فاتـك من قبيلة تميـم المضرية النازلـة بالبصرة اسمه أبو على البرجمى بلغ من السطوة أن أحدا من البغاددة لم يكن يجسر على ذكره بغير رتبة «القائد» [١٦٧] • ويتضح من اسـم هذا الفاتك أنه برجمى « بفتح الباء والأشهر ضمها » ، أى منسوب الى البراجم • والبراجم فى اللغة - وواحدتهـا البرجمة (بالضم) - هـى مفاصل الأصابع بن الأشاجع والرواجب من ظهر الكف اذا قبض القابض

---

(١٦٥) انتهت ولايته فى آخر ذى الحجة سنة ٤١١هـ (١٦ أبريل ١٠٢١م) وقبض عليه فى آخر المحرم سنة ٤١٢هـ (٢ مايو ١٠٢١م) فى مطلع عهد مشرف الدولة أبى على الحسن بن بهاء الدولة (٤١١ - ٤١٦هـ / ١٠٢١ - ١٠٢٥م) وسملت عيناه • نفسـه ، م٩ ص ٣١٨ • وعاش بعد سمله نحو سنتين ثم قتل فى أوائل سنة ٤١٤هـ (١٠٢٣م) • نفسه ، م٩ ص ٣٣٢ •

(١٦٦) نفسه ، م٩ ص ٣٠٧ •

(١٦٧) راجع : الذهبى ، ج١ ص ٢٥٣ حوادث سنة ٤٢٤هـ (١٠٣٢ / ١٠٣٣م) •

كفه نشزت وارتفعت ([١٦٨]) . اما فى علم الأنساب فهم عمرو وقيس وغالب وكلفة وظليم أولاد حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وقد سموا بالبراجم لأن رجلا منهم يدعى حارث بن عامر بن عمرو بن حنظلة قبض أصابعه ودعاهم الى التحالف ليكونوا كبراجم الأصابع فى الاجتماع فامتثلوا لدعوته ([١٦٩]) . ويقال فى النسبة الى البراجم البراجمى أيضا ([١٧٠]) .ولا نعرف على وجه التحديد الى أى بيت من بيوتات البراجم ينتسب القائد أبو على . كما أننا لا نعرفه الا بكنية أبى على التى قد توحى بأن اسمه هو الحسن أو الحسين . ورغم ما حيك عن سطواته وفتكاته الا أنه « كان مع هذا فيه فتوة ، وله مروءة ، لم يعرض الى امرأة ، ولا الى من يستسلم اليه » ([١٧١]) . « ولكنه أسرف فى نهب أموال التجار » ([١٧٢]) .

على أية حال يعد عهد جلال الدولة علامة لبدء حكم البويهيين الأواخر ، لفساد عصبيتهم الديلمية ، وتطرق الضعف اليها بالتنافس على الملك ، وبالشغب المتصل بين فئات الجند ، وبالفتن التى لاتنتهى بين عناصر السكان من الشيعة والسنة ، فضلا عن عملات وكبسات العيارين وأخدانهم الشطار المستعرة دائما .

وفيما بين سنتى ٤١٦هـ (١٠٢٥م) و ٤١٨هـ (١٠٢٧م) نازع

---

(١٦٨) مختار الصحاح ، ص ٢٦ مادة برجم ، تاج العروس ، ج٨ ص ١٩٩ مادة البرجمة .

(١٦٩) الحازمى ، ص ٢٤ ــ ٢٥ نسب البرجمى ، تاج العروس ، ج٨ ص ١٩٩ .

(١٧٠) المرجع السابق ، ج٨ ص ١٩٩ .

(١٧١) ابن الاثير ، م٩ ص ٤٣٩ حوادث سنة ٤٢٥هـ (١٠٣٤م) راجع : الذهبى ، ج١ ص ٢٥٣ حوادث سنة ٤٢٤هـ (١٠٣٢ / ١٠٣٣م) .

(١٧٢) المصدر السابق ، ج١ ص ٢٥٣ .

عماد الدولة ابو كاليجار مرزبان بن سلطان الدولة صاحب الاهواز وخوزستان وفارس (٤١٥ - ٤٤٠هـ / ١٠٢٥ - ١٠٤٨م) عمه جلال الدولة فى ملكه بالعراق (١٧٣) . وفى اثناء التنازع فى سنة ٤١٦هـ (١٠٢٥م) انخرقت هيبة الدولة فتتابعت عملات العيارين ضد سراة البغاددة ومياسيرهم آناء الليل واطراف النهار فى جراة متناهية دونما خشية من السلطان . ولدينا صورة حية لاحدى سطوات العيارين الليلية تبين أن العيارين كانوا يمشون بالليل بالمشاعل والشموع ويكبسون الدار المراد انتهابها ويعذبون صاحبها للاقرار بما لديه من الأموال . وكانوا لا يتورعون عن سفك الدماء واحراق المواضع عقب أية بادرة للمقاومة حتى بات ظهورهم مصدر هلع وفزع للطبقة الثرية المترفة . ومن ذلك انهم أحرقوا دار نقيب العلويين الشريف المرتضى ابى القاسم على بن الحسين بن موسى بن محمد بن ابراهيم (الجزار) الموسوى (٤٠٦ - ٤٣٦هـ / ١٠١٥ - ١٠٤٤م) (١٧٤) . كما احرقوا أسواق الكرخ . فندرت الاقوات بها وغلت أسعارها (١٧٥) .وراح ضحية ذلك عدد من القتلى(١٧٦) وفى سنة ٤١٧هـ (١٠٢٦م) زاد تسلط الجند الأتراك ببغداد فأكثروا مصادرة ذوى اليسار وسلبوهم أموالهم ، وفرضوا على حى الكرخ التجارى خاصة اتاوة قدرها مائة الف دينار . ولم يدع الأتراك وسيلة الى نهب الأموال الا سلكوها ، فاحترقت من جراء ذلك المنازل والدروب والأسواق . وشارك الغوغاء والعيارون الأتراك فى الطمع فكانوا يدخلون الدار فيطالبون صاحبها بذخائره ، كما يفعل السلطان بمن يصادره ،

---

(١٧٣) راجع : ابن الاثير ، م٩ ص ٣٤٦ - ٣٤٧ حوادث سنة ٤١٦هـ (١٠٢٥م) ، ص ٣٦١ حوادث جمادى الاولى ورمضان سنة ٤١٨هـ (يونية وأكتوبر ١٠٢٧م) .

(١٧٤) راجع : الذهبى ، ج١ ص ٢٤٧ الذى كنى عن العيارين بالحرامية

(١٧٥) ابن الأثير ، م٩ ص ٣٤٩ .

(١٧٦) المصدر السابق ، م ٩ ص ٣٤٩ .

فوضع الناس الابواب على الدروب ، فلم تغن شيئا وكان لابد أن يقع الشجار والقتال بين الناهبين . وتمخض ذلك عن ظفر الأتراك بالغوغاء والعيارين . واذ ذاك انفردوا بالغنيمة كاملة ونهبوا الكرخ وغيره من الأحياء الغنية ، وتحصل لهم من النهب مال جليل ، فانكشف أهل الستر والخير وصدموا ، وهلك بعضهم من فرط مصابه . ولم يرتفع هذا البلاء الا بحضور جلال الدولة الى بغداد من البصرة فى الثالث من رمضان سنة ٤١٨هـ (١٢ اكتوبر ١٠٢٧م) ([١٧٧]) . وفى سنة ٤٢٠هـ (١٠٢٩م) اشتبك شيعة الكرخ مع السنيين ، وتفاقم الشر بينهم ، فاستأسد العيارون بالعملات والكبسات ، وانتهبوا حوانيت التجار جهارا ، وتم القبض على جماعة منهم ونفذ فيهم حد الحرابة ([١٧٨]) . ولما هب البغاددة على الأتراك لجورهم ونشب القتال بينهم فى سنة ٤٢١هـ (١٠٣٠م) سطا البرجمى واتباعه على مخازن التجار ودور الكبار ([١٧٩]) بالكرخ ، ومن ذلك دار الشريف المرتضى ودار ابن عديسة المجاورة لدار الوزير أبى سعد محمد بن الحسين بن عبد الرحيم الملقب بعميد الدولة (٤٢١ - ٤٢٢هـ / ١٠٣٠ - ١٠٣١م) ([١٨٠]) . وقام عيارو الأكراد بسرقة دواب اجناد الأتراك من حظائرها فنقل الأتراك خيلهم الى دورهم ونقل جلال

---

(١٧٧) المصدر نفسه ، م٩ ص ٣٥٣ . وراجع : الذهبى (ج ١ ص ٢٤٨) حيث الاشارة فى نصه الى اللصوص كناية عن العيارين . وانظر ابن الاثير ، م٩ ص ٣٦١ عن عودة جلال الدولة الى بغداد .

(١٧٨) الذهبى ، ج١ ص ٢٥٠ . وراجع : ابن الاثير ، م٩ ص ٣٩٣ وما بعدها مع ملاحظة ارداف كلمة اللصوص بعد كلمة العيارين للتفرقة بينهما .

(١٧٩) راجع : الذهبى ، ج١ ص ٢٥١ حيث يشير الى زعيم العيارين باسم اللص البرجمى .

(١٨٠) راجع : ابن الأثير ، م٩ ص ٤٣٨ حوادث سنة ٤٢٥هـ (٤٣٣ / ٤٣٤م) وانظر (ص ٥٤٢) حيث توفى عميد الدولة بجزيرة ابن عمر من اعمال ديار ربيعة بشمال العراق فى ذى القعدة سنة ٤٣٩هـ (أبريل ١٠٤٨م) .

الدولة دوابه الى احد بيوت دار السلطنة (١٨١) . واضطر الخليفة القادر الى تعيين صاحب شرطة جديد هو ابو محمد الحسن بن ابى الفضل النسوى فى سنة ٤٢١هـ (١٠٣٠م) وخلع عليه « ولقب بالناصح ، فاستدعى جماعة العيارين واقامهم أعوانا واصحاب مسالح » (١٨٢) ، فاستبان عجزه عن مدافعة العيارين وحل محله الكلالكى . وفى ربيع الأول سنة ٤٢٢هـ (مارس ١٠٣١م) اشتعل التشاحن بجانبى بغداد بين السنة والشيعة ، وتركز بالكرخ وتساقط القتلى والجرحى من الفريقين . وحاول عميد الدولة تهدين المتشاحنين دون جدوى . وأحرق وخرب فى هذا الهيج أربعمائة دار واربعة أسواق . وقتل الغوغاء صاحب الشرطة الكلالكى وأحرقوا جثته . واهتبل العيارون ذلك فدخلوا البلد وتتبعوا الثروات ، وأكثروا العملات (١٨٣) ، وتعسر الأمر على اهل بغداد ، ولازم التجار المبيت بالسلاح فى الأسواق بعد أن نقب العيارون دار السلطنة واخذوا ما فيها (١٨٤) . وتمادت الفتنة الى ذى الحجة (نوفمبر) حيث استقرت الخلافة للقائم بأمر الله ابى جعفر عبد الله ابن القادر (٤٢٢ - ٤٦٧هـ / ١٠٣١ - ١٠٧٥م) . ثم جعلت الدولة مناديا نادى فى الكرخ بخروج العيارين ، وامهلوا فترة للتنفيذ من بقى

---

(١٨١) راجع : المصدر السابق ، م٩ ص ٤١٠ الذى نعت عيارى الأكراد بالمتلصصة .

(١٨٢) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، ج٨ ، ط١ ، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد الدكن ، الهند ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م ، ص ٤٩ .

(١٨٣) المصدر نفسه ، م٩ ص ٤١٨ - ٤١٩ ، الذهبى ، ج١ ص ٢٥١ . نص ابن الأثير (م٩ ص ٤١٩) على اسماء اسواق الكرخ الأربعة التى أحرقت وخربت ، وهى : سوق العروس ، وسوق الصفارين ، وسوق الأنماط (أى الستائر) ، وسوق الدقاقين .

(١٨٤) الذهبى ، ج١ ص ٢٥١ .

منهم بعدها قبض عليه وحبس فخرجوا ([١٨٥]) . غير انهم عادوا اليه فى صدر سنة ٤٢٣هـ (١٠٣٢م) وهاجموا أسواقه مع شيخهم البرجمى . وقابل تجار الكرخ هجوم البرجمى بالمقاومة فقتل منهم طائفة ([١٨٦]) . وكرر البرجمى ورجاله السطو على أسواق الكرخ فى سنة ٤٢٤هـ (١٠٣٣م) فتصدى لهم صاحب الشرطة ففتكوا به ، وكبسوا دور الأغنياء ومن بينها دار ابن العلواء الواعظ لمهاجمته لهم فى خطبه ونهبوا ما بها من أموال ظاهرا . فنهض فى طلب البرجمى عدد من أمراء الجيش ، فطاردوه الى اجمة يأوى اليها ، فبرز لقتالهم ، فلم يتجاسر احدهم أن يقترب منه او ان يقدم عليه ([١٨٧]) . وازدادت جراة البرجمى وأتباعه الى درجة أن قائدا بويهيا كبيرا قبض على اربعة من العيارين فأخذ عقيدهم (أى كبيرهم) فى مقابله اربعة من أصحاب القائد . وذهب القائد الى العقيد ووقف على باب داره وطلب منه اطلاق اصحابه فأبى الا اذا اطلق العيارين الأربعة وهدده بقتل أصحابه وحرق داره اذا لم يمتثل لأمره ، فخاف واطلق العيارين مقابل اطلاق أصحابه ([١٨٨]) . وما كان هذا ليحدث لولا تراخى قبضة الدولة . ففى رمضان (اغسطس) ثارت الجند بجلال الدولة واعتقلوه فى أحد المساجد . غير ان القائد أبا الوفاء المرشد انتصر له فى جماعة من الجند والعامة والعيارين وخلصه من الاعتقال ورده الى داره . وفى الليل تحول جلال الدولة الى دار الشريف

---

(١٨٥) ابن الأثير ، م٩ ص ٤١٩ - ٤٢٠ .

(١٨٦) الذهبى ، ج١ ص ٢٥١ .

(١٨٧) المصدر السابق ، ج١ ص ٢٥٣ . راجع : ابن الأثير ، م٩ ص ٤٣٢ ، ابن تغرى بردى ، ج٤ ص ٢٧٨ .

(١٨٨) ابن الأثير ، م٩ ص ٤٣٢ . جاء فى كتاب الفتوة لابن عمار (ص ٤٦ - ٤٧) تحت عنوان القول فى الكبير : « ويطلق اسم الكبير على زعيم القوم ، ويسمى الشيخ ، والمقدم ، والقائد ، والعقيد ، والأب ، ورأس الحزب ، وكبير البيت . وزعيم القوم هو المقتدى برأيه » .

المرتضى بالكرخ ونزل بها . وعندما علم الجند بذلك هموا به فاختلفوا، ثم اذعنوا بطاعته ، وساروا به الى دار ملكه ([١٨٩]) . وهنالك وجد ان البرجمى مقدم العيارين اقوى منه سلطانا واعز نفرا لدرجة ان العامة بربض الرصافة من بغداد الشرقية صاحوا بالخطيب ابى الحسين بن الغريق يوم الجمعة ، وقالوا : « اما ان تخطب للبرجمى ، والا فلا تخطب لسلطان ولا غيره » . ويعكس ذلك مدى اعجاب الطبقة الشعبية بشخصية البرجمى .وقد جرت هذه الحادثة بالجانب الشرقى فى سنة ٤٢٥هـ (١٠٣٣ / ١٠٣٤م) ([١٩٠]) ، وخشى جلال الدولة ، ان ينتقل عدواها الى الجانب الغربى ، ولذا عهد الى مولاه التركى ابى الحارث ارسلان البساسيرى (٤٥١هـ / ١٠٦٠م) بحماية ذلك الجانب من العيارين « لكفايته ونهضته » ([١٩١]) . وخدمت الظروف جلال الدولة ، فوقع البرجمى فى براثن قرواش امير بنى عقيل . وسبب ذلك ان قرواشا قبض على عامله على مدينة عكبرا بشرقى دجلة فى شمال بغداد ويدعى ابن القلعى ، فجاءه البرجمى يتشفع فى اطلاقه لمودة بينهما فغدر به واعتقله . وافتدى البرجمى نفسه بمال كثير ، فأخذ قرواش الفدية واغرقه بدلا من ان يطلقه ([١٩٢]) . وتشير حوادث سنة ٤٢٦هـ (١٠٣٤/ ١٠٣٥م) الى ان اغراق البرجمى لم يضعف شوكة أصحابه ، بل على العكس ، ففى الوقت الذى انحل فيه امر البويهيين « عظم امر العيارين، وصاروا يأخذون الأموال ليلا ونهارا ، ولا مانع لهم لأن الجند يحمونهم

---

(١٨٩) ابن الأثير ، م٩ ص ٤٣١ ـ ٤٣٢ . راجع : الذهبى ، ج١ ص ٢٥٣ .

(١٩٠) ابن الاثير ، م٩ ص ٤٣٨ ـ ٤٣٩ ، حكايات الشطار والعيارين ، ص ١٢٨ .

(١٩١) ابن الأثير ، م٩ ص ٤٣٧ .

(١٩٢) المصدر السابق ، م٩ ص ٤٣٨ . وراجع : الذهبى ، ج١ ص ص ٢٥٣ .

على السلطان ونوابه ، والسلطان عاجز عن قهرهم » ([١٩٣]) . ويفهم من ذلك أن جند الاتراك كانوا يحصلون على جزء من النهب لقاء سكوتهم . توضح ذلك رواية ابن تغرى بردى حيث تقول : « وكان العيارون فى دور الأتراك والحواشى يقيمون نهارا ويخرجون ليلا ، والاتراك والحواشى تقوم معهم فى الباطن ، فكانوا يخرجون ليلا ويعملون العملات ، وأفسدوا وفعلوا أفعالا قبيحة ، وأظهروا الافطار فى شهر رمضان نهارا ، وكان ذلك كله بمواطأة الأتراك » ([١٩٤]) . وازداد البلاء بعيارى الأكراد الذين سرقوا خيول أجناد الأتراك ([١٩٥]) ، وبعيارى الأعراب الذين نهبوا النواحى ، وقطعوا الطريق ، ولم تسلم من شرهم بغداد نفسها اذ بلغوا أطرافها ، ووصلوا الى جامع المنصور بالرحبة : « وأخذوا ثياب النساء فى المقابر » ([١٩٦]) .

وفى صفر سنة ٤٤٣هـ (يونيه ١٠٥١م) من حكم الملك الرحيم أبى نصر خسرو فيروز آخر أمراء البويهيين بالعراق (٤٤٠ - ٤٤٧هـ / ١٠٤٨ - ١٠٥٥م) عادت الفتنة بين أهل السنة والشيعة ببغداد لان أهل الكرخ الشيعة كتبوا على «برج الباب : محمد وعلى خير البشر ، فمن رضى فقد شكر ، ومن أبى فقد كفر » . واحتدم القتال بين الطائفتين. وعجز الخليفة القائم والملك الرحيم وصاحب الشرطة أبى محمد النسوى (٤٤٢ - ٤٤٩هـ / ١٠٥٠ - ١٠٥٧ م) عن كفهم . ولما استشرى القتل والجرح والنهب والحرق بينهم « استنجد الخليفة بعيار من أهل درب ريحان ، فأحضر الى الديوان واستتيب عن الحرام ، وسلط على أهل

---

(١٩٣) ابن الأثير ، م٩ ص ٤٤٠ . راجع : الذهبى ، ج١ ص ٢٥٤ .
(١٩٤) النجوم الزاهرة ، ج٤ ص ٢٨١ .
(١٩٥) ابن الأثير ، م٩ ص ٤٤٠ .
(١٩٦) المصدر السابق ، م٩ ص ٤٤٠ - ٤٤١ .

الكرخ فقتل منهم جماعة كثيرة » ([١٩٧]) . ومع ذلك استطالت الفتنة الى ذى الحجة سنة ٤٤٤هـ (أبريل ١٠٥٣م) لاصرار الشيعة على اظهار مذهبهم فى تفضيل على وفى الأذان بحى على خير العمل « وامتنع الضبط ، وانتشر العيارون وتسلطوا ، وجبوا الأسواق ، واخذوا ما كان يأخذه ارباب الأعمال ، وكان مقدمهم الطقطقى والزيبق » ([١٩٨]) . وتمادى ذلك الى المحرم سنة ٤٤٥هـ (يونيه ١٠٥٣م) ([١٩٩]) . والزيبق هذا هو نفسه على الزيبق صاحب اكبر سيرة شعبية فى التراث الشعبى العربى . وفيها جعل الراوى من أحمد الدنف (قرين ابن حمدى فى الشطارة) استاذا للزيبق وخصيما لدليلة (دالة) المحتالة ([٢٠٠]) .

نخلص مما سبق ان العيارين ارهجوا بغداد بشطارتهم ، وفرضوا سيطرتهم عليها ، وداخلوا الشرطة كأعوان واصحاب مسالح ، وظهر منهم زعماء كبار اشهرهم على الاطلاق اسود الزبد وابو على البرجمى وعلى الزيبق . واضطرت الدولة أحيانا الى الحد من سطوتهم بقتل بعضهم ، واحيانا الى مصانعتهم والاستعانة بهم فى غزو الروم وفى اعادة الهدوء للعاصمة المضطربة بالفتن دائما . وشارك اجناد الأتراك العيارين فى نشاطهم ، وابعدوهم مرة وصاحبوهم مرات .

---

(١٩٧) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج٥ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٥م ، ص ٥٠ . وابو محمد النسوى اغتاله أهل الكرخ فى سنة ٤٥٢هـ (١٠٦٠م) لأنه « كان صارما فاتكا ظالما ، يقتل الناس ويأخذ أموالهم » . المصدر السابق، ج٥ ص ٦٨ . راجع : ابن الأثير ، م١٠ (بيروت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م) ص ١٢ .

(١٩٨) المصدر السابق ، م٩ ص ٥٩١ ـ ٥٩٢ .

(١٩٩) المصدر نفسه ، م٩ ص ٥٩٣ ، ابن خلدون ، ج٤ ص ٤٩٠ .

(٢٠٠) حكايات الشطار والعيارين ، ص ٦٣ . وانظر ملخص سيرة على الزيبق ونقد فنى لها فى المرجع السابق ،ص ٣١٩ ـ ٣٥٢ .

٤ - فى عصر نفـوذ السلاجقـة :

فى يوم الاثنين ٢٥ رمضان سنة ٤٤٧هـ (٢٢ ديسمبر ١٠٥٥م) ادبر عصر نفوذ البويهيين واقبل عصر نفوذ السلاجقة الذى لايختلف عـن سابقة من حيث بقاء الخليفة كرمز روحى يملك ولايحكم ، بينما تركزت السلطة الفعلية فى أيدى الأتراك السلاجقة المستبدين الجدد بالخلافة . وهؤلاء كانوا من السنية الأحناف (٢٠١) . وبوفودهم الى العراق رجحت كفة السنيين على الشيعة فخضع الأخيرون وذلوا . ولم يعـد بوسعهم آثارة خصومهم كما كان يحدث أيام البويهيين اخوتهم فى المذهب . ومن ثم دال عهد الفتن المذهبية التى كانت التربة الصالحة لنمو حركة العيارة والشطارة . وكان اندثارها مؤشرا لركود ريح العيارين والشطار . ومما ساعد على ذلك شدة قبضة الدولة السلجوقية التى ربطت الخلافة بالبيت السلجوقى بأواصر المصاهرة (٢٠٢) وحكمت العراق فى عنفوانها حكمـا عسكريا صارما . وهذا واضح من تحويل العراق الى شحنكية أو ولاية عسكرية يرأسها شحنة ، وهو لقب فارسى الأصل معناه الحارس والوالى والنائب وصاحب الشرطة (٢٠٣) . وكانت سياسة اغلب السـلاطين او ممثلهم الادارى (العميد) أو العسكرى (الشحنة) هى العمل عـلى جباية أكبر قدر من المال بأية وسيلة . فهذا وزيرهم نظام الملك ابـو

---

(٢٠١) راجع : ابن تغرى بردى (ج ٥ ص ٥٤ حوادث سنة ٤٤٥هـ / ١٠٦٣م) حيث كان طغرلبك (٤٥٥هـ / ١٠٦٣م) زعيم السلاجقة حنفيا . وهذا يعنى أن رعاياه كانوا كذلك ، اذ الناس على ديـن ملوكهم .

(٢٠٢) راجع : ابن الأثير ، م٩ ص ٦١٧ ، ابن خلدون ، ج٣ ص ٤٦٠ عن زواج الخليفة القائم بأمر الله فى محرم سنة ٤٤٨هـ (مـارس ١٠٥٦م) من أرسلان خاتون المسماة خديجة ابنة جغرى بك داود صاحب خراسان (٤٣٢ - ٤٥١هـ / ١٠٤٠ - ١٠٥٩م) وأخـى طغرلبك .

(٢٠٣) المعجم فى اللغة الفارسية ، ص ٢٨١ .

على الحسن بن على بن اسحاق الطوسى (ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م) يصف الأمراء السلاجقة بأنهم لايتورعون عن ارتكاب عشر جرائم من أجل الحصول على دينار واحد (٢٠٤) . ولذا استحدث الخلفاء « ديوان بيت مال الخاصة » لحفظ أموالهم من عبث السلاجقة وبنى جلدتهم من الأتراك حتى يمكنهم الانفاق على أغراضهم الخاصة . وكان متوليه يعرف بالخازن وبصاحب المخزن وبصدر المخزن (٢٠٥) .

ويجب أن نعلم أن النصوص لن تشير الى العيارين - فى الغالب - الا باسم اللصوص والحرامية . وقد تكتفى بذكر فعلهم دون اسمهم . وأحيانا تنعتهم بنعوت أخرى تطابق أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المتردية .

وعلى ذلك مرت السنتان الأوليان من حكم السلاجقة بالعراق دون أن نسمع خبرا واحدا عن العيارين ، حتى اذا دخلت سنة ٤٤٩هـ (١٠٥٧م) من حكم أول سلاطين السلاجقة العظام بالعراق وهو ركن الدين أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق (تقاق) المعروف بطغرلبك أو بطغرل الأول (٤٤٧ - ٤٥٥هـ / ١٠٥٥ - ١٠٦٣م) بدأ الحديث عنهم يعود بشكل قوى مؤثر ثم بعد ذلك بشكل باهت متقطع . ففى السنة المذكورة « استعفى ابن النسوى (أبو محمد الحسن بن أبى الفضل النسوى) من ولاية الشرطة ببغداد لاستيلاء الحرامية واللصوص عليها ، بحيث انه أقيم جماعة لحفظ قصر الخليفة

---

(٢٠٤) الدكتور عبد المنعم محمد رشاد : الأبعاد الثقافية والاقتصادية للصراع العراقى الفارسى فى العصر العباسى (الفصل الرابع من القسم الثانى ضمن كتاب الصراع العراقى الفارسى) ، بغداد ١٩٨٣م ، ص ١٨٦ - ١٨٧ .

(٢٠٥) راجع الدكتور عبد القادر سلمان المعاضيدى : دواوين العراق (المبحث الثانى من الفصل الثالث ضمن ج٦ من كتاب حضارة العراق) ، ط١ ، بغداد ١٩٨٥ ، ص ١٥١ .

والطيار الذى للخليفة من الحريق ، لأن اللصوص كانوا اذا امتنع عليهم موضع حرقوه » ([٢٠٦]) • وفى راى الدكتور محمد رجب النجار أن الجماعة التى انيط بها حماية قصر الخليفة وسفينته النهرية (الطيار) هى جماعة على الزيبق العيار • ويقول : « ولعل المؤرخين صمتوا أو خجلوا من ذكر تلك الحقيقة التى تشبث بها الوجدان الشعبى ، وصاغ فى ضوئها سيرة على الزيبق » • ويدلل الدكتور النجار على رأيه بقوله : « وليس مصادفة أن يكون على الزيبق العيار الوحيد الكبير الذى لم يرسم السلطان أو الخليفة بقتله ، أو يصدر أمرا باعدامه ، كما هو الحال مع كبار العيارين » ([٢٠٧]) • وقد يكون ما ذهب اليه الدكتور النجار صحيحا لأن السلطان طغرلبك كان مشغولا آنذاك بالقضاء على ثورة البساسيرى مقدم الأتراك البغداديين (٤٤٧ ـ ٤٥١هـ / ١٠٥٥ ـ ١٠٦٠م) لخطورتها على دولته ودولة أوليائه العباسيين ، اذ لقيت هذه الثورة كل تأييد وعون من قبل الخلافة الفاطمية المناوئة للعباسيين زمن الخليفة المستنصر بالله ابى تميم معد (٤٢٧ ـ ٤٨٧هـ / ١٠٣٦ ـ ١٠٩٥م)([٢٠٨]) •

وعلى اية حال انقضت على هذا الخبر قرابة اربعة عقود ونصف استأنفت النصوص بعدها ايراد اخبار العيارين ، وهى اخبار تقع جلها فى خلافة المستظهر بالله ابى العباس احمد بن المقتدى بأمر الله (٤٨٧ ـ ٥١٢هـ / ١٠٩٤ ـ ١١١٨م) وسلطنة ركن الدولة بركيارق بن ملكشاه (٤٨٧ ـ ٤٩٨هـ / ١٠٩٤ ـ ١١٠٤م) آخر سلاطين السلاجقة العظام • والمعروف انه فى عهد الخليفة المذكور والمستبد به جاءت الحملة الصليبية الاولى الى بلاد الشام (٤٨٩ ـ ٥٠٢هـ / ١٠٩٦ ـ ١١٠٩م) واقتنص الصليبيون يقدمهم اميرهم بغدوين (كذا أسمه فى المصادر العربية ، ويقال بردوين أيضا وبردويل) البولونى
Baldwin of Boulogne (Eng.), Baudouin de Boulogne (fr.)

---

(٢٠٦) ابن تغرى بردى ، ج٥ ص ٦ •
(٢٠٧) حكايات الشطار والعيارين ، ص ٦٧ •
(٢٠٨) راجع : بنى مرداس ، ص ١٠٣ ـ ١١٦ •

الرهـا (أداسـا) Edessa (أورفا Ourfa أو أورفه Urfa الحالية) مـن عمل ديار مضر بأرض الجزيرة فى سنة ٤٩١هـ (١٠٩٨م) ، وحكمها الى سنة ٤٩٤هـ (١١٠٠م) ، ثم الحقها بمملكة بيت المقدس (القدس) التى ورثها عن أخيـه وحكمها باسـم بغـدوين الاول Baldwin or Baudouin I حتى وفاته فى سنة ٥١١هـ (١١١٨م) . ولعل تجرؤ العيارين آنذاك راجع فى بعضه الى تفكك السلاجقة واضطرابهم ابان تلك الحملة . ففى شعبان سنة ٤٩٣هـ (يونيه ١١٠٠م) زاد أمر العيـارين ببغداد الغربية ، وعظم خطرهم ، فأمر الخليفة صاحب الشرطة كمال الدولة يمن بتأديبهم « فأخذ جماعـة من اعيانهـم ، وطلـب الباقين فهربوا » ([٢٠٩]) . وفى رجب سنة ٤٩٥هـ (أبريل ـ مايو ١١٠٢م) قتل احد جنود نجم الدين ايلغازى بن ارتق بن اكسب او اكسك (٥١٦هـ / ١١٢٢م) شحنة بغـداد (صاحـب ماردين فيمـا بعـــد) ملاحـا من محلة الملاحين المعروفة بمربعة القطانين ،فأخذ أهل المحلة القاتل،ولكن ابن ايلغازى وهو حسام الدين تمرتاش (٥٤٧هـ / ١١٥٢م) أسرع فى نفر من الجند واستنقذه منهم . واثار هذا العمل العامة ، فرجموا ابن ايلغازى وأصحابه اثناء مرورهم بسوق الثلاثاء . ورغم أن حاجب باب المربعة قبض على الجناة الا أن ايلغازى لم يقنع بذلك ، واغار بجنده على المربعة وانتهبها . وهنا تدخل العيـارون ومالـوا على المغيرين فقتلوا اكثرهم . وركب الناجون السفن ليعبروا دجلة ، فانتقم منهـم الملاحون لقتيلهم بتركهم فى وسط النهر ، فأدركهم العيارون ومن خلفهم العامة فأثخنوا فيهم ، فكان الغريق منهـم أكثر من القتيـل . وتغيظ ايلغازى لنكبة رجاله ، وأراد نهب بغداد الغربية « فأرسل اليه الخليفة قاضى القضاة والكيا الهـراس المدرس بالنظاميـة فمنعـاه مـن ذلك

---

(٢٠٩) ابن الأثير ، م ١٠ ص ٣٠١ .

فامتنع » ([٢١٠]) . وغرست سياسة ايلغازى العنيفة تجاه العامة الحقد فى نفوسهم والغضب فى قلوبهم فكثرت الفتن بينهم فى سنة ٤٩٧هـ (١١٠٣/ ١١٠٤م) . وكالعادة انتشر العيارون خلال تلك الفتن لمزاولة حرفتهم فى السلب والنهب ([٢١١]) . واطمع ذلك الصليبيين بالرها فهاجم اميرهم بغدوين البورجى (بودوان ده بورج) Baudouin de Bourg (٤٩٤ - ٥١١هـ / ١١٠٠ - ١١١٨م) - وهو نائب بغدوين الاول ملك بيت المقدس على الرها - مدينة حران قصبة ديار مضر . غير ان السلاجقة لحسن الحظ انزلوا به هزيمة مخزية ([٢١٢]) .

وفى ثانى شهر ربيع الآخر سنة ٤٩٨هـ (٢٣ ديسمبر ١١٠٤م) توفى السلطان بركيارق . وبوفاته انتهى عصر وحدة السلاجقة وبدأ عصر انقسامهم . واختص بملك العراق أولاد واحفاد السلطان غياث الدين محمد طبر ملكشاه الثانى (٤٩٨ - ٥١١هـ / ١١٠٤ - ١١١٨م) . وفى هذا العصر اخذت اخبار العيارين تترى بقلة ولكن فى قوة . وربما كانت كثيرة واغفل تدوين معظمها بتوجيه من رجال الدولة لمؤرخى السلطة .

ففى سنة ٥١٢هـ (١١٨ / ١١١٩م) من خلافة المسترشد بالله ابى منصور الفضل بن المستظهر (٥١٢ - ٥٢٩هـ / ١١١٨ - ١١٣٥م) وسلطنة مغيث الدين ابى القاسم محمود بن ملكشاه الثانى (٥١١ - ٥٢٥هـ / ١١١٨ - ١١٣١م) وهو اول سلاطين سلاجقة العراق (٥١١ -

---

(٢١٠) المصدر السابق ، م١٠ ص ٣٣٧ - ٣٣٨ . واسم الكيا الهراس هو ابو الحسن على بن محمد بن على . وكان من اعيان فقهاء الشافعية ، واصله من طبرستان مات فى المحرم سنة ٥٠٤هـ (يولية ١١١٠م) . المصدر نفسه ، م ١٠ ص ٤٨٤ . وقاضى القضاة المذكور بالمتن هو ابو الحسن على بن على الدامغانى الحنفى . مات فى سنة ٥١٣ (١١١٩ / ١١٢٠م) وله اربع وستون سنة . الذهبى ج ٢ ص ٤١ .

(٢١١) ابن الأثير ، م ١٠ ص ٣٧٨ .

(٢١٢) الذهبى ، ج٢ ص ٢٧ .

٥٩٠هـ / ١١١٨ - ١١٩٤م) كثر العيارون ببغداد للغربية ، وكان على شحنكيتها وقتذاك لاول مرة قسيم الدولة اقسنقر البرسقى (٤٩٨ - ٥٠٢هـ / ١١٠٤ - ١١٠٨م) ، فانتدب لردعهم نائبه بها ، فعبر اليهم

فى خمسين من غلمانه الاتراك « فقاتلهم ، فانهزم منهم ، ثم عبر اليهم من الغد فى مائتى غلام ، فلم يظفر بهم ، ونهب العيارون يومئذ قطفتا » ([٢١٣]) ، وهى محلة كبيرة ذات اسواق بالجانب الغربى من بغداد مجاورة لمقبرة الدير التى فيها قبر معروف الكرخى الزاهد (٢٠٠هـ / ٨١٥م) ([٢١٤]) . وفى جمادى الأولى سنة ٥١٦هـ (يوليه ١١٢٢م) كان على راس العيارين رجل « من مفسدى التركمان ، يقال له يونس الحرامى » . وقد بلغت الجراة بيونس هذا أن قطع طريق جلال الدين ابى على بن صدقة وزير الخليفة (٥٢٢ / ١١٢٨م) واسره ونهب اصحابه وطالبه بفديه قدرها ألف دينار لاطلاقه . على ان الوزير تمكن من الافلات من اسر يونس بحيلة تمت عليه ([٢١٥]) .

وفى سنة ٥٣٠هـ (١١٣٥ / ١١٣٦م) من خلافة الراشد بالله أبى جعفر منصور بن المسترشد (٥٢٩ - ٥٣٠هـ / ١١٣٥ - ١١٣٦م) وسلطنة مسعود أخى السلطان محمود (٥٢٧ - ٥٤٧هـ / ١١٣٣ - ١١٥٢م) خرج أصحاب الأطراف عن طاعة السلطان ، وخطبوا لصاحب آذربيجان الملك داود ابن السلطان محمود ، واجتمعوا على حربه ببغداد فيما بين شهرى صفر وذى القعدة (نوفمبر ١١٣٥ - اغسطس ١١٣٦م) . وتحرج موقف السلطان بتازير الخليفة للمتمردين عليه . ومرد ذلك الى سببين : الأول الأخذ بثار أبيه المسترشد الذى جهز عليه مسعود - فيما قيل -

---

(٢١٣) ابن الاثير ، م١٠ ص ٥٤٥ .

(٢١٤) معجم البلدان ، م٤ / ج١ ص ١٣٧ مادة قطفتا .

(٢١٥) راجع : ابن الأثير ، م ١٠ ص ٦٠٢ - ٦٠٣ .

جماعة من الباطنية ، أى من الشيعة الاسماعلية النزارية المعروفين بالحشيشية ، فأجهزوا عليه ببلدة مراغة (افراز هروذ بالفارسية) من اعمال كنغرلان (السلطانية) باقليم آذربيجان فى سابع عشر ذى القعدة سنة ٥٢٩هـ (٢٨ اغسطس ١١٣٥م) ٠وكان المسترشد آنذاك فى أسر مسعود لعصيانه عليه واخفاقه ٠ والثانى تعنت مسعود له واثقال كاهله بطلب الاموال الكثيرة ٠ وما أن علم السلطان بذلك حتى هرول بجيوشه من قاعدته بهمذان من بلاد الجبل الى بغداد فى رمضان سنة ٥٣٠هـ (يونيه ١١٣٦م) « وحصرها وجميع العساكر فيها » (٢١٦) ٠ ولكى يضمن الملك داود زعيم المتمردين استتباب الامن داخل المدينة المحاصرة أثناء مقاومته لمسعود جعل فى شحنكيتها يرنقش بازدار صاحب قزوين المناصر له وعزل بك أبه المحمودى شحنة بغداد لمسعود (سلخ رمضان ٥٢٩ ــ ٤ صفر ٥٣٠هـ / ١٨ يوليه ــ ١٣ نوفمبر ١١٣٥م) (٢١٧) ٠

واغتنم العيارون التياث الأحوال ببغداد فثاروا بسائر محالها ، وأعملوا النهب فيها ، وفتكوا بكل من تصدى لهم ٠ وهاجموا رسولا لصاحب الموصل وحلب الملك المنصور أبى سعيد عماد الدين زنكى (الاول) ابن قسيم الدولة آقسنقر الحاجب (٥٢١ ــ ٥٤١ هـ/ ١١٢٧ ــ ١١٤٦م) وكان فى الخارجين على السلطان مسعود ، وأخذوا الكتب التى كانت معه وقتلوه٠وحين بلغ زنكى خبر رسوله وكان بالجانب الغربى حضر اليه

---

(٢١٦) ابن الأثير ، م ١١ ص ٢٤ ــ ٢٧ ، ٣٦ ــ ٣٧ ، ٤٠ ــ ٤١ ٠
راجع : الذهبى (ج٢ ص ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣) حيث داود ابن السلطان محمد (ملكشاه الثانى) ٠ فهو اذن أخوه وليس ابن أخيه ورواية ابن الأثير هى الصحيحة ٠

(٢١٧) ابن الأثير ، م ١١ ص ص ٢٦ ، ٣٦ ٠ توفى يرنقش فى سنة ٥٣٥هـ (١١٤٠ / ١١٤١م) ٠ المصدر السابق ، م١١ ص ٧٩ ٠
ووظيفة البازدار الملحقة باسمه تعنى المتولى للأبواز (جمع الباز) وهى صقور الصيد ٠ والباز لغة فى البازى ٠ وجمع البازى بزاة ٠
مختار الصحاح ، ص ٦٩ مادة بوز ٠

وفد من اغنياء اهل المحال الذين اضيروا بغارات العيارين واشاروا عليه بنهب بغداد الغربية « فليس فيها غير عيار ومفسد » . ولكنه نبذ تلك المشورة واقتصد فى انتقامه ، وانفذ سرية من لدنه لنهب حى الحريم الطاهرى لان العيارين كثروا فيه وسلبوا الناس اموالهم . ونجحت السرية فى مهمتها ورجعت منه ومن غيره من المحال بأموال جمة (٢١٨) . ورد العيارون على ذلك بمزيد من اعمال النهب والقتل علانية ، فقصد يرنقش الشحنة شارع دار الرقيق ، وتتبع العيارين . غير ان اهل الشارع تضافروا مع العيارين ضده ، فقاتلهم ، واحرق شارعهم « فاحترق فيه خلق كثير ، ونقل الناس اموالهم الى الحريم الطاهرى ، فدخله الشحنة، ونهب منه مالا كثيرا » (٢١٩) ، فركن العيارون الى الدعة .

واستمر حصار مسعود للملوك والأمراء المخالفين له ببغداد نيفا وخمسين يوما دون أن يظفر بهم ، فرفع الحصار ، وانسحب الى النهروان بتخوم بغداد الشرقية وفىنيته الرجوع الى همذان.ولكنه غير رايه اذ وصله طرنطاى المحمودىصاحب واسط ومعهالسفن ،فعبر فيها الى غربى دجلة بغية معاودة حصار بغداد . وعند ذاك اضطرب أمر المعارضين له ، واختلفت كلمتهم ، فتفرقوا الى اعمالهم فى ذى القعدة (اغسطس) . واتى مسعود الى بغداد فى منتصف الشهر المذكور « واستقر بها ، ومنع أصحابه من الأذى والنهب ... فسكن الناس واطمأنوا بعد الخوف الشديد » (٢٢٠) . وجمع مسعود القضاة والشهود للنظر فى خلع الراشد لنكثه يمين المعاضدة له فافتوا بخروجه من الخلافة بفتوى القاضى أبى الطاهر بن الكرخى ، فقطع خطبته ، وحكم بفسقه ، وخلعه ، وبايع عمه

---

(٢١٨) ابن الأثير ، م١١ ص ٤١ . راجع : حكايات الشطار والعيارين (ص ١٣٠ - ١٣١) حيث زنكى مع مسعود لا عليه ! ؟

(٢١٩) ابن الأثير ، م ١١ ص ٤٥ .

(٢٢٠) المصدر السابق ، م١١ ص ٤١ . وانظر : معجم البلدان ، م٤/ ج٢ ص ٨٤٦ - ٨٤٧ مادة نهروان .

المقتفى لأمر الله ابى عبد الله محمد بن المستظهر (٥٣٠ - ٥٥٥هـ / ١١٣٦ - ١١٦٠م) ([٢٢١]) • ولقى الراشد نفس مصير ابيه المسترشد فاغتاله نفر من الباطنية بمدينة اصبهان (اصفهان) فى ٢٥ رمضان سنة ٥٣٢هـ (١٥ يونيه ١١٢٨م) فدفن بظاهرها فىجامع بلدة جى ([٢٢٢])•

وفى سنة ٥٣٢هـ (١١٣٨م) من شحنكية البقش الكبير الملقب بالسلاحى صاحب اصبهان (٥٣١ - ٥٣٢هـ / ١١٣٦ - ١١٣٨م) جدد العيارون نشاطهم فى اغتصاب اموال الوجهاء والأثرياء • ففى تلك السنة خرج البقش من بغداد لقتال سلجوقشاه (سلجوق شاه) المنازع لأخيه السلطان مسعود على ملك العراق ، فانتهز العيارون غيبته ، وجاسوا خلال احياء بغداد ، «ونهبوا الاموال ، وقتلوا الرجال ، وزاد امرهم حتى كانوا يقصدون ارباب الأموال ظاهرا ، ويأخذون منهم مايريدون ، ويحملون الامتعة على رؤوس الحمالين ، فلما عاد الشحنة قتل منهم وصلب ، وغلت الأسعار ، وكثر الظلم منه ، واخذ (يجبى) المستورين بحجة (مقاومة) العيارين ، فجلا الناس عن بغداد الى الموصل وغيرها من البلاد » ([٢٢٣]) • بيد أن العيارين لم ترهبهم فعال البقش ولاتنكيله بهم وسرقته باسمهم • وكان على زعامتهم وقتذاك ابن بكران ورفيق له يعرف بابن البزاز • ويلوح من اسم الاخير انه من اسرة تتجر فى البز اى الثياب • واتهم السلطان البقش بالتراخى فى امر العيارين وترويع الرعية بالعسف والظلم ، وقبض عليه ، وحبسه بتكريت ، ثم امر بقتله ، فلما قدم للقتل « القى بنفسه فى دجلة فغرق » ، فأحتزت راسه وارسلت الى السلطان ، فاستعمل موضعه امير تكريت مجاهد الدين

---

(٢٢١) المصدر نفسه م ١٠ ص ٤١ - ٤٥ •

(٢٢٢)نفسه ، م ١١ ص ٦٢ ، الذهبى ، ج٢ ص ٥٣ •

(٢٢٣) ابن الأثير ، م ١١ ص ٦١ •

بهروز الغياثى (٥٣٢ - ٥٣٦هـ / ١١٣٨ - ١١٤٢م) ([٢٢٤]) .

على أن تعيين شحنة جديد لبغداد لم يكسر شوكة العيارين . ففى ذى الحجة من السنة نفسها (اغسطس ١١٣٨م) عظم امر ابن بكران العيار بالعراق ، وكثر اتباعه ، وصار يركب هو ومن معه فوق متون الخيل دون استتار . وقد ارهب ذلك الشريف ابا الكرم الوالى ببغداد فطلب من ابى القاسم ابن اخيه حامى باب الأزج أن يحتاط من ابن بكران وكان صديقا له ، ليأمن شره . واغتر ابن بكران وصاحبه ابن البزاز بقوتهما ، وارادا ان يضربا باسمهما سكة فى الانبار ، فأرسل الشحنة ووزير الخليفة شرف الدين على بن طراد الزينبى (٥٣٣ - ٥٣٤ / ١١٣٨ - ١١٣٩م) فى أوائل سنة ٥٣٣ (١١٣٨م) الى الوالى أبى الكرم فى قتل ابن بكران والا تم قتله عوضه ، فاستقدم الوالى ابن اخيه ، وعرفه ما جرى ، وامره بقتل ابن بكران عندما يأتيه للمنادمة ، ويلعب الشراب براسه ، ففعل واخذ بعده بيسير رفيقه ابن البزاز وصلبه « وقتل معه جماعة من الحرامية ، فسكن الناس واطمأنوا ، وهدأت الفتنة» ([٢٢٥]) ، غير انها أطلت ثانية فى سنة ٥٣٦هـ (١١٤٢م) حين عزل بهروز عن شحنكية بغداد ووليها قزل المحمودى أمير آخر الى جانب عمله فى بروجرد والبصرة . ولما جاء السلطان مسعود الى بغداد فى شتاء السنة وعاين من تبسط العيارين وفسادهم ما ساءه أعاد بهروز الى عمله ، فشدد على العيارين ، فتاب كثير منهم ، ولم ينتفع الناس بذلك لأن ابن الوزير وابن قاورت أخا زوجة السلطان « كانا يقاسمان

---

(٢٢٤) المصدر السابق ، م ١١ ص ٦٥ ، ابن خلدون ،ج٣ ص ٥١٣ .
راجع : ابن الأثير (م ١١ ص ١٠٦) حيث مات بهروز فى سنة ٥٤٠هـ (١١٤٥ / ١١٤٦م) .

(٢٢٥) ابن الأثير ، م١١ ص ٦٣ - ٦٤ . راجع ابن خلدون ، ج٣ ص ٥١٣ . وأنظر : ابن الأثير (م ١١ ص ٩٧) حيث توفى الوزير الزينبى فى رمضان سنة ٥٣٨هـ (مارس ١١٤٤م) .

العيارين فلم يقدر بهروز على منعهم » ([٣٢٦]) . واتفق فى سنة ٥٣٨هـ (١١٤٣ / ١١٤٤م) أن استدعى السلطان نائب شحنكية بغداد حينذاك وهو ايلدكز (٥٤٠هـ / ١١٤٥م) ووبخه على فساد العيارين ، فأخبره بشأن صهره وابن وزيره ، فاقسم ليصلبنه انلم يصلبهما ، فأخذ خاتمه على ذلك ، وقبض على صهره فصلبه ، وهرب ابن الوزير ، وقبض على أكثرالعيارين ، وفر الباقون ، وكفى الناس شرهم ([٣٢٧]) .

وفى السنة التالية (٥٣٩هـ/١١٤٤م) تمكن حاكم الموصل وحلب عماد الدين زنكى من استنقاذ الرهامن أميرها الصليبى جوسلين الثانى Joscelin II (٥٢٥–٥٤٥هـ/١١٣١–١١٥٠م) ([٣٢٨])،فانقطع الخطر الصليبى من العراق نهائيا.وبعد ذلك اختفت أخبار العيارين بقية عصر سلاجقة العراق.ولايعنى ذلك انهم زالوا او بادوا وكل ما فى الأمر انهم ضعفوا كفريق معارض للسلطة ، واهملت اخبارهم فاندرجت مع الأيام . يثبت ذلك الآتى :

١ – فى رمضان سنة ٥٤٠هـ (فبراير ١١٤٦م) انقلب عباس صاحب الرى (٥٤١هـ / ١١٤٧م) وبوزابة صاحب فارس وخوزستان (٥٤٢هـ / ١١٤٧م) على السلطان مسعود ومال اليهما حاجبه عبد الرحمن طغايرك (٥٣٦ – ٥٤١هـ / ١١٤١ – ١١٤٧م) ، ولم يقو

---

(٣٢٦) المصدر السابق ، م١١ ص ٨٩ . وكلمة آخر (بضم الخاء) ويقال آخور المضافة الى لفظ الامير تعنى المذود أو المعلف (الاصطبل) . وهى كلمة فارسية الأصل . ومن ثم فأمير آخر (آخور) هو أمير المذود أو المعلف الذى تأكل فيه الخيل وتبيت ، أو هو المتولى لأمور الدواب بصفة عامة ويكون فى الغالب مقدم الف رجل . راجع الدكتور على ابراهيم حسن : دراسات فى تاريخ المماليك البحرية وفى عصر الناصر محمد بوجه خاص ، ط٢ ، مكتبة النهضة القاهرة ١٩٤٨م ، ص ١٧٨ وهامش ٥ .

(٣٢٧) ابن الأثير ، م١١ ص ٩٥ ، ابن خلدون ، ج٣ ص ٥١٤ .

(٣٢٨) ابن الأثير ، م ١١ ص ٩٨ – ٩٩ ، الذهبى ، ج٢ ص ٥٧ .

مسعود على مواجهتهم وخضع لهم فحجروا عليه ([٢٢٩]) . وفى أواخر سنة ٥٤١ وأوائل سنة ٥٤٢هـ (١١٤٧م) تمكن مسعود منهم ففتك بهم ([٢٣٠]) . وعقب هذا الانقلاب الفاشل استراب مسعود بأمرائه ، فأهملهم ، وقرب مملوكه أرسلان بن بلنكرى المعروف بخاص بك (٥٤٨هـ / ١١٥٣م) . فخشى جماعة من أكابر الأمراء على رأسهم البقش كون خر من الجبل (٥٤٩هـ/١١٥٤م) وطرنطاى المحمودى صاحب واسط أن يفعل بهم مسعود مثل فعله بحاجريه ، ففصلوا عنه فى سنة ٥٤٣هـ (١١٤٨م) وساروا نحو العراق للاستيلاء عليه والخطبة به للملك محمد شاه ابن السلطان محمود . فلما بلغوا حلوان خاف الناس ببغداد وسائر أعمال العراق ، وعمدوا الى تخزين السلع فغلت الأسعار. وانبرى الخليفة المقتفى لأمر الله للدفاع عن بغداد وبادر باصلاح سورها وترميمه ، وارسل قطب الدين أبا منصور المظفر بن أردشير العبادى الواعظ (ت ٥٤٦ أو ٥٤٧هـ / ١١٥١ أو ١١٥٢م) الى الأمراء الثائرين ليثنيهم عن قصد بغداد فلم يستمعوا له ، ووصلوا الى بغداد فى ربيع الآخر (اغسطس) والملك شاه معهم ونزلوا بالجانب الشرقى . وآثر مسعود بن بلال شحنة بغداد (٥٤١ - ٥٤٧هـ / ١١٤٦ - ١١٥٢م) السلامة - يدفعه الخوف من الخليفة - واجفل الى امارته فى تكريت ، فعظم الأمر على البغاددة . وازداد وجلهم بانضمام على الثانى بن دبيس الثانى بن صدقه الأول الأسدى المزيدى صاحب الحلة (٥٤٠ - ٥٤٥هـ / ١١٤٥ - ١١٥٠) الى المغيرين ونزوله بالجانب الغربى لعدائه للخليفة . وبذلك حوصرت بغداد لثانى مرة أيام مسعود من الجانبين . وكان هو ذاته صاحب الحصار الأول . وجند الخليفة اجنادا من العامة يحتمى بهم لتقاعس السلطان عن نصرته . ولم يكن هؤلاء فى سلوكهم

---

(٢٢٩) ابن الأثير ، م١١ ص ١٠٤ .

(٢٣٠) المصدر السابق ، م١١ ص ١١٦ - ١١٧ ، ١١٩ .

الا العيارين أنفسهم اذ تغفل النصوص نعتهم بالعيارة أو الشطـارة أو الصعلكة . ورفع القتال بين قوات الامراء السلاجقة وحلفائهم الاسديين وبين جيش الخلافة الشعبى . وبعد عدة جولات انهزم العيارون ومن معهم من العامة « وأسر منهم خلق كثير ، فقتل البعض ، وشهر البعض، ودفن الناس من عرفوا ، ومن لم يعرف ترك طريحا بالصحراء ، وتفرق العسكر (السلجوقى) فى المحال الغربية ، فأخذوا من أهلها الامـوال الكثيرة ، ونهبوا بلد دجيل (من أعمال بغداد) وغيره ، وأخذوا النساء والولدان » . ومع ذلك فضل الأمراء المشاغبون الاعتذار للخليفة ومغادرة بغداد قبل أن يداهمهم السلطان بجنوده . ولما فعلوا ذلك خف مسعود ابن بلال الشحنة اليها ([٢٣١]) . وفى رجب سنة ٥٤٤هـ (نوفمبر ١١٤٩م) عاد العصاة على مسعود الى العراق يعضدهم ابن دبيس ومعهم هـذه المرة ملكشاه ابن السلطان محمود وراسلوا الخليفة فى الخطبة لملكشاه ، فلم يلتفت اليهم ، وجمع العساكر (من العامة يقدمهم العيارون) ، وحصن بغداد ، واستغاث بالسطان مسعود لانقاذه فوعده بذلك . وحين علم المتمردون بنبأ هذا التراسل تفرقوا وفارقوا العراق . ووصل السلطان مسعود الى بغداد منتصف شوال (فبراير ١١٥٠م) ([٢٣٢]) .

٢ - وفى رجب سنة ٥٤٧هـ (أكتوبر ١١٥٢م) مات السلطـان مسعود بهمذان « ومات معه سعادة البيت السلجوقى فلم يقم له بعده راية يعتد بها ولايلتفت اليها»([٢٣٣]).ولما انتقل هذا الخبر الى بغداد هرب مسعود بن بلال الشحنة الى تكريت خوفامن الخليفة الذى«استبد بالعراق

---

(٢٣١) المصدر نفسه ، م١١ ص ١٣٢ - ١٣٣ . راجع : الذهبى ، ج٢ ص ٥٩ حيث نسب الحصار لمسعود .

(٢٣٢) ابن الأثير ، م ١١ ص ١٤٣ .

(٢٣٣) المصدر السابق ، م١١ ص ١٦٠ .

منفردا عن سلطان يكون معه »،فكان« اول خليفة تمكن من الخلافة وحكم على عسكره واصحابه من حين تحكم المماليك على الخلفاء من عهد المنتصر الى الآن » ([٢٣٤]) . وتأكيدا لاستبداده « جمع ... الرجال والعساكر واكثر التجنيد » ([٢٣٥]) فى الراجح من بين صفوف العيارين والعامة([٢٣٦]) ، ورفض فى اصرار الاعتراف بسلطنة ولدى مسعود وهما محمد ملكشاه الثالث (٥٤٧ ــ ٥٤٨ هـ / ١١٥٢ ــ ١١٥٣م) وابو شجاع محمد شاه (٥٤٨ ــ ٥٥٤هـ / ١١٥٣ ــ ١١٥٩م) . وقد استكان الأول لتحكم الخليفة لضعفه وقصر عهده (سبعة اشهر) ([٢٣٧]) فى حين عارض الثانى هذا التحكم وقام بحصار بغداد قرابة أربعة اشهر (ذى الحجة ٥٥١ ــ ٢٤ ربيع اول ٥٥٢هـ / يناير ــ ٧ مايو ١١٥٧م) وساعده فى حصاره زين الدين ابو الحسن على كوجك بن بكتكين صاحب اربل (٥٦٣ هـ / ١١٦٨ م) نائب قطب الدين مودود بن زنكى بن آقسنقر صاحب الموصل (٥٤٤ ــ ٥٦٥هـ / ١١٤٩ ــ ١١٧٠م) . وهذه هى المرة الثالثة التى تخاصر فيها بغداد من الجانبيين فى العصر السلجوقى . وكما هى العادة تولى العامة مقاومة قوات الحصار . وكانت مقاومتهم بأيدى عياريهم وان لم تشر النصوص صراحة الى ذلك . اما القيادة العامة لقوات الخلافة

---

(٢٣٤) راجع : المصدر نفسه ، م١١ ص ٢٥٦ حوادث ثانى ربيع الاول سنة ٥٥٥هـ (١٣ مارس ١١٦٠م) . وانظر : المصدر نفسه ، م ١١ ص ١٦١ ــ ١٦٢ حوادث رجب سنة ٥٤٧هـ (أكتوبر ١١٥٢م) .

(٢٣٥) نفسه ، م ١١ ص ١٦١ .

(٢٣٦) المرقوم بالمتن هو مفهوم النص قياسا على ما سلف .

(٢٣٧) راجع : ابن الاثير ، م١١ ص ١٦٢ حيث قبض عليه خاص بك (خاصبك) بن بلنكرى مملوك ابيه وخطب لأخيه محمد شاه فى أوائل صفر سنة ٥٤٨هـ (أبريل ١١٥٣م) . غير أن محمد شاه قتل صاحب الفضل فى سلطنته . أنظر : المصدر السابق ، م ١١ ص ٢٦٣ حيث توفى ملكشاه الثالث بأصفهان مسموما فى سنة ٥٥٥هـ (١١٦٠م) .

الشعبية والرسمية فكانت للوزير عون الدين أبى المظفر يحى بن محمد ابن هبيرة الشيبانى الحنبلى (٥٤٤ ـ ٥٦٠هـ / ١١٤٩ ـ ١١٦٥م) . وقد أهتم الخليفة ووزيره بأمر الحصار ، فتم جمع جميع السفن وقطع الجسر الذى يربط بغداد الغربية بالشرقية « ونودى منتصف المحرم سنة ٥٥٢هـ (٢٧ فبراير ١١٥٧م) ، أن لا يقيم أحد بالجانب الغربى ، فأجفل الناس وأهل السواد ، ونقلت الأموال الى حريم دار الخلافة» . وفى عقب ذلك خربت بعض المواضع فى الجانب الغربى ونهبت حتى لا يستفيد منها الغزاه ([٢٣٨]) . ولما اتصلت قوات زين الدين بقوات محمد شاه عند بليدة أوانا من نواحى دجيل بغداد الغربية من جهة تكريت « فرق الخليفة السلاح على الجند والعامة ، ونصب المجانيق والعرادات» على الأسوار ، فتشجع عامة البغداددة . فلما كان فى العشرين من المحرم (٤ مارس) خرجوا لقتال عسكر محمد شاه وظهيره زين الدين « ورموهم بالنفط وغيره » . وفى ثالث صفر (١٧ مارس) « عاودوا القتال ... وعبر كثير من أهل بغداد سباحة وفى السفن ، فقتلوا »([٢٣٩]) . وكان معظمهم ـ كما يقول ابن الجوزى (٥٩٧هـ / ١٢٠١م) البغدادى المعاصر للحصار ـ من الصبيان المسلحين بالسيوف والمقاليع والنشاب ([٢٤٠]) . ولفظ الصبيان هنا يعنى الفتيان من ذوى الشطارة والعيارة . وعلى الرغم من هذه المقاومة الشعبية الباسلة نجحت قوات السلطان فى عمل جسر على دجلة وعبور معظمها عليه الى الجانب الشرقى ، وبقى زين

---

(٢٣٨) المصدر نفسه ، م ١١ ص ٢١٢ ـ ٢١٣ . راجع ابن الجوزى : المنتظم ، ج١٠ ، الهند ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م ، ص ١٦٨ .

(٢٣٩) ابن الاثير ، م١١ ص ٢١٣ . وراجع : معجم البلدان ، م١/ج١ ص ٣٩٥ مادة أوانا .

(٢٤٠) راجع المنتظم (ج ١٠ ص ١٦٩) حيث عدد صبيان بغداد نحو خمسين .

الدين فى الجانب الغربى ، وصار القتال فى الجانبين (٢٤١) . واذا ذاك « أمر الخليفة فنودى : كل من جرح فله خمسة دنانير ، فكان كلما جرح انسان يحضر عند الوزير فيعطيه خمسة دنانير ، فاتفق أن بعض العامة جرح جرحا ليس بكبير ، فحضر يطلب الدنانير فقال له الوزير : ليس هذا الجرح بشىء ، فعاود القتال ، فضرب ، فانشق جوفه وخرج شىء من شحمه ، فحمل الى الوزير فقال : يامولانا الوزير أيرضيك هذا !؟ فضحك منه ، وأضعف له ، ورتب له من يعالج جراحته الى أن برىء » (٢٤٢) . ويعلق الدكتور النجار على هذه الحكاية بقوله « فهذه الفاقة وهذه الشجاعة والجرأة والظرافة ، انما هى من أخلاق العيارين وفعالهم الظريفة » (٢٤٣) . والنص التالى الذى أثبته ابن الجوزى يؤكد ذلك بما لايدع مجالا للشك حيث يقول : « كان صبيان بغداد يعبرون الى أصحاب السلطان محمد شاه بالمقاليع ، وزراقات النار ، فيردون العسكر الكثير ، ويتلقون النشاب بمآزر صوف ، وكان القتال تحت قمرية وقصر عيسى . وضرب الصبيان يوما أميرا منهم بقارورة نفط ، فرمت به الفرس ، فقتلوه ، فقعد القوم (من عسكر السلطان) للعزاء » (٢٤٤) . وفى ١٦ صفر (٣٠ مارس) أمر الخليفة بحمل السلاح « ولبس العوام والتجار والرؤساء ثياب القتال ، وكان المحتسب يجوز كل يوم والسلاح

---

(٢٤١) ابن الأثير ، م ١١ ص ٢١٣ - ٢١٤ .

(٢٤٢) المصدر السابق ، م ١١ ص ٢١٤ . راجع : حكايات الشطار والعيارين ، ص ١٢٩ - ١٣٠ مع ملاحظة تصحيف التاريخ الى سنة ٥٢٢هـ (١١٢٨م) .

(٢٤٣) المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

(٢٤٤) المنتظم ، ج ١٠ ص ١٦٩ . وراجع ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، م٣ / ج١ ، تحقيق حمدى أنور السيد محمد ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب بجامعة الزقازيق ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص ١٥٩ .

بين يديه » ([٢٤٥]) . غير أن التجار ضجروا من طول مدة الحصار ، وخشوا على انفسهم وبضائعهم اذا اقتحمها جند السلطان ، فاستغاثوا بالخليفة ، وسألوه الاذن فى الخروج ، فخوفهم الوزير ابن هبيرة من عاقبة ذلك وطالبهم بالصبر ، ولكنهم واصلوا الاستغاثة بالخليفة ، « فاذن لهم فى الخروج ، فخرجوا ببضائعهم ، وخزنوها فى الدار السلطانية لخوفهم من سرقتها ، فغالبتهم القوافل فيها (أى زاحمتهم فى التخزين بها) فنهبوا ، وسلبوا ، ونكبوا ، واصبحوا فقراء يتكففون الناس » ([٢٤٦]) . وحدث ان اغار بنو اسد أصحاب الحلة المزيدية المؤيدون للسلطان على بغداد ، فشدت عليهم العامة مع غلمان الخليفة ، وردوهم عنها ، وأسروا أميرهم حسن المطوف واخاه ماضى وعدة وافرة من معروفى بنى اسد ، وتعرض من وقع من الأسديين فى الأسر للصلب ([٢٤٧]) . ولم تزل الحرب قائمة فى أكثر الأيام ، واشتد الحصار على اهل بغداد لتعذر الأقوات وانقطاع الميرة ، حتى كان الضعفاء منهم يعبرون الى عسكر السلطان « فيجلبون علفا وحطبا فيبيعونه ، ويعيشون منه ، وربما حشوا فيه اللحم والتفاح والخضرة ، ففطنوا بهم فمنعوهم » ([٢٤٨]) . وبينما الأمر على ذلك اذ وصل الخبر الى السلطان محمد شاه بأن دار ملكه همذان اخذها اخوه ملكشاه (٥٥٥ هـ / ١١٦٠م) بمساعدة ابن عمه أرسلان شاه بن طغرل الثانى (٥٧٣هـ/١١٧٧م) والاتابك ايلدكز صاحب آذربيجان وبلاد الجبل (٥٣١ ـ ٥٦٨ هـ / ١١٣٦ ـ ١١٧٢م) ، وهو زوج أم ارسلان ، فترحل فى حال محنته عن بغداد نحو همذان فى الرابع والعشرين من ربيع الاول (٧ مايو) ([٢٤٩]) . وحاول ايلدكز اتابك

---

(٢٤٥) المنتظم ، ج ١٠ ص ١٦٩ .

(٢٤٦) ابن الفرات ، م٣ / ج١ ص ١٦٠ .

(٢٤٧) المصدر السابق ، م ٣/ ج ١ ص ١٦١ .

(٢٤٨) المصدر نفسه ، م٣ / ج١ ص ١٦٤ .

(٢٤٩) ابن الأثير ، م١١ ص ٢١٤ ـ ٢١٥ .

السلطان أرسلان شاه بن طغرل الثانى (٥٥٦ - ٥٧٣هـ/١١٦١ - ١١٧٧م) اعادة الخطبة للسلاجقة على منابر بغداد بعد ان خطب لسلطانه الذى هو ابن زوجته بهمذان فى سنة ٥٥٦هـ (١١٦١م) ، وراسل الخليفة المستنجد بالله أبا المظفر يوسف بن المقتفى (٥٥٥ - ٥٦٦ هـ / ١١٦٠ - ١١٧٠م) فى هذا المعنى ، فاستنكر طلبه ، واهان رسوله ، واعاده اليه على اقبح حال ([٢٥٠]) .

ويرى ابن الجوزى ويؤيده فى ذلك ابن الفرات ان رحيل السلطان محمد شاه عن بغداد كان فى أواخر شهر ربيع الآخر سنة ٥٥٢هـ(يونيه ١١٥٧م) وليس ربيع الاول (مايو)([٢٥١]) .وينقل الثانى عن الاول ثلاث حكايات نسب الاولى الى «الضعفاء» وهم الصعاليك ، والثانية الى « العيارين » و « الشطار » ويكنيهم « بالرجالة » (بكسر الراء وتشديد الجيم : نطق عامى لكلمة الرجال) وزعيمهم ابى الحسين العيار ،والثالثة الى « الصبيان » ، وهم الفتيان الشطار ، فضلا عن العظامية والقرع . والعظامية - ونسبتهم الى العظام (جمع عظم) - هم الذين تبرز عظام أجسامهم لما يعانونه من سوء تغذية . أما القرع او القرعان (بضم القاف وسكون الراء) فهم الذين ذهب شعر رؤوسهم من آفة .والمراد بهؤلاء وأولئك انهم من الفقراء الصعاليك .

وتقول الحكاية الاولى ، انه فى يوم السبت ٧ ربيع الآخر (٢٠ مايو) « عبر الضعفاء الذين كانوا يجلبون الحطب والعلف على عادتهم ، فحصرهم الامير زين الدين على كوجك ، وجمع منهم جماعة ، وامر بقطع آذانهم ، وخرم أنوفهم ، ففعل لهم ذلك ، فعادوا ودماؤهم تسيل،

---

(٢٥٠) المصدر السابق ، م١١ ص ٢٦٨ .

(٢٥١) المنتظم ، ج١٠ ص ١٧٣ ، تاريخ الدول والملوك ، م٣ / ج ١ ص ١٦٥ .

وجعلوا يستغيثون تحت التاج الخليفتى ، فتقدم الخليفة بمداواتهم ، وقسم فيهم مالا » ([٢٥٢]) .

أما الحكاية الثانية ، فتقول انه ليلة السبت ١١ ربيع الآخر (٢٤ مايو) « خرج رجل من العيارين يقال له ابو الحسين العيار ، فأخذ معه جماعة من الرجالة (أى من رجالة العيارين) والشطار ، ونزل من السور ، وكسر طوالع العسكر ، ومنهم قوم نيام ، وانتهبهم . ووقعت الصيحة ، فانهزموا ، وعاد الرجالة من البلد سالمين » ([٢٥٣]) .

أما الحكاية الثالثة ، فتقول - بعد رحيل السلطان محمد شاه عن بغداد ونهب دار السلطنة على يد الرجالة([٢٥٤]) - :«وخرج الناس يلعبون فى نهر عيسى وغيره بأنواع اللعب والمضحكات فرحا بالسلامة . وكان العظامية والقرع والصبيان ، الذين كانوا يقاتلون طوال الأيام ، قد اتخذوا زرديات من شعر الغنم ، وجعلوا سلاحهم من القصب الفارسى ، واخرجوا طبلا وبوقا خشبيا ، وجعلوا جماعة تحت آباطهم يلعبون ، ويحكون ما كان كل سبت . وخرج الناس يضحكون عليهم » ([٢٥٥]) .

---

(٢٥٢) المصدر السابق ، م٣ / ج١ ص ١٦٥ . والمقصود بالتاج الخليفتى هنا قصر التاج من قصور الخلافة المشهورة على شاطىء دجلة . وكان أول من وضع أساسه وسماه بهذه التسمية الخليفة المعتضد بالله أبو العباس أحمد (٢٧٩ - ٢٨٩ هـ / ٨٩٢ - ٩٠٢م) ولم يتم فى أيامه فأتمه ابنه المكتفى بالله أبو محمد على (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ/ ٨٩٢ - ٩٠٨م) ، ثم زاد فيه ووسعه ابنه الآخر المقتدر بالله أبو الفضل جعفر (٢٩٥ - ٣٢٠هـ / ٩٠٨ - ٩٣٢م) . وقد اتخذ المعتضد وبنوه من بعده هذا القصر دارا لخلافتهم ومقرا لحكمهم حتى منتهى أيامهم . انظر عنه : تاريخ بغداد ، م١٠ ص ٩٩ ، معجم البلدان ، م١/ج٢ ص ٨٠٦ مادة التاج .

(٢٥٣) تاريخ الدول والملوك ، م٣ / ج١ ص ١٦٦ .

(٢٥٤) المصدر السابق ، م٣ / ج١ ص ١٦٧ .

(٢٥٥) المصدر نفسه ، م٣ / ج١ ص ١٦٧ - ١٦٨ .

وهكذا افصحت النصوص أخيرا عن دور العيارين والشطار ابان الحصار الثالث لبغداد فى العصر السلجوقى .

٣ - وفى ذى القعدة سنة ٥٧٠هـ (مايو ١١٧٥م) من خلافة المستضىء بنور الله ابى محمد الحسن بن المستنجد (٥٦٦ - ٥٧٥هـ / ١١٧٠ - ١١٨٠م)وسلطنة ارسلان شاه اشتد تحكم امير العسكر قطب الدين قايماز المقتفوى (٥٧٠هـ / ١١٧٥م) بايعاز من علاء الدين تنامش (٥٧٠هـ / ١١٧٥م) اخى زوجته وهو من اكابر امراء بغداد . فلما كان خامس ذى القعدة (٢٧ مايو) استدعى قايماز ظهير الدين با بكر نصر (ويقال منصور) بن ابى القاسم نصر بن منصور بن الحسين العطار الحرانى صاحب المخزن (٥٦٦ - ٥٧٣هـ / ١١٧٠ - ١١٧٨م) ، وكان من عمال الخليفة ، لتكشيفه ، اى للكشف عما لديه من الاموال التى استودعه الخليفة اياها ، وهو يبطن ايذائه ، فهرب منه الخازن وشرع فى تنفيذ ذلك فارتاع الخليفة،واعتلى سطح قصره واستغاث بالعامة واباح لهم اموال قايماز ، فهاجموا دار المتسلط ففر منها فاقتحمها العامة ونهبوها . وروى ان احد ضعفاء الصعاليك اخذ عدة اكياس مملوءة بالدنانير ودسها فى قدر به طبيخ وحمله على راسه حتى لا يسلبه اياها اقوياء الصعاليك الذين وقفوا بالباب وجعلوا يأخذون الأسلاب من العامة غصبا . وبهذه الحيلة الظريفة خرج الصعلوك الضعيف بالقدر بين سخرية الناهبين وضحكهم عليه ، ظنا منهم انه ابله لم يحمل الا طعاما فقط ، وهو يقول فى مسكنة لاتخلو من مكر : «انا اريد شيئا أطعمه عيالى اليوم » . وبذا نجا بما نهب واستغنى بعد ذلك ([٢٥٦]) .

---

(٢٥٦) ابن الاثير ، م١١ ص ٤٢٤ - ٤٢٥ . مات قايماز وهو فى طريقه الى الموصل فى ذى الحجة سنة ٥٧٠ هـ (يونيه ١١٧٥م) فحمل الى بغداد ، ودفن بظاهر باب العمادى . ولحق به بعد قليل تنامش حيث مات فى بغداد معدما « بغير اقطاع » . المصدر السابق م ١١ ص ٤٢٥ - ٤٢٦ . .

واذا كان هذا العيار الصعلوك قد فاز بهذه الغنيمة واستغنى فان اترابا له لصوصا كان مصيرهم الصلب على الاعواد برحبة بغداد فى سنة ٥٧٢هـ (١١٧٧م) ([٢٥٧]) .

٤ - وفى ذى القعدة سنة ٥٧٣هـ (ابريل ١١٧٨م) وزر ظهير الدين بن العطار للخليفة المستضىء . فلما مات المستضىء فى ثانى ذى القعدة سنة ٥٧٥هـ (٣٠ مارس ١١٨٠م) وخلفه ولده الناصر لدين الله ابو العباس أحمد (٥٧٥ - ٦٢٢هـ / ١١٨٠ - ١٢٢٥م) استوزر استاذ الدار مجد الدين ابا الفضل بن الصاحب (٥٨٣هـ / ١١٨٧م) ، مكان ابن العطار فصار له الحكم فى الدولة . وفى سابع ذى القعدة (٤ ابريل) قبض ابن الصاحب على ابن العطار وكشفه لاستخراج ودائعه وامواله فمات من العذاب فى ليلة الأربعاء ثامن عشر من ذى القعدة (١٥ ابريل). وحمل سرا لدفنه « فغمز به (اى طعن فيه) بعض الناس ، فثار به العامة (وهم بالقطع من العيارين) ، فالقوه عن راس الحمال ، وكشفوا سوءته ، وشدوا فى ذكره حبلا وسحبوه فى البلد ، وكانوا يضعون بيده مغرفة يعنى انها قلم وقد غمسوها فى العذرة ويقولون : وقع لنا يا مولانا الى غير هذا من الأفعال الشنيعة ، ثم خلص من ايديهم ودفن . هذا فعلهم به مع حسن سيرته فيهم وكفه عن اموالهم واعراضهم » ([٢٥٨]) . والعذرة : القلفة ، وهى جلدة الذكر التى يقلفها الخاتن . وهى أيضا : البظر ، والختان ، والبكارة . ومن غير المعقول ان يكون ابن العطار اقلفا لم يختن . والظاهر ان الذين غمزوا به - وهم فى الغالب من

---

(٢٥٧) المصدر نفسه ، م١١ ص ٤٤٨ .

(٢٥٨) نفسه ، م١١ ص ٤٥٩ - ٤٦٠ . راجع (ص ٥٦٢) حوادث ربيع الأول سنة ٥٨٣هـ (مايو ١١٨٧م) حيث قتل ابن الصاحب بأمر الخليفة لتحكمه وصودرت أمواله . واستاذ الدار هو كبير موظفى القصر . ويتركب اسمه من كلمتين فارسيتين : الاولى استاذ بمعنى السيد او الكبير ، والثانية دار بمعنى ممسك . وقد يكتب هذا الاسم «استادار» . راجع : دراسات فى تاريخ المماليك البحرية، ص ١٧٠ ، ١٧٢ .

خصومة - ألحوا الى انه اقلف طعنا فى دينه واسلامه ، فهيجوا عليه العامة بغمزهم ، ففعلوا بحثمانه مافعلوا ليتحققوا من قولهم ٠

ومجمل القول فى عصر نفوذ السلاجقة أن العيارين واصلوا سياستهم فى نهب الأغنياء ، وحاربتهم الدولة اكثر من مرة دون أن تنال منهم ، واخذ بعض رجال الشحنكية يسرقون باسمهم ، بل ان نفرا من كبار رجال الدولة واعيانها كانوا على صلة بهم ، ولهم نصيب فيما ينهبون الى أن قطعت الدولة دابرهم وتاب معظمهم أيام السلطان مسعود ٠ ولما فكرت الخلافة فى الاستقلال عن سلطان السلاجقة لجأت اليهم فوقفوا الى جانبها وحاربوا معها ٠ وعندما أنجحوا مسعاها استخدمتهم كمخلب قط فى التمثيل بالمغضوب عليهم من عمالها ٠

٥ - فى عصر نفوذ الأتابكة :

بزغ هذا العصر المعروف بعصر الشاهات أو الأتابك أو الأتابكة بمصرع طغرل الثالث بن أرسلان شاه (٥٧٣-٥٩٠هـ/١١٧٧ - ١١٩٤م) فى ٢٤ ربيع الاول سنة ٥٩٠هـ (١٩ مارس ١١٩٤م) فى حرب خوارزمشاه علاء الدين تكش الاعور بن ايل أرسلان بن أتسز بن محمد بن توشتكين (ويقال أنو شتكين) بن ايلتكين الخوارزمى (٥٦٨ - ٥٩٦هـ / ١١٧٢ - ١٢٠٠م) خامس شاهات الدولة الاتابكية الخوارزمية (٤٩٠ - ٦٢٨هـ / ١٠٩٧ - ١٣٣١ م) التى انبثقت عن الدولة السلجوقية ٠ وكان ذلك بتحريض من الخليفة الناصر لدين الله (٢٥٩) ٠

وفى عهد الناصر لدين الله هذا أصبحت للعيارين هيئات خاصة وتقاليد خاصة بعضها مستمد من تقاليد الفتوة الحقة ، كارتدائهم لباس الفتوة الذى كان يميزهم عن غيرهم والذى كان ينحصر فى جملة قطع : أهمها السروال والحزام ، وكذلك شرب كأس الفتوة ، وهو ماء ممزوج

---

(٢٥٩) راجع : الذهبى ، ج٢ ص ١٠٢ ٠

بملح كانوا يشربونه فى اجتماعاتهم (٢٦٠) . «والحكمة فى شرب الماء والملح أن الماء عذب والملوحة ضد العذوبة ، فكانت فيه اشارة الى أن الفتى ينبغى أن يصبر على البأساء والضراء وأن يحمد الله على البلاء ويشكره على النعماء » (٢٦١) . والى جانب ذلك كانت لهم تقاليد أخرى دخيلة على الفتوة كمخالفتهم أحكام الشريعة ، وعصيانهم الحكومات والتنكيل بأعوانها من رجال الأمن والادارة . وذهب العيارون بعيدا فكونوا من أنفسهم فرقة خاصة تعرف باسم (عوانية) مهمتها المحافظة على حياة المستضعفين والفتيان . وقد رفض العيارون الاعتراف بالمحاكم الشرعية القائمة وقتذاك وأوجدوا لهم محاكم خاصة تعرف باسم (مصالحة) (٢٦٢) .

وبعد تقليم أظافرهم فى خلافة المقتفى وسلطنة مسعود عادوا الى الظهور ثانية فى سنة ٥٩٧هـ (١٢٠٠ م) من خلافة الناصر لدين الله وأتابكية علاء الدين (قطب الدين سابقا) محمد خوارز مشاه (٥٩٦ ـ ٦١٧ هـ / ١٢٠٠ ـ ١٢٢٠م) ولكن فى صورة هيئات اجتماعية للفتوة ، وانشأوا لهم خمسة بيوت على غرار بيوت الدراويش هى : الرهاصية والحسينية والخليلية والمولدية والنبوية (٢٦٣) .

وظلت الفتوة قسمة بين فتيان عاهدوا الله وأنفسهم على مراعاة التقاليد العربية والتعاليم الاسلامية الحقيقية وآخرين كالعيارين ساروا وراء البدع التى ابتدعوها حتى ولى الخليفة الناصر لدين الله فوجد

---

(٢٦٠) مقدمة الدكتور فؤاد حسنين على كتاب الفتوة لابن العمار ، ص ١٠ .

(٢٦١) ابن العمار : الفتوة ، ص ٧٣ .

(٢٦٢) مقدمة كتاب الفتوة ، ص ١٠ . وراجع : ابن العمار ، ص ٩١ .

(٢٦٣) مقدمة كتاب الفتوة ، ص ١١ . وراجع : ابن العمار ، ص ٢٧ .

أن الفتوة جمعت بين الدين والدنيا ، فشرع فى تنظيمها ، وتنقيتها من العيارة والشطارة ، والاستفادة منها فى مناهضة القوى الخارجية المحدقة بدولته من تسلط الخوارزمية وتجبر التتار (المغول) . لذلك لم يمض على توليه الخلافة زمن طويل حتى رغب الى الشيخ الزاهد العابد عبد الجبار بن صالح البغدادى وهو من بيت الرهاصية أن يلبسه سراويل الفتوة ويصيره فتى ، ففعل وأصبح الخليفة زعيما للفتيان . ومن ثم ارسل الى الأقطار الاسلامية يدعو الأمراء والولاة الى الدخول فى الفتوة، وارتداء سراويل الفتيان ، فأقبل عليها كثير من أمراء البلاد وسراتها وشربوا كأس الفتوة تكريما للخليفة . وبذلك نجح الناصر لدين الله فى توطيد الخلافة وتدعيم اركانها بالتفاف معظم الأمراء والولاة حولة كزعيم للفتيان ، أو بتعبير آخر كزعيم لهم (٢٦٤) . وانتهز الخليفة الفرصة واصدر فى سنة ٦٠٤هـ (١٢٠٧م) منشورا بابطال جميع الفتوة القديمة ، وشفعه بمنشور آخر بتقرير قواعد فتوته وطقوسها ونظمها ومراحلها . وعلى ذلك حل سائر بيوت الفتيان الآخرين (٢٦٥) . كما انتقلت الفتوة من العامة الى الخاصة ، ومن الجهلاء الى العلماء . وذابت الخلافات بين أهل السنة وأهل الشيعة بعد أن جمعت بينهم الفتوة وكشفت لهم عن مكانة على الرفيعة فى الاسلام حيث « لا فتى الا على ولا سيف الا ذو الفقار » (٢٦٦) .

وكانت الفتوة فى عهد الخليفة الناصر لدين الله أيضا الى جانب

---

(٢٦٤) مقدمة كتاب الفتوة ، ص ١١ .

(٢٦٥) حكايات الشطار والعيارين ، ص ١٥٥ ـ ١٥٦ ، مقدمة كتاب الفتوة ، ص ١١ .

(٢٦٦) مقدمة كتاب الفتوة ، ص ١١ ـ ١٢ . وذو الفقار سيف غنمه الرسول ﷺ يوم بدر (٢هـ / ٦٢٤م) . راجع البلاذرى : انساب الأشراف ، ذخائر العرب (٢٧) ، ج١ ، تحقيق الدكتور محمد حميد الله ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٩ م ، ص ٥٢١ .

انها عقد اجتماعى بين الفتيان وسيلة من وسائل رياضة النفس وتقويم الجسم . لذلك اشتهر الفتيان برمى البندق والطيور المناسيب . كما كان الخليفة نفسه فى طليعة المولعين والسباقين الى هذه الرياضة (٢٦٧) .

وفى كل هذه المعانى كتب ابن الأثير يقول فى ختام خلافة الناصر لدين الله : « وجعل كل همه فى رمى البندق ، والطيور المناسيب ، وسراويلات الفتوة ، فبطل الفتوة فى البلاد جميعها ، الا من يلبس منه سراويل ويدعى اليه ، ولبس كثير من الملوك منه سراويلات الفتوة ... فكان غرام الخليفة بهذه الاشياء من أعظم الامور » (٢٦٨) . وقد أعاد ابن خلدون صياغة رواية ابن الأثير وتزيد فيها ، وذيل عليها ، فقال « وكان ... يشتغل برمى البندق ، واللعب بالحمام المناسيب ، ويلبس سراويل الفتوة شأن العيارين من اهل بغداد . وكان له فيها سند الى زعمائها يقتضيه على من يلبسه اياها . وكان ذلك دليلا على هرم الدولة وذهاب الملك عن أهلها بذهاب ملاكها منهم » (٢٦٩) . وهكذا اعتبر ابن خلدون تبذل الخلافة وتدنيها الى اقتضاء الأموال ممن يقلده الخليفة شعار الفتوة كالعيارين علامة على ضعف الدولة وانهيارها .

وباهتمام الخليفة بلبس سراويل الفتوة شأن العيارين على حد قول ابن خلدون اهتم المؤرخون والعلماء بوضع المؤلفات الكثيرة فى الفتوة . ومعظم هذه المؤلفات مفقودة . ومن حسن الحظ جاءنا كتابان

---

(٢٦٧) مقدمة كتاب الفتوة ، ص ١٢ .

(٢٦٨) الكامل ، م١٢ ص ٤٤٠ (طبعة بيروت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م) .
والمقصود بالمناسيب الحمام الهوادى المعروف فى مصر بالزاجل .
المصدر السابق ، م ١١ ص ٣٧٥ حوادث سنة ٥٦٧هـ (١١٧١ / ١١٧٢م) .

(٢٦٩) العبر ، ج٣ ص ٥٣٥ .

نفيسان من عهد الخليفة الناصر لدين الله يصوران لنا الفتوة ويعرفاننا بها احدهما باسم « الفتوة » لأبى عبد الله محمد الشارم بن أبى الكرم المعروف بابن العمار الفقيه الحنبلى البغدادى والآخر باسم«تحفة الوصايا» لأحمد ابن الياس النقاش الخرتبرتى ([٢٧٠]) . وسنقتصر هنا على عرض دستور الفتوة كما عرضه ابن العمار مع ايراد ما أخذه على فتوة العيارين من مثالب .

حدثنا ابن العمار عن دستور الفتوة باسلوب المقنن المشرع حديثا مستفيضا . فتكلم عن تعاليم الفتيان وواجباتهم وانتقالهم فى المراتب المختلفة ومحاكمة الفتى . كما حدثنا عن التحاق الفتى بالجماعة وكيف أن ذلك يتم على مرحلتين : الأولى أن يرشحه ويزكيه فتى أكبر منه سنا . والثانية أن يختار الفتى الجديد اثنين من الفتيان الذين يطلق على الواحد منهم لقب (مسابل) . وبعد أن تتم هذه الاجراءات يقبل الطالب كعضو أصيل . أما اجراءات الالتحاق فهى كما يلى :

يقدم الطالب التماسا الى أحد الأعضاء ، وبعد أن تدرس حالته ترسل دعوة الى سائر الأعضاء لتناول الطعام ، وفى هذه الفترة يقف النقيب ويطلب الى الشخص الذى قدم اليه الالتماس ويعرف فى اصطلاح الفتوة باسم (المطلوب) أن يقبل العضو الجديد كرفيق ، فاذا وافق (المطلوب) يحزم الرفيق بحزام ، ولهذا يطلق على هذه الحفلة (شد) ويرمز الى العملية (شد العقد) . ثم يلى ذلك شرب كأس الفتوة ، ويلقى خطبة يستهلها بـ « الحمد لله الواحد المنان ، الملك الديان ، الذى خلق الانسان وعلمه البيان » ، ثم يصلى على محمد عبده ورسوله ، وعلى آله وصديقه ، وزوج ابنته وابى سبطيه ، ومن ثم يتحدث عن العدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى،

---

(٢٧٠) مقدمة كتاب الفتوة ، ص ١٢ .

ثم يستطرد الخطيب فيذكر كثيرا من الآى والأحاديث الشريفة التى تحث على مكارم الاخلاق ، ثم يعرج على الفتوة فيقول : « واعلموا رحمكم الله أن الفتوة من صفات الدين وطريق الفائزين ، ومن تمسك بها كانت الجنة مأواه ، ومن خالفها كانت النار مثواه ، وأن لها أصلا فى الشريعة، وهى الى كل خير ذريعة ، وان منشئها خليل الرحمن ، ومثلها جرى فى بيعة الرضوان ، وما عاهد الله عليه السادة البررة الذين بايعوا تحت الشجرة ، وان نبينا عليه السلام سيد الفتيان وأشرف الثقلين ومبدأ فتوة على عليه السلام الذى سمع هاتفا فى حقه : لا سيف الا ذو الفقار ، ولا فتى الا على ، واليه ترجع الأنساب ، ومنه تفرعت الأحزاب وهلم جرا ، حتى انتهت الفتوة وشرفت بسيدنا ومولانا الامام أبى العباس احمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه » . وبعد أن يفرغ الخطيب من تعداد مناقب الامام أبى العباس ، يختم الخطبة بدعاء الى الله سبحانه وتعالى أن يشيد قواعد الاسلام ، ويشد أزر الأنام . ثم يقول : « اللهم احفظ السادة الحاضرين ، والفتيان المنتخبين ، خصوصا المشايخ المقدمين : الشيخ المقدم جمال الرفقة والفتيان ، اللهم أصلح ولاة المسلمين ، ووفق علماءهم المهدين ، وانصر جيوش المجاهدين ، واقض حوائج المحتاجين ... واعلموا رحمكم الله أنه قد صح عند العلماء والأئمة الفضلاء أن الفتوة منزلة عالية ، وفضيلة طائلة ، لا ينالها الا الأشراف ، والجياد والخواص من العباد ، ولا تصلح الا لنظيف من الأدناس ، علامة بين الناس ، ومن شرطها اجتناب الكبائر ، والتحفظ من الصغائر ، والمحافظة على الفرائض والواجبات ، وامتثال أوامر الشرع بالطاعات ، والتقرب الى الله بأنواع الصلوات . ومما أدرك من الحكمة الأولى : الا تستحسن لنفسك ما تستقبح لغيرك » . وتنتهى الحفلة بالصلاة (٢٧١).

أما العضو الجديد (المشدود) فلا تكون عضويته قد كملت بعد ،

---

(٢٧١) مقدمة كتاب الفتوة ، ص ١٤ - ١٥ . وراجع نص الخطبة عند ابن العمار ، ص ٦٦ - ٧٠ .

اذ أن استكمال العضوية يتطلب زمنا يتمكن فيه المطلوب من كتابة تقرير عن المشدود . وبعد ذلك يحدث ما يسمى عند ابن العمـار (تكميل) وعند الخرتبرتى (تكفية) لانه يقدم فيها للمشدود لباس الفتوة ([٢٧٢]).

أما الحلقة التى يتم فيها التكميل فتشبه تماما حفلة الشد . والفرق، فانه عوضا عن الحزام نجد سروالا . وقد يحدث ان الشخص يكمل عـند الشد . وهذا يحدث بخاصة مع الامراء ([٢٧٣]) .

وتقوم العلاقة بين الفتيان قيامها بين افـراد الأسـرة الواحدة ، فالكبير (اب) ، والصغير (ابن) ، وكبير الكبير (جد) ، والعلاقة بين الجميع (نسبة) ، والجماعة (حزب) ، والهيئة (بيت) . وهذه البيوت تسمى بأسماء مؤسيسها . وعند غير ابن الخرتبرتى وابن عمار نقرأ أن من الفتيان من يرتبط بالفتوة ارتباطا لفظيا فقط ، ويطلق على هؤلاء « القوليون » ، ومنهم من يرتبط بالشرب فقط ، وهؤلاء هم « الشربيون » ، ومنهـم مـن يرتبط بالسيف فقـط ، وهـؤلاء هـم « السيفيون » ([٢٧٤]) . ويقال للمنتسبين الى بيت واحد منهم (رفاق) وللمتساوين فى الدرجة (المسابلة) . ويقال للفتى السابق (دكش) ، ولمن لم يدخل فى الفتوة أصلا (بكر) ، ولمن « انتقل عن كبيره وجده فى العرف بغير وجه حق » (نقيلى) ، وللمفوض اليه التصرف (وكيل)، وللواسطة بين الرفاق والزعيم (نقيب) . ومن القاب زعيم القوم هذا « الشيخ ، والمقدم ، والقائد ، والعقيد ، والأب ، وراس الحزب ، وكبير البيت » ([٢٧٥]) .

---

(٢٧٢) مقدمة كتاب الفتوة ، ص ١٥ .

(٢٧٣) مقدمة كتاب الفتوة ، ص ١٥ - ١٦ .

(٢٧٤) مقدمة كتاب الفتوة ، ص ١٦ .

(٢٧٥) كتاب الفتوة ، ص ٤٦ - ٥٢ .

وقد هاجم ابن العمار فتوة العيارين الشعبية المتمردة واعتبرها من « مقالات الجهال من المتأخرين » ، ونعى عليهم ثلاث بدع : الأولى: « أنهم ظنوا بجهلهم أن احكام الفتوة تخالف احكام الشريعة» (٢٧٦) .

والبدعة الثانية : « انهم يتباهون ويتظاهرون بقتل غلمان الشرطة وولاة المسلمين الذائدين عن الناس ... وتجدهم يثنون على من يتعاطى عظائم الأمور من العيارة والتلصص على أموال الناس والقتل بغير حق . ويعدون المنكف عن ذلك جبانا وبخيلا » (٢٧٧) .

البدعة الثالثة : « انهم يقصدون بالدخول فى الفتوة التعاضد والتناصر على مقاصدهم المذمومة واغراضهم الفاسدة ، من اخذ اموال الناس والهجوم على حرمهم ونحو ذلك . ويعدون المساعد على ذلك من جياد الفتيان . ولقد كان الواجب زجر بعضهم لبعض عن ذلك حسما لمادة الفساد واصلاحا للعباد » (٢٧٨) .

وعلى الرغم من جهود الناصر لدين الله فى تبنى الفتوة والاستفادة منها ومتابعة خلفائه له فى هديه الا أن تيار العيارة والشطارة ظل قائما حتى عهد المستعصم بالله ابى أحمد عبد الله بن المستنصر بالله (٦٤٠ - ٦٥٦هـ / ١٢٤٢ - ١٢٥٨م) (٢٧٩) خاتم خلفاء بنى العباس الذى اجتاح التتار بقيادة هولاكو بن تولى بن جنكيز خان (٦٦٣هـ / ١٢٦٥م) ملكه

---

(٢٧٦) المصدر السابق ، ص ٩٠ .

(٢٧٧) المصدر نفسه ، ص ٩٠ - ٩١ .

(٢٧٨) نفسه ، ص ٩١ .

(٢٧٩) ابن خلدون ، ج٣ ص ٥٣٦ - ٥٣٧ .

وقتلوه وأدالوا دولته فى سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) ([٢٨٠]) ، كما أدالوا من قبل ملك المستبدين به من الخوارزمية فى سنة ٦٢٨هـ (١٢٣١م) ([٢٨١]).

---

(٢٨٠) الذهبى ، ج٢ ص ١٥٩ - ١٦٠ ، ابن خلدون ، ج٣ ص ٥٣٧ .

(٢٨١) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، نشر وتحقيق حافظ احمد حمدى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٥٣م ، ص ٣٨١ - ٣٨٣ . وراجع الذهبى ، ج٢ ص ١٣٤ .

الخـــاتمــــــة

كان أسلوب العيارين فى التمرد أو الثورة على المجتمع والدولـة يفتقر للنظام بل والتنظيم والتخطيط لتغيير أسلوب الحكم . ولم يكـن للقائمين بها من تصور لمجتمع آخر . ومن ثم فهم لايشكلون طبقة تاريخية كالزنج والقرامطة وغيرهما . وكذلك لم يخطر ببال العياريـن أساسا الثورة على نظام الخلافـة أو ذات الخليفـة باعتباره خليفـــة الله فى الارض (١) . وكل ماكانوا يبغونه هو لفت أنظار المسئولين الى سـوء أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . ولئن تشكـوا دون أن يثوروا ربما لاتصل شكواهم الى من بيده الأمر . وهم بطبيعة تكوينهم كان بينهم وبين السلطة ود مفقود ، فحيث يعيش الأعيان وعليه القوم فى رغد من العيش وفى عز وجاه كانوا هم يعيشون فى فاقة وذل وحرمان. ومن ثم التزموا بالثورة خارج القانون مادام القانون رهن بمشيئة ذوى النفوذ والسلطان .

ولذلك حظى العيارون بتأييد العامة واعجابهم . كما حظوا أيضـا باعجاب بعض المؤرخين والكتاب الذين وجدوا فى ثورتهم درسا سياسيا للقائمين على السلطة من الفرس والترك علهم يعدلوا فى حكمهم . وعلى الرغم من أنهم سايروا التعبير الشائع عن هؤلاء المتمردين فسموهـم

---

(١) حكايات الشطار والعيارون ، ص ٩٠ .

باللصوص والشطار والعيارين والدعار والزعار والطرار وغير ذلك من الفاظ ، فان من يقرأ ما كتبوه عنهم يجد أن هذه الألفاظ جميعا ذات دلالة سياسية أطلقها أصحاب السلطة عليهم لتشويه غاياتهم النبيلة . وشايعهم فى نهجهم هذا المؤرخون الرسميون . ولا عجب اذن أن تكون حركات العيارين الجياع من العامة ضد عجز الدولة وترف ذوى الدخول الفاحشة فى نظر الحكام وكتابهم ليست الا « انتفاضة حرامية » (٢) يجب ضربها بكل شدة وعنف مع أنها كانت فى أحايين كثيرة صرخة مظلوم مستضعف فى وجه ظالم مستبد . وفى الحديث : « من لا يرحم لا يرحم » .

ومن هنا يصبح لزاما علينا اعادة دراسة الحركات السياسية الكبرى فى التاريخ الاسلامى كثورتى الزنج والقرامطة بتجرد بعيدا عن اتهامات التاريخ السلطوى لها بالكفر والالحاد ، والنظر اليها كانتفاضات شعبية أو هبات اجتماعية ظهرت نتيجة للخلل الاجتماعى والاقتصادى فى مجتمع دولة الاسلام خلال العصر العباسى الثانى (٣) .

---

(٢) أنظر المرجع السابق ، ص ٩١ - ٩٢ . هذا التعبير من انشاء رئيس جمهورية مصر السابق محمد أنور الساداتى الشهير بالسادات (١٣٩١ - ١٤٠١هـ / ١٩٧٠ - ١٩٨١ م) فى تعليق له على انتفاضة شعبه من الفاقة والجوع والغلاء فى يومى الثلاثاء والأربعاء ٨ و٩ صفر سنة ١٣٩٨هـ (١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧م) . وهو بهذا التعليق أهان نفسه وأدانها قبل أن يهين شعبه ويدينه اذ جعل من الحكم وسيلة للتنعم على حساب لقمة عيش شعب جائع . راجع الدكتور محمد عصفور : الأبهة الملكية والفخامة الجمهورية ، مقال بجريدة الوفد ، العدد ١٢٤ ، الخميس ١٨ من ذى القعدة ١٤٠٦هـ / ٢٤ يوليه ١٩٨٦م ، ص ٦ .

(٣) هناك دراسة منصفة عن ثورة الزنج ضمنها الدكتور عبده بدوى كتابه : السود والحضارة العربية (نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ، ص ٢٠٢ - ٢٤٢) فلتراجع هنالك .

الملاحـــــق

الملحق الأول : أشهر العيارين والشطار البغاددة فى العصر العباسى الأول

الملحق الثانى : أشهر العيارين والشطار البغاددة فى عصر نفوذ الأتراك

الملحق الثالث : أشهر العيارين والشطار البغاددة فى عصر نفوذ بنى بويه

الملحق الرابع : أشهر العيارين والشطار البغاددة فى عصر نفوذ السلاجقة

الملحـــق الاول

اشهر العيارين والشطار البغاددة فى العصر العباسى الاول

م	العيار او الشاطر	فترة الظهور	سنة الوفاة	المصـير	الخليفـة
١	ابو مسمار	٢١٠هـ / ٨٢٥م	٢١٠هـ / ٨٢٥م	القتل والصلب	المامون
٢	عمـار	٢١٠هـ / ٨٢٥م	————	السجن	»
٣	ابو الهيثم	٢٢٠هـ / ٨٣٥م	————	»	المعتصم

الملحق الثانى

اشهر العيارين والشطار البغاددة فى عصر نفوذ الاتراك

م	العيار او الشاطر	فترة الظهور	سنة الوفاة	المصير	الخليفة	المستبد بالخليفة
١	ابو الباز العقاب	ــــــــ	ــــــــ	العفو	المتوكل على الله	ايتاخ ثم وصيف
٢	ابو جعفر ينتويه (يبنويهعند ابن الأثير ،وبنينويه خالويه عند المسعودى)	٢٥١ - ٢٥٢هـ / ٨٦٥ - ٨٦٦ م	ــــــــ	راس عيارى الجانب الغربى من بغداد ثم بلغ مرتبة الامارة فى جيش الخلافة	المستعين بالله	وصيف وبغا الصغير المعروف بالشرابى
٣	دونال	٢٥١هـ / ٨٦٥م	ــــــــ	ــــــــ	المستعين بالله	وصيف وبغا الصغير
٤	دمحال	٢٥١هـ / ٨٦٥م	ــــــــ	ــــــــ	» »	» » »
٥	ابو نملة	٢٥١هـ / ٨٦٥م	ــــــــ	ــــــــ	» »	» » »
٦	ابو عصارة	٢٥١هـ / ٨٦٥م	ــــــــ	ــــــــ	» »	» » »
٧	ديكويه	٢٥١هـ / ٨٦٥م	ــــــــ	راس عيارى الجانب الغربى من بغداد	» »	» » »

م	العيار أو الشاطر	فترة الظهور	سنة الوفاة	المصير	الخليفة	المستبد بالخليفة
٨	أبو جعفر المخرمى	٢٥١هـ / ٨٦٥م	ــــــــ	رأس عيارى الجانب الشرقى من بغداد	« «	« « «
٩	روزبة	٢٥٦ هـ/ ٨٧٠م	ــــــــ	ــــــــ	المهتدى بالله	بايكباك
١٠	أبو الباز العقاب (ثانية)	٢٨٣هـ / ٨٦٩م	ــــــــ	صار من التوابين	المعتضد بالله	ــــــــ
١١	دالة (دليلة) المحتالة	٢٨٣هـ / ٨٦٩م	ــــــــ	ــــــــ	« «	ــــــــ
١٢	ابن حمدى (ويقال حمدى) تلميذ أبى القاسم البغدادى الزعيم الفكرى للعيارين والشطار	ــــــــ	٣٣٢هـ / ٩٤٤م	القتل توسيطا	المتقى لله	توزون

الملحق الثالث

اشهر العيارين والشطار البغاددة فى عصر نفوذ بنى بويه

م	العيار أو الشاطر	فترة الظهور	سنة الوفاة	المصير	الخليفة	المستبد بالخليفة
١	ابن كبرويه	٣٦٤هـ / ٩٧٤م	ــــــــ	ــــــــ	الطائع لله	عز الدولة
٢	أبو الدود	٣٦٤هـ / ٩٧٤م	ــــــــ	ــــــــ	» »	» »
٣	أبو الذباب	٣٦٤هـ / ٩٧٤م	ــــــــ	ــــــــ	» »	» »
٤	أبو الأرضة	٣٦٤هـ / ٩٧٤م	ــــــــ	ــــــــ	» »	» »
٥	أبو النوابح	٣٦٤هـ / ٩٧٤م	ــــــــ	ــــــــ	» »	» »
٦	أسود الزبد	٣٦٤هـ / ٩٧٤م	ــــــــ	هرب الى الشام	» »	» »
٧	القائد أبو على البرجمى	٤١٦هـ / ١٠٢٥م (تقريبا)	٤٢٥هـ / ١٠٣٣م	القتل تغريقا	القادر بالله ثم القائم بأمر الله	جلال الدولة
٨	الطقطقى	٤٤٥هـ / ١٠٥٣م	ــــــــ	ــــــــ	القائم بأمر الله	الملك الرحيم
٩	على الزيبق	٤٤٥ـ ٤٤٩هـ / ١٠٥٣ ـ ١٠٥٧م	ــــــــ	صار من حرس الخليفة	القائم بأمر الله	الملك الرحيم ثم السلطان السلجوقى طغرلبك

الملحق الرابع

أشهر العيارين والشطار البغاددة فى عصر نفوذ السلاجقة

م	العيار أو الشاطر	فترة الظهور	سنة الوفاة	المصير	الخليفة	المستبد بالخليفة
١	على الزيبق (ثانية)	٤٤٩هـ / ١٠٥٧م	ـــــــ	صار من حرس الخليفة	القائم بأمر الله	السلطان طغرلبك
٢	يونس التركمانى	٥١٦هـ / ١١٢٢م	ـــــــ	ـــــــ	المسترشد بالله	السلطان محمود
٣	ابن بكران	٥٣٢هـ / ١١٣٨م	٥٣٣هـ / ١١٣٨م	الاغتيال والصلب	المقتفى لأمر الله	السلطان مسعود
٤	ابن البزاز	٥٣٢هـ / ١١٣٨م	٥٣٣هـ / ١١٣٨م	القتل والصلب	« « «	السلطان مسعود
٥	أبو الحسين	٥٥٢هـ / ١١٥٧م	ـــــــ	ـــــــ	« « «	السلطان محمد شاه

ثبت المصـادر والمراجع

أولا : المصادر العربيـة المطبوعة .

ثانيا : المراجع العربية الحديثة والمعربة .

ثالثا : المراجـع الاجنبية الحديثة .

ثبت المصـــادر والمراجـــع

اولا : المصـــادر العربيـــة المطبوعة

ابن الابار (٦٥٨هـ / ١٢٦٠م) : ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابى بكر القضاعى البلنسى .

١ - الحلة السيراء ، ج١ ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٣ م .

الأبشيهى (٨٥٠هـ / ١٤٤٦م) : شهاب الدين ابو الفتح محمد ابن احمد بن منصور بن احمد بن عيسى المحلى الابشيهى المالكى .

٢ - المستطرف فى كل فن مستظرف ، ج١ المطبعة المحمودية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

ابن الاثير (٦٣٠هـ / ١٢١٣م) : عز الدين ابو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى .

٣ - الكامل فى التاريخ ، م٦ - ١٠ ، دار صادر - دار بيروت ، بيروت ١٣٨٥ - ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٥ - ١٩٦٦م .

ابن اياس (٩٣٠هـ / ١٥٢٤م) : ابو البركات محمد بن احمد ابن اياس الحنفى .

٤ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، طبعة دار الشعب ، القاهرة ١٩٦٠ م .

البغداد (٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) : ابو منصور عبد القاهر بن طاهر ابن محمد البغدادى الاسفراينى التميمى .

٥ - الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، تحقيق محمد محيى

الدين عبد الحميد ، مطبعة المدنى بالعباسية ، القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م ٠

البغدادى (٤٦٤هـ / ١٠٧٢م) : الامام الحافظ أبو بكر أحمد ابن على بن ثابت البغدادى الخطيب ٠

٦ - تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، م١ ، ٦ ، ٨ ، ١١ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٤٩هـ / ١٩٣١م ٠

البلاذرى (٢٧٩هـ / ٨٩٢م) : أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر البغدادى الشهير بالبلاذرى ٠

٧ - انساب الاشراف ، ج١ ، تحقيق الدكتور محمد حميد الله ، ذخائر العرب (٢٧) ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٩ م ٠

ابن تغرى بردى (٨٧٤هـ / ١٤٧٩م) : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى ٠

٨ - النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ج٣ - ٥ ، ط١ ، القاهرة ١٣٥١ - ١٣٥٣هـ/١٩٣٢ - ١٩٣٥م ٠

التنوخى (٣٨٤هـ / ٩٩٤هـ) : القاضى أبو على المحسن بن على ابن محمد بن أبى الفهم التنوخى ٠

٩ - الفرج بعد الشدة ، ج٤ ، تحقيق عبود الشالجى ، دار الصياد ، بيروت ١٩٧٨م ٠

الجاحظ (٢٥٥هـ / ٨٦٩م) : أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بحر ابن محبوب الكنانى البصرى ٠

١٠ - التبصر بالتجارة ، ط١ ، تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب التونسى ، دمشق ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م ٠

١١ - كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، سلسلة كتب التراث (١١٤) ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

الجواليقى (٥٤٠هـ / ١١٤٥م) : أبو منصور موهوب بن أحمد ابن محمد بن الخضر .

١٢ - المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم ، تحقيق وشرح أبى الاشبال أحمد محمد شاكر ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م .

الجهشيارى (٣٣١هـ / ٩٤٢م) : أبو عبد الله محمد بن عبدوس الكوفى .

١٣ - الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شلبى ، ط١ ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م .

١٤ - نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب ، جمع وتحقيق ميخائيل عواد ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .

ابن الجوزى (٥٩٧هـ / ١٢٠١م) : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد التيمى البكرى الصديقى البغدادى الحنبلى.

١٥ - تلبيس أبليس أو نقد العلماء ، القاهرة ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م

١٦ - المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم المعروف باسم المنتظم والملتقط الملتزم فى أخبار الملوك والامم ، ج٨ ، ط١ ، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن - الهند ١٣٥٧ - ١٣٥٨هـ / ١٩٣٨ - ١٩٣٩م

الحازمى (٥٨٤هـ / ١١٨٨م) : أبو بكر محمد بن أبى عثمان الحازمى الهمدانى .

١٧ ـ عجالة المبتدى وفضالة المنتهى فى النسب ، تحقيق عبد الله كنون ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م .

ابو حيان (٤١٤هـ / ١٠٢٣ م) : على بن محمد التوحيدى

١٨ ـ الامتاع والمؤانسة ، ج٢ ، تحقيق أحمد أمين ، لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة .

١٩ ـ الرسالة البغدادية أو حكاية أبى القاسم البغدادى ، تحقيق عبود الشالجى ، مطبعة دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ١٩٨٠ م .

ابن الخطيب (٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) : الوزير الغرناطى لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن على بن أحمد السلمانى المعروف بلسان الدين بن الخطيب .

٢٠ ـ روضة التعريف بالحب الشريف ، تحقيق احمد عطا عبد الستار ، ط١ ، نشر دار الفكر العربى ، طبع دار العهد الجديد ، القاهرة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م .

ابن خلدون (٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) : ولى الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن خلدون التونسى المالكى .

٢١ ـ المقدمة (وهى الجزء الأول من كتاب العبر) ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة .

٢٢ ـ كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، ج٣ ، ٤ ، مطبعة بولاق ، القاهرة ١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م .

ابن خلكان (٦٨١هـ / ١٢٨٢م) : شمس الدين ابو العباس احمد ابن محمد بن ابراهيم بن ابى بكر بن خلكان الشافعى .

٢٣ ـ وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان ، ج١ ، تصحيح محمد ابن عبد الرحمن قطة العدوى ، دار الطباعة الميرية المصرية ، القاهرة ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م .

الدباغ (٦٩٩هـ / ١٢٩٩م) : ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن على بن عبد الله الأنصارى الأسدى .

٢٤ ـ معالم الايمان فى معرفة أهل القيروان ، م١/ج١ ، المطبعة الرسمية ، تونس ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م .

الذهبى (٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) : الحافظ شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركمانى الفارقى الذهبى .

٢٥ ـ دول الاسلام أو التاريخ الصغير ، وهو مختصر لكتاب تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام المسمى بتاريخ الاسلام الكبير ، جزءان فى مجلد ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٤م .

الرازى : الامام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر .

٢٦ ـ مختار الصحاح ، ترتيب محمود خاطر ، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٦م .

الراغب الأصفهانى (٥٠٢هـ / ١١٠٨م) : ابو القاسم الحسين ابن محمد بن مفضل بن محمد .

٢٧ - محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، ج٣ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦١م .

الرقيق (مات بعد سنة ٤١٧هـ / ١٠٢٦م) : أبو اسحاق ابراهيم ابن القاسم القيروانى .

٢٨ - المختار من قطب السرور فى أوصاف الأنبذة والخمور ، اختيار نور الدين على المسعودى (كان موجودا سنة ٦١٩هـ / ١٢١٩م) تحقيق عبد الحفيظ منصور ، المطبعة الرسمية ، تونس ١٩٧٦م .

السبكى (٧٧١هـ / ١٣٧٠) : تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب ابن تقى الدين على السبكى .

٢٩ - طبقات الشافعية الكبرى ، ج١ ، نشر مولاى أحمد عبد الكريم القادرى الحسنى المغربى الفاسى ، المطبعة الحسينية ، القاهرة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م .

ابن سعد (٢٣٠هـ / ٨٤٥م) : محمد بن سعد كاتب الواقدى .

٣٠ - الطبقات الكبرى ، م٦ ، ٧ ، دار صادر ، بيروت .

السلمى (٤١٢هـ / ١٠٢١م) : أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين ابن محمد بن موسى السلمى النيساورى .

٣١ - رسالة الملاميتة ، ذيل على كتاب الملامتية والصوفية وأهل الفتوة للدكتور أبى العلا عفيفى (من ص ٨٦ - ١٢٠) ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م .

الطبرى (٣١٠هـ / ٩٢٣م) : أبو جعفر محمد بن جرير .

٣٢ - تاريخ الطبرى أو الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم ، ذخائر العرب (٣٠) ، ج٨ ، ط٣ ، دار المعارف ،

القاهرة ١٩٧٩م ، ج٩ ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٥ م ،ج١٠ ، ط ٣ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٩م ٠

ابن عذارى (كان حيا سنة ٧٦٢هـ / ١١١٢م) : ابو العباس احمد ابن محمد بن عذارى المراكشى ٠

٣٣ - البيان المغرب فى اخبار المغرب ، ج١ (مشتمل على اخبار العرب من الفتح الى حين دخول الموحدين المهدية سنة ٦٠٢هـ / ١٢٠٥م) ، نشر مكتبة صادر ، مطبعة المناهل ، بيروت ١٩٤٧ - ١٩٥٠م ٠

أبو العرب (٣٣٣هـ / ٩٤٥م) : ابو العرب محمد بن أحمد بن محمد بن تميم بن أبى الجهم تمام بن تميم التميمى ٠

٣٤ - طبقات علماء افريقية ، ج١ - ٢ ، نشر محمد بن أبى شنب ، الجزائر ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م ٠

ابن عمار ويقال العمار (٦٤٢هـ / ١٢٤٤م) : أبو عبد الله محمد الشارم بن ابى الكرم الحنبلى البغدادى ٠

٣٥ - الفتوة ، مجموعة كتب ثقافية (الكتاب السابع ومن التراث القديم الثالث) ، تحقيق وتقديم الدكتور فؤاد حسنين ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٥٩م ٠

عياض (٥٤٤هـ / ١١٥٠م) : أبو الفضل القاضى عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكى ٠

٣٦ - ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الامام مالك ، م١ / ج٢ ، تحقيق أحمد بكير محمود ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ٠

ابن الفرات (٨٠٧هـ / ١٠٤٥م) : ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن على المعروف بابن الفرات الحنفى المصرى .

٣٧ - تاريخ الدول والملوك المعروف باسم الطريق الواضح المسلوك الى معرفة تراجم الخلفاء والملوك ، م٣ / ج١ ، تحقيق حمدى أنور السيد محمد ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب بجامعة الزقازيق ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

ابن فرحون (٧٩٩هـ / ١٣٩٦م) : ابراهيم بن على بن محمد ابن فرحون اليعمرى المدنى .

٣٨ - الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذاهب ، وبهامشه كتاب نيل الابتهاج لبابا التنبكتى ، ط١ ، مطبعة المعاهد بالجمالية ، القاهرة ١٣٥١هـ / ١٩٣٣م .

ابن الفقيه (من علماء أواخر ق ٣هـ / ٩م) : أبو بكر احمد بن محمد بن اسحق بن ابراهيم الهمذانى .

٣٩ - مختصر كتاب البلدان ، المكتبة الجغرافية العربية Bib. Geog. Arab. ، تحقيق دى غوية De Goeje M. J. مطبعة بريل Brill ، ليدن Leiden ١٣٠٢هـ / ١٩٨٥م .

الكردرى (٨٢٧هـ / ١٤٢٤م) : حافظ الدين محمد بن محمد بن شهاب المعروف بابن البزاز الحنفى صاحب الفتاوى البزازية .

٤٠ - مناقب الامام الاعظم رضى الله عنه ، ط١ ، ج٢ ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، الهند ، حيدر آباد الدكن ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م .

المرزبانى (٣٨٤هـ / ٩٩٤م) : أبو عبيد الله محمد بن عمران ابن موسى .

٤١ - معجم الشعراء ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار أحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م .

المالكى (مات بعد سنة ٤٥٣هـ / ١٠٦١م) : ابو بكر عبد الله ابن أبى عبد الله محمد المالكى .

٤٢ ـ رياض النفوس فى طبقات علماء افريقية وزهادهم وعبادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم (من الفتح الى آخر سنة ٣٣٠هـ / ٩٤٢م) ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، مطبعة النهضة المصرية ، ط١ ، القاهرة ١٩٥١م .

المسعودى (٣٤٦هـ / ٩٥٧م) : أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى .

٤٣ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج٢ ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .

ابن مسكويه (٤٢١هـ / ١٠٣٠م) : ابو على أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه .

٤٤ ـ تجارب الأمم وعواقب الهمم ، ج٢ (يحتوى على حوادث أربعين سنة : ٣٢٩ ـ ٣٦٩هـ) ، نسخ وتصحيح هـ . ف أمدروز H. F. Amedroz مطبعة التمدن الصناعية ، القاهرة ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م .

ابن المعتز (٢٩٦هـ / ٩٠٨م) : الأمير أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد العباسى .

٤٥ ـ طبقات الشعراء ، ذخائر العرب (٢٠) ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، دار المعارف ، القاهرة ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م .

ابن منظور (٧١١هـ / ١٢١٠م) : أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم بن منظور الافريقى المصرى الانصارى .

٤٦ ـ لسان العرب ، م١ ـ ٢ ، ٤ ـ ٦ ، دار المعارف ، القاهرة.

ابن النديم (كان حيا سنة ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) : ابو الفتح او ابو الفرج محمد بن اسحق النديم المعروف بابن ابى يعقوب الوراق البغدادى الشيعى المعتزلى .

٤٧ - الفهرست ، جزءان (ج٢ فهرست) ، طبعة جوستاف فلوجل Gustav Flugel ، ليبزج Leipzig ١٨٧١ / ١٨٧٢م .

النسوى (كان حياسنة ٦٣٨هـ / ١٢٤٠ - ١٢٤١م) : شهاب الدين محمد بن أحمد بن على بن محمد المنشى النسوى كاتب السلطان جلال الدين منكبرتى (٦١٧ - ٦٢٨ / ١٢٢٠ - ١٢٣١م) .

٤٨ - سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، نشر وتحقيق حافظ أحمد حمدى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٥٣م .

أبو نعيم (٤٣٠هـ / ١٠٣٨م) : أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق الأصفهانى الأحول .

٤٩ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، م٦ - ٧ ، ط١ ، مكتبة الخانجى ومطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٥٥ - ١٣٥٦هـ / ١٩٣٦ - ١٩٣٧م

الهجويرى (٤٦٥هـ / ١٠٧٢م) : أبو الحسن على بن عثمان الغزنوى الجلابى الهجويرى .

٥٠ - كشف المحجوب لأرباب القلوب ، ترجمة د.أ. نيكولسون R.A. Nicholson ، ليدن ولندن ١٩١١م .

ياقوت (٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى .

٥١ - معجم البلدان فى معرفة المدن والقرى والخراب والعمار والسهل والوعر فى كل مكان ، ٤م (فى كل مجلد جزءان) ، م٥ (جزء واحد) تصحيحات وتعليقات (ليبزج ١٨٧١م) ، م٦ (جزءان) فهرست

(ليبزج ١٨٧٠م) ، طبعة فردناند وتستنفلد Ferdinand Wustenfeld ليبزج ١٨٦٦ - ١٨٧٣م .

٥٢ - معجم الادباء المسمى ارشاد الاريب الى معرفة الاديب ، ج٣ ، مكتبة عيسى البابى الحلبى ، القاهرة .

ثانيا : المرجع العربية الحديثة والمعربة

الدكتور ابو العلا عفيفى :

١ - التصوف الثورة الروحية فى الاسلام ، ط١ ، دار المعارف ، مطبعة معهد دون بوسكو ، الاسكندرية ١٩٦٣م .

٢ - الملامتية والصوفية واهل الفتوة ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م .

احمـد امـين :

٣ - ضحى الاسلام ، ج١ ، ٣ ، ط٧ ، مكتبة النهضـة المصرية ، القاهرة ١٩٦٤م .

الدكتور احمد مختار العبادى :

٤ - دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ط١ ، مطبعة المصرى، الاسكندرية ١٩٦٨ م .

احمد محمد حجاب :

٥ - العظة والاعتبار ، آراء فى حياة السيد البدوى الدنيوية وحياته البرزخية ، مطبعة سعيد ، طنطا ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م .

ادارة الشئون العامة للقوات المسلحة :

٦ - هذا هو الطريق (حول جماعة الارهاب) ، مطبعة التحرير بعابدين ، القاهرة ١٩٦٥ م .

جورجى زيـدان :

٧ - تاريخ آداب اللغة العربية ، م١ (جزءان) ، مطبعة الهلال بالفجالة ، القاهرة ١٩١١ / ١٩١٢م .

حاجى خليفة (١٠٦٧هـ / ١٦٥٧م) : مصطفى بن عبد الله المسمى كاتب جلبى :

٨ - كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون ، م١ ، مطبعة وكالة دار المعارف ، استنبول ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م ٠

الدكتور حسن أحمد محمود :

٩ - العالم الاسلامى فى العصر العباسى ، القسم الأول (العصر العباسى الأول) ، ط٢ ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٧٣م (بالاشتراك مع الدكتور احمد ابراهيم الشريف الذى اختص بالقسم الثانى : العصر العباسى الثانى) ٠

الدكتور درويش النخيلى :

١٠ - السفن الاسلامية على حروف المعجم ، ط٢ ، دار المعارف ، الاسكندرية ١٩٧٩م ٠

الزبيدى (١٢٠٥هـ / ١٧٩١م) : محب الدين ابو الفيض محمد مرتضى بن عبد الرازق الشهير بالسيد مرتضى الحسينى البلجرامى الواسطى الزبيدى الحنفى نزيل مصر ٠

١١ - تاج العروس من جواهر القاموس ، ١٠ ج ، المطبعة الخيرية بالجمالية ، القاهرة ١٣٠٦هـ (الأجزاء المستشارة ١ - ٥ ، ٨ ، ١٠) ٠

١٢ - معجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس ، جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطى ، مطبعة لجنة البيان العربى ، القاهرة ١٩٦٥م ٠

الزركلى (خير الدين) :

١٣ - الأعلام ، ج٥ - ٦ ، ط٣ ، بيروت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ٠

الدكتور زكى مبارك :

١٤ ـ التصوف الاسلامى فى الأدب والأخلاق ، ج٢ ، ط١ ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٧م ٠

الدكتور السيد عبد العزيز سالم :

١٥ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ، الكتاب الأول من دراسات فى تاريخ العرب ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٦٩م

١٦ ـ تاريخ المغرب الكبير ، ج٢ (دراسة تاريخية عمرانية أثرية) ، الاسكندرية ١٩٦٦م ٠

الدكتور عبد القادر سلمان المعاضيدى :

١٧ ـ دواوين العراق (المبحث الثانى من الفصل الثالث ضمنج٦ من كتاب حضارة العراق) ، ط١ ، بغداد ١٩٨٥ م ٠

الدكتور عبد المنعم رشاد محمد :

١٨ ـ الأبعاد الثقافية والاقتصادية للصراع العراقى الفارسى فى العصر العباسى (الفصل الرابع من القسم الثانى ضمن كتاب الصراع العراقى الفارسى) ، بغداد ١٩٨٣م ٠

الدكتور عبد المنعم عبد العال :

١٩ ـ معجم شمال المغرب ، تطوان وما حولها ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ٠

الدكتور عبده بدوى :

٢٠ ـ السود والحضارة العربية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ٠

الدكتور على ابراهيم حسن :

٢١ ـ دراسات فى تاريخ المماليك البحرية وفى عصر الناصر محمد بوجه خاص ، ط٢ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٤٨م

ل٠أ٠ مايـر L.A. Mayer

٢٢ ـ الملابس المملوكية (بالفرنسية) Mamluk Costume ، ترجمة صلاح الشيتى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٢م ٠

مباركبورى (القاضى أطهر مباركبورى الهندى) :

٢٣ ـ العرب فى عهد الرسالة (بالأردية) ، ترجمة عبد العزيز عزت عبد الجليل ، الهيئة المصرية العامة للكاتب ، القاهرة ١٩٧٣م ٠

مجمع اللغة العربية :

٢٤ ـ المعجم الوسيط ، ج١ ، مطبعة مصر ، القاهرة ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م ٠

الدكتور محمد احمد عبد المولى :

٢٥ ـ بنو مرداس الكلابيون فى حلب وشمال الشام وسياساتهم الخارجية مع دولتى الفواطم والروم (٤١٥ ـ ٤٧٤هـ / ١٠٢٥ ـ ١٠٨٠م) ، ط١ ، دار المعرفة الجامعية ،الاسكندرية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ٠

٢٦ ـ القوى السنية فى المغرب من قيام الدولة الفاطمية الى قيام الدولة الزيرية (٢٩٦ ـ ٣٦١هـ / ٩٠٩ ـ ٩٧٢م) ، ج ١ ، ط١ ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م٠

محمد عبد الفتاح ابراهيم (عميد اركان حرب) :

٢٧ ـ المذاهب العسكرية التى شكلت تاريخ العالم ، نشر ادارة الشئون العامة للقوات المسلحة ، مطبعة التحرير ، القاهرة ١٩٦٨م .

الدكتور محمد رجب النجــار :

٢٨ ـ حكايات الشطار والعيارين فى التراث العــربى ، سلسلــة عالم المعرفة (٤٥) ، الكويت ، شوال ـ ذو القعدة ١٤٠١هـ/ سبتمبر (أيلول) ١٩٨١م .

محمد على بن حسن الأنسى البيروتى :

٢٩ ـ قاموس اللغة العثمانية المسمى الدرارى اللامعات فى منتخب اللغات (يحتوى على الكلمات التركية والألفــاظ الفارسية والافرنجية المتداولة فى اللغة العثمانية) ، مطبعة جريــدة بيروت ، بيروت ١٣١٨هـ .

الدكتور محمد موسى هنداوى :

٣٠ ـ المعجم فى اللغة الفارسية ، ط٢ ، مكتبة الأنجلو ودار مطابع الشعب ، القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م .

ا. هافنر A. Haffner

٣١ ـ مادة أوس بن حجر فى دائرة المعارف الاسلامية (المترجمة) م٣ ، القاهرة .

الوفد (جريدة أسبوعية يصدرها حزب الوفد الجديد بمصر) :

٣٢ ـ مقال بعنوان : عالم من زماننا ، العدد ١٦ ، الخميس ٢٨ رمضان ١٤٠٤هـ / ٢٨ يونية ١٩٨٤م ، ص ٧ .

٣٣ ـ مقال بعنوان : الأبهة الملكية والفخامة الجمهورية للدكتور محمد عصفور ، العدد ١٢٤ ، الخميس ١٨ من ذى القعـدة ١٤٠٦هـ / ٢٤ يوليه ١٩٨٦م ، ص ٦ ٠

ثانيا : المراجع الأجنبية الحديثة

Cahen, Cl.,

1 — The encyclopaedia of Islam, new ed., vol 1, Fasc. 4 pub. E. J. Brill, Leiden, 1958, art. Ahdath.

Salinger, Gerard,

2 .. **Was the Futuwwa an oriental form of chivalry?, Oriens 5, 1952, pp. 332 - 336.**

Saunders, J. Johnson,

3 — A history of medieval Islam, 4th ed., London 1980.

Taeschner, Fr.,

4 — The **Encyclopaedia** of Islam. new ed., vol. 1, fasc, 13, pub. E. J. Brill, Leiden 1958, art. **«Ayyar».**

Her Thorning,

5 — Beiträge Zur Kenntnis Islamischen Vereinswesens (Turkisch Bibliothek, Bd. 16), Berlin 1913.

المحتويـات

الفصل الثالث

تـــم بحمـــد الله

الطبعـــة الثـــانيـة
فـــريـــده ومنقحـــة

الناشــر

مؤسسة شبــــاب الجامعــــــة
للطباعــــة والنشر والتوزيــــع
ت : ٤٨٣٩٤٧٢ اسكندريــــــة